الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

الحسن البصري وموقفه من السلطة في العهد الأموي

(41 هـ - 110هـ 662م -731م)

Hassan Basri and his attitude toward the Umayyad Era

إعداد الباحث:
عبد الرحمن سالم أحمد أبو ستة

إشراف:
الدكتور/ غسان محمود وشاح

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

1437هـ/2016م.

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحسن البصري وموقفه من السلطة في العهد الأموي

(41 هـ - 110هـ 662م -731م)

Hassan Basri and his attitude toward the Umayyad Era

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة لجامعة الإسلامية غزة –فلسطين

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves toIslamic University – Gaza strip paiestine

Student's name:	**عبد الرحمن سالم أحمد أبو ستة**	اسم الطالب:
Signature:	**عبد الرحمن أبو ستة**	التوقيع:
Date:	2016/12/05	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza
مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2016/04/24م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **عبدالرحمن سالم أحمد أبو ستة** لنيل درجة الماجستير في **كلية الآداب/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

الحسن البصري وموقفه من السلطة في العهد الأموي
(21هـ - 115هـ -642م -731م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 17 رجب 1437هـ، الموافق2016/04/24م الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	مشرفاً و رئيساً	.....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	مناقشاً داخلياً	.....
د. حسن إبراهيم المسحال	مناقشاً خارجياً	.....

وبناءً عليه توصي اللجنة بمنح درجة الماجستير بإذن الله تعالى بعد انقضاء المدة القانونية اللازمة حسب الأصول.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

إهداء

إلي كل من أضاء بعلمه عقل غيره، أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه، فأظهر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين.

إهداء.. إلى أبي الغالي الحبيب، من كلل العرق جبينه، وشققت الأيام يديه، إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار.

إهداء.. إلى أمي الحبيبة الحنون، مهجة قلبي، من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر، على سراج الأمل بلا فتور أو كلل، رسالة تعلم العطاء كيف يكون العطاء، وتعلم الوفاء كيف يكون الوفاء.

إهداء.. إلى أخوتي الأحباب وأخواتي الكريمات من أحببتهم وتعلق قلبي بهم، ونخص من لا تفارق صورته عيناي، ولم تمسح ذكرياته من قلبي، أخي الحبيب الشهيد القسامي المجاهد وسام أبو ستة، ونسأله تعالى أن يتقبله في عليين.

إهداء.. إلى بلسم روحي، وحبيبة قلبي زوجتي الغالية رفيقة عمري، إلى من سارت معي نحو الحلم، خطوة بخطوة بذرناه معاً، وحصدناه معاً، وسنبقى معاً، بإذن الله تعالى.

إهداء إلى أبنائي الغوالي، تسنيم وشهد وحمزة وفارس ومحمد، حفظهم الله وجعلهم ذخراً للإسلام والوطن.

شكر وتقدير

أتقدم بعظيم احترامي وتقديري وشكري الموصول بالمحبة والعرفان بالجميل من

الدكتور الفاضل/ حسن إبراهيم المسحال المشرف الخارجي، والدكتور احمد

إبراهيم أبو شبيكة مشرفاً داخلياً

كما وأتقدم بجزيل العرفان والامتنان من الدكتور/ غسان محمود وشاح

على ما بذله معي من جهد وتوجيه وإرشاد ونصح بصدقٍ وبأمانة علمية خلال تشرفي أن

كان مشرفي في كتابة رسالة الماجستير، الذي صبر علي وأحاطني بالكثير من

المعلومات المتعلقة بالإمام الحسن البصري موضوع بحثنا، وبأحداث التغيير الحاصل بالدولة

الأموية وما قبلها وما بعدها وكل ما يتعلق بموضوع بحثي، وكذلك إرشاده وتعليمه إياي

على كيفية كتابة البحث العلمي وما يتعلق بها من أصول، هذه الجهود العظيمة أهلتنا لإتمام

كتابة الرسالة بالطريق العلمي السديد .

سائلين المولى عز وجل له التوفيق والسداد، وأن ينفع به وعلمه الإسلام والمسلمين وأن يجعل ذلك

في صحائف أعماله يوم القيامة

فهرس المحتويات

م	العنوان	الصفحة
	الإهداء	أ
	الشكر	ب
	المقدمة	1
	أهمية الدراسة	2
	مبررات الدراسة	2
	حدود الدراسة	2
	منهجية الدراسة	2
	دراسات سابقة	2
	محتوى الدراسة	3
	الفصل الأول: السيرة الذاتية للحسن البصري	5
	المبحث الأول: اسمه ونشأته وصفاته	6
	نسبه	6
	مكان ولادته ونشأته	8
	انتقال الحسن وأسرته إلى البصرة	10
	طبقة الحسن البصري	12
	صفاته	13
	المبحث الثاني: مسيرته العلمية	15
	رحلاته وعلمه وجهاده	15
	أشهر شيوخه	16
	أشهر تلاميذه	17
	مجالس الحسن العلمية	20
	علمه	21
	علو شأنه	23
	فصاحته وبلاغته	25
	عبادته وزهده وورعه	26
	مشابهته الصالحين	28
	المبحث الثالث: دوره الاجتماعي	30

م	العنوان	الصفحة
	أقواله في السياسية والفتن	30
	أقواله في البعد عن الدينا والتمسك بالآخرة	31
	أقوال العلماء فيه	32
	حسن خِلقته وهيبته	35
	الحسن ونصحه للآخرين	36
	الحسن ومعرفته لحقوق إخوانه	37
	كرمه وسخاه	38
	موقف الحسن مع ابن سيرين	40
	أثر التابعين في الحسن البصري	40
	أثر الحسن البصري في الآخرين	40
	نظرته إلى فلسطين وبيت المقدس	43
	الأعمال التي تولاها في حياته	44
	مصنفاته وكتبه	45
	قيام الحسن بحرق كتبه ومؤلفاته لها مبررات منها	46
	ما قبل وفاته	46
	وفاته	47
	الفصل الثاني: النظرة السياسية والفقهية للحسن البصري	49
	المبحث الأول: الحسن البصري ورأيه في الفتنة الكبرى	50
	موقف الحسن البصري من الفتنة الكبرى	50
	موقف الحسن البصري من فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه	55
	خلافة علي والفتنة التي تبعت خلافته	57
	أسباب الفتنة فيما بعد خلافة علي رضي الله عن	58
	موقف الحسن البصري من الفتنة بين علي ومعاوية ومن القتال في الجمل وصفين	60
	المبحث الثاني: الحسن البصري والإمامة	62
	نشأت الخلافة.	62
	مفهوم نظام الخلافة	62
	نظرة الحسن لمن طلب الخلافة والإمارة	65
	البيعة	65

م	العنوان	الصفحة
	الخلافة الراشدة وطرق اختيار الخليفة في الدولة الاسلامية	65
	طريقة الاختيار أو الانتخاب الاستشاري	66
	رأي الحسن البصري في أبي بكر وخلافته	66
	العهد أو الاستخلاف	67
	الشورى المتمثلة في مجلس الحل والعقد	68
	الإختيار المباشر	68
	التنازل	69
	التوريث	70
	موقف الحسن البصري من الأئمة في العهدين الراشدي والأموي	71
	المبحث الثالث: الحسن البصري والحركات الفكرية	73
	الحركات الفكرية	73
	الخوارج	74
	موقف الحسن البصري من الخوارج	79
	الشيعة	80
	نشأة الشيعة وجذورها التاريخية	80
	الشيعة في الدولة الأموية	81
	منطلقات وأصول الشيعة	82
	موقف الحسن البصري من الشيعة	84
	المعتزلة	85
	النشأة وجذور الاعتزال	85
	والمعتزلة اشتهروا بأصولهم الخمسة	87
	موقف الحسن البصري من المعتزلة	89
	المبحث الرابع: الحسن البصري وتأسيسه نظرية فقه الاختلاف بين الراعي والرعية	92
	الإمام العادل المقسط	93
	الخروج على الحاكم الكافر المرتد	94
	الخروج على الأئمة الظلمة	94
	أساليب الحسن في وأده للفتن	98

م	العنوان	الصفحة
	أسلوب النصح والإرشاد	98
	موازنته بين ما يؤديه الحاكم وبين ما قصر في تأديته	100
	سياسته فيمن أكره على الخروج	101
	سياسته وحكمته في الحفاظ على قوة الدولة وتماسكها	103
	سياسية تثبيط الناس عن الخروج على الولاة	105
	سياسته في الانتقاد العلني للموتورين، وإعادتهم لحضن الدولة الاسلامية	106
	الفصل الرابع: مواقف الحسن البصري السياسية	108
	المبحث الأول: مواقف الحسن السياسية في خلافة معاوية بن ابي سفيان	109
	نظرة عامة للحسن البصري عن الخلافة الأموية	109
	موقف الحسن البصري من الخليفة معاوية بن أبي سفيان	111
	الحسن البصري ينصف معاوية رضي الله عنهما	114
	ما ورد في طعن الحسن البصري في معاوية رضي الله عنهما	117
	المبحث الثاني: موقف الحسن البصري من الخليفة يزيد بن معاوية	**120**
	خلافة يزيد وولاية العهد والموقف منها	120
	فضل يزيد بن معاوية	123
	موقف الحسن من بيعة يزيد	125
	المبحث الثالث: مواقف الحسن السياسية في زمن حكم الحجاج للعراق	128
	نبذة عن الحجاج	128
	إصلاحات الحجاج	129
	بعض مقولات الحجاج رحمه الله	130
	موقف الحسن البصري من الحجاج رضي الله عنه	132
	قتل الحجاج لابن الأشعث وموقف الحسن منه	137
	موقف الحسن البصري من مقتل سعيد بن جبير	139
	المحث الرابع: المواقف السياسية للحسن البصري قبل وبعد فترة الخليفة عمر بن بعد العزيز	143
	علاقة الحسن بالنضر بن عمرو والي البصرة	143
	صلة الحسن بوالي العراق عمر ابن هبيرة وموقفه منه	144
	علاقة الحسن بالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز	146

م	العنوان	الصفحة
	التقارب في التفكير بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز	152
	الحسن البصري المستشار الشرعي لعمر بن عبد العزيز	154
	الخليفة عمر بن عبد العزيز يروي الأحاديث عن الحسن	155
	نظرة الحسن إلى فترة خلافة عمر بن عبد العزيز	155
	موقف الحسن من خروج يزيد ابن المهلب	156
	الحسن البصري مفاوضاً ميدانياً لوأد الفتنة	158
	قول الحسن في ابن المهلب وما قاله ابن المهلب في الحسن	158
	النتائج	160
	قائمة المصادر والمراجع	**160**

المقدمة:

كان الحسن البصري رحمه الله تعالى عالماً من العلماء المعتبرين، حتى أنه وصف بسيد عصره وأفصح العلماء، وقد أنعم الله تعالى عليه أن أعطاه الحكمة والزهد والسياسة والفقه والحديث وجميع علوم الشريعة الإسلامية، لذا كان جميع من عاصروه من خلفاء وولاة وقيادات بحاجة إلى علمه وحكمته ورأيه، وكانوا يستفتونه ليأخذوا برأيه في كثير من القضايا المتعلقة بالدين ليعرفوا وجهة النظر الاسلامية الصحيحة تجاه القضايا التي يقعوا فيها، وكانوا يطلبوا منه النصيحة والإرشاد، كل هذا لأنه صحاب حكمة ورأي ومشورة، فقد ولد في بيت النبوة وعاش في بيت أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أكثر زوجاته عليه الصلاة والسلام رواية للحديث ودراية بعلوم الدين فتعلم منها ذلك.

كما أنه عايش الفتن في العصر الراشدي مثل مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعركتي صفين والجمل، ومقتل الإمام علي رضي الله عنه، وعايش الفتن في الفترة الأموية، وعالماً بقدر ومكانة الحسن رحمه الله قد عايش أحداث تلك الفتن، سيكون قد استفاد من تجربتها أكثر من غيره، وقد أثرت عليه وصقلت شخصيته، وعلمته من الحكمة والرأي والسداد ما لم يتحصل عليه غيره.

وبما أن السلاطين والملوك والامراء والولاة كانوا يأتونه لاستشارته ليفيدهم بعلمه وحكمته ورأيه، فكما أفادهم فهم كذلك قد أفادوه، لأنه اطلع على طبيعة تفكير الملوك والقيادات السياسية من خلال نظرتهم الشمولية للأحداث والمواقف ومبررات القرارات التي تصدر عنهم، هذا كله جعل للحسن مواقف وآراء راسخة ثابتة في الفتن والسياسة في فترتي الحكم الراشدي والأموي، ما ميزه عن غيره من علماء عصره.

ثم إن الحسن رحمه الله قد جمع مع سعة علمه عظيم مشاركته في الجهاد في سبيل الله تعالى، فشارك الجيوش الأموية الاسلامية في فتوحاتها لبلاد فارس وغيرها من البلدان، كما يهاجر العلماء لتحصيل العلم وأخذه من أصوله، وكذلك هاجر ومكث سنوات وهو يجاهد في سبيل الله تعالى قبل أن يلتحق بحلقات العلم، فقد تتلمذ أولاً في صفوف المقاتلين المجاهدين، ثم تتلمذ في حلقات العلم والمعرفة الشرعية، حتى أصبح عالماً مجاهداً له فضله ومكانته على علماء عصره.

أولاً: أهمية الدراسة:

1- ندرة الدراسات التاريخية العلمية الأكاديمية التي تناولت الموضوع بالرغم من أهميته.
2- إبراز شخصية العالم الإمام الحسن البصري رحمه الله بشكل يليق بمفكر اسلامي له دور كبير في رقي الحضارة الاسلامية.
3- إبراز السياسة التي لعبها الحسن البصري مع الحكام والرعية.
4- توضيح واقع السياسة التي كانت متبعة من قبل الحكام الأمويين وموقف الحسن البصري منها.
5- تقييم دور الحسن البصري وعلاقته بالسلطة في العهد الأموي.
6- الاطلاع على السياسة الأموية الخارجية للتعرف على موقف ودور الحسن البصري من تلك السياسة في ظل الفتوحات والمد الاسلامي الكبير.
7- الاطلاع على الضعف والوهن الذي أصاب البعض فعمد إلى إثارة الفتن وتأجيج وتجيش المجتمع لنصرتهم رغم عدالة الدولة، ودور الحسن البصري تجاه ذلك.
8- إبراز الأهداف الأساسية التي سعى الحسن البصري لتأسيسها في المجتمع المسلم في ظل الحكم الأموي.
9- الرد على التهم التي وجهت للدولة الأموية من قبل بعض الباحثين والمستشرقين.

رابعاً: منهجية الدراسة:

سيعتمد الباحث على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي الذي يقوم على جمع الروايات التاريخية من مصادرها الأصلية المتنوعة، سواء أكانت مصادر أو مراجع ودراستها واستخدامها في معالجة الموضوع.

خامساً: دراسات سابقة:

- إبراهيم توفيق ضمرة، دراسة بعنوان جلاء بصري في قراءة الحسن البصري بروايتي شجاع البلخي والدوري، وهو عبارة عن كتاب تم طباعته في دار عمارة في الأردن وفي دار الصحابة بمصر، وهذا الدراسة لم تتطرق لموضوع بحثنا وإنما اقتصرها الكاتب فيما يتعلق بالحسن البصري في القراءات وعلوم التجويد.

- دراسة للدكتورة ثناء نجاتي عياش، بعنوان المقابلة في خطبة الحسن البصري، وهي دراسة تتعلق بتخصصات اللغة العربية ولا تتعدى 35 صفحة.
- مريم بنت زنان بنت أحمد الزاهلي، دراسة بعنوان طبقات الرواة عن الحسن البصري جمعاً ودراسةً، بقسم أصول الدين بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية وهي دراسة مقتصرة على الحسن البصري فيما يتعلق بعلم الحديث.
- مصلح بيومي، دراسة بعنوان الحسن البصري وحياته وصلته بالحكام، وهي منشورة في الدوريات التابعة لكلية الشريعة، ولا يوجد تفاصيل أخرى، وهي دراسة لا تتعدى 22 صفحة، وغير موثقة، تناول فيها الكاتب حياة الحسن البصري في ايجاز وتطرق لمواقفه من الحجاج ورسائله مع الخليفة عمر بن العزيز، وهي تتشابه يسيراً مع بعض عناوين المباحث في دراستنا.
- ويوجد بعض الدراسات والكتب التي تتعلق بالحسن البصري، لكنها كلها تتعلق بزهده وبعده عن الدنيا كما هو مشهور عنه.
- وسنتميز الدراسة بالولوج في حياة الحسن البصري وما صحابها في نشأتها إلى مماته، وسنتطرق إلى فكره من خلال نظرته إلى توحيد الصف الاسلامي ووئد الفتنة في مهدها، وصلته بالحكام وموقفه منهم، بشكل علمي وصفي تحليلي.

سادساً: محتوى الدراسة:

جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ثم تليت بأهم المصادر والمراجع، أما المقدمة فقد قدمت نبذة مختصرة عن الموضوع، ثم أهمية الدراسة، والنهج المتبع في تقسيمات الدراسة، ثم المشكلات التي واجهت الباحث وكيف تغلب عليها، أما الفصل الأول فشمل مولد ونشأة العالم الإمام الحسن البصري رحمه الله، وكيف كان لنشأته الدور في تكوين شخصيته، وتطرق الباحث إلى صفاته وشمائله وعلمه ومشايخه وتلاميذه، ومكانته العلمية، وحكم العلماء فيه، وأشهر أقواله، ونبذه عن حياته الاجتماعية وتأثير العلماء فيه وتأثيره في تلاميذه والناس، وبشكل عام فإن هذا الفصل يوضح تفاصيل الحياة الخاصة التي عاشها الحسن البصري رحمه الله.

وأما الفصل الثاني فتحدث عن النظرة السياسية الفقهية للحسن البصري في الفتنة الكبرى وموقفه من الإمامة وتغيير نظام الحكم والحركات الفكرية ودورها في تلك الفترة، وتطرق البحث إلى أهم ما ميز فكر الحسن البصري في تأسيسه لفكرة فقه الخلاف إذا ما وقع بين الراعي والرعية وكيفية التعامل معها في كافة مناحي الحياة.

وفي الفصل الثالث والأخير ثم دراسة موقف الحسن البصري من الصراع الدائر بين علي ومعاوية بن أبي سفيان، ورأيه في تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين، تم تطرق الباحث إلى موقف الحسن من خلفاء بني أمية في البيتين السفياني والمرواني، وموقفه من حكمهم ومن الفتن الداخلية التي حدثت في تلك الحقبة.

وفي الختام، نقول أن كل عمل جاد لا بد له من مشكلات وعقبات، ولقد واجه الباحث مشكلات عدة ولكن أهمها:

- عدم وجود كتب من تأليف الحسن البصري رحمه الله، لأنه قام بحرقها قبل وفاته، وتغلبنا على ذلك من خلال الإطلاع والاستفادة مما كتبه تلاميذه وعلماء عصره عنه.
- عدم إفراد كتب متخصصة في جوانب حياة الحسن البصري رحمه الله واقتصارها على جانب واحد تتعلق بزهده وبعده عن الدنيا، مما جعلت في الوصول لمعرفة مواقفه من الفتن وعلاقته بالخلفاء والحكام غير واضحة، واستعضنا عن ذلك بالرجوع إلى الروايات التاريخية من مصادرها الأولى، واستنباط تلك المواقف والعلاقات من ينبوعها الأول، لتحليلها ومعرفة مواقف الحسن رحمه الله تعالى من المواضيع التي تقدم ذكرها.
- كثرة الروايات الشيعية المكذوبة على لسان الحسن البصري والتي تطعن في خلفاء الدولة الاسلامية في عصره، خاصة الطعون المتواترة في طعن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد والطعون الموجه لعمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة والتابعين، ولأجل التحقق من ذلك قمنا بجمع ما قيل في بعض رواة تلك الروايات حتى نثبت صحتها من عدمه.
- أن تاريخ بني أمية كتب ونقله في أغلبه إما من ناقم أو حاقد على الخلفاء والحكام الأمويين، وكتب في العصر العباسي الذين نقموا على من سبقهم من الأمويين، مما جعل الميول الشخصية والأهواء النفسية لها الدور الكبير في نقل الرواية بزيادة ونقصان تبعاً ووفقاً لأهواء أصحابها، وهذا ما جعل الإشكال في فهم تناقض الروايات مع بعضها، فاستوجب على الباحث الرجوع لأكثر من مصدر في الرواية الواحدة لمعرفة حقيقة تلك الأحداث والمواقف ليميز الغث من السمين والصواب من الخطأ.

الفصل الأول: السيرة الذاتية للحسن البصري

المبحث الأول: اسمه ونشأته وصفاته.

المبحث الثاني: مسيرته العلمية.

المبحث الثالث: دوره الإجتماعي.

كان الحسن من أفصحِ أهل البصرة لساناً وأجملهم وجهاً، وأعبدِهم عبادةً، وأحسنهم عِشْرةً، وأنقاهم بدناً.

ابن حبان

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته.

نسبه:

هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري[1] المكنى أبو سعيد البصري[2]، والبصري نسبة إلى البصرة[3]، وهو من كبار التابعين، وإمام أهل البصرة، وحبر الأمة وقتها[4] من قراء العراق[5] يلبس عمامةً سوداء[6]، مولى زيد بن ثابت[7]، ووفي رواية مولى جابر بن عبد الله، ويقال مولى جميل بن قطبة بن عامر بن حديد، ويقال مولى أبي اليسر[8]، الراجح أنه مولاً لزيد بن ثابت لكثرة ما يقويها ويدعمها من الروايات الواردة في ذلك.

وأبوه يسار من سبي مَيسان[9]، كان ينادى قبل الاسلام بـ فيروز[10]، هاجر إلي المدينة فاشترته الرّبيع بن النَضر عمة أنس بن مالك رضي الله عنه فأعتقته، وذكر عن الحسن أنه قال: "كان أبواي لرجل من بني النجار وتزوج امرأة من بني سَلَمة من الأنصار فساقهما إليهما من مهرها فأعتقها، بل كانت أم الحسن مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم واسمها خيرة"[11]، وتضارب الروايات تجعل الباحث يرجح أن أبوه كان مولى لرجل من بني النجار، ثم انتقلوا لأم سلمه.

أما أمه خيرة هي من السبايا أيضاً صارت بعد ذلك مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت أمه على جانب من المعرفة الدينية بسبب اتصالها بأزواج النبي صلى الله

---

(1) – الدوالبي: الكنى والأسماء، ج 1، ص 419؛ المزي: تهذيب الكمال، ج 4، ص 297.

(2) – المزي: تهذيب الكمال، ج 4، ص 297؛ الدوالبي: الكنى والأسماء، ج 1، ص 419.

(3) – اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج 1، ص 183.

(4) – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص563.

(5) – اليعقوبي: التاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 278.

(6) – الخرائطي: اعتلال القلوب، ج 1، ص 349.

(7) – البخاري: التاريخ الأوسط، ج 1، ص 244؛ أبو حاتم التميمي: الثقات، ج 4، ص 276؛ الطبراني: المعجم الكبير، ج 2، ص 87؛ البخاري الكلاباذي: رجال صحيح البخاري، ج 1، ص 165؛ الأصبهاني: رجال مسلم، ج 1، ص 129.

(8) – الدوالبي: الكنى والأسماء، ج 1، ص 419؛ تهذيب الكمال، ج 4، ص 297.

(9) – اسم كورة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 8، ص 354.

(10) – البلاذري: فتوح البلدان، ج 1، ص 339.

(11) – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 114؛ ابن قتيبة: المعارف، ص 440.

عليه وسلم، وذلك لاتصالها بالبيئة العربية الخالصة في ذلك الوقت، وميلها إلى ذكر القصص والوعظ، حتى بعد أن رحلت الى البصرة، وبلغ من تأثير أمه فيه –أي الحسن– أنه كان أحياناً يروي عن أمه عن أم سلمة[1] وروى لها الجماعة سوى البخاري[2] وكان يمازح أمه ويبرها فرأى في يدها كراثة فقال: يا أمه ما هذه الشجرة الخبيثة في يدك؟ قالت: يا بني أنك شيخ قد خرفت قال: يا أمه، أينا أكبر أنا أو أنت؟[3].

تزوج بها يسار وبنى عليها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له الحسن[4] لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5]، وحنكه عمر بيده[6]، وما يدلل على أنه ولد في أواخر خلافة عمر سؤال الحجاج بن يوسف الثقفي للحسن قائلاً ما أَمَدَكَ[7] يا حسن؟ قال: قلت: سنتان من خلافة عمر[8].

وأخوه سعيد بن يسار أحد المعروفين بالعلم[9] ولما مات سعيد أجهش الحسن بالبكاء، فقال له رجل: وأنت يا أبا سعيد تبكي؟ فقال: لقد بكى يعقوبُ على يوسف حتى ابيضت عيناه فما عيره الله بذلك، وقال رسول الله صلى الله عليه: ما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن القسوة والشيطان[10].

---

(1) – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 114؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 1، ص 228.

(2) – تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 35، ص167.

(3) – الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 1، ص 213.

(4) – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 564.

(5) – البخاري: التاريخ الكبير، ج 2، ص 273.

(6) – ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 136.

(7) – للإنسان أمدان: أحدهما ابتداء خلقه الذي يظهر عند مولده، والأمد الثاني الموت، وقد أراد الحجاج في سؤاله بداية عهده بالدني، وقوله والله لعينك أكبر من أمدك، (الزبيدي: تاج العروس، ج 7، ص 392) وقال ابو عبيد، أي شاهدك ومنظرك أكبر من أمدك، وعين كل شيء شاهده وحاضره. (ابن سلام: غريب الحديث، ج 4، ص 482).

(8) – ابن حبل: العلل ومعرفة الرجال، ج 3، ص 176؛ ابن سلام: غريب الحديث، ج 4، ص 482.

(9) – البلاذري: فتوح البلدان، ج 1، ص 339.

(10) – السيوطي: جامع الأحاديث، ج 4، ص 348؛ عبد الوهاب: مجموعة الحديث، ج 2، ص 315؛ المبرد، محمد: الفاضل، ج 1، ص 20.

ويستفاد مما سبق أن الحسن ولد في سنة إحدى وعشرين من الهجرة، لأن عمر رضي الله عنه استشهد في ذي الحجة سنة ثلاثة وعشرين[1]، ومما يؤكد ذلك ما روي عن عبد الله بن عون قال: قال الحسن: قُتل عثمان وأنا ابن أربعة عشرة سنة[2]، وقال الفضيل: سمعت الحسن يقول أنا يوم الدار ابن أربعة عشر سنة[3]، وقد استشهد عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين[4]، ومن كان سنتها ابن أربع عشرة سنة فسوف يكون مولده سنة إحدى وعشرين هجرية.

مكان ولادته ونشأته:

لقد روى الأصمعي عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان وكان أعلم الناس بالحسن: أنه ولد وهو مملوك، وقال حجاج بن نصير: سبيت أم الحسن البصري من ميسان وهي حامل به، وولدته بالمدينة[5]، وقيل ولد بالرَّبَذَة[6]، وقيل ولد في معرة مصرين[7]، وقال آخرون أن يسار من أهل نهر المرأة[8]، ونشأ بالمدينة وقيل أنه نشأ بوادي القرى[9]، وقد تردد يحيى بن معين في نشأة الحسن فقال: يقولون أنه نشأ بوادي القرى[10]، ويقولون بالمدينة[11].

أما من قال بنشأته في وادي القرى وغيرها فمن المرجح أنه مكث بوادي القرى ثم عاد للإقامة بالمدينة، أو أنه كان يتردد ما بين القرى ويستقر الأغلب في المدينة، لما ثبت عنه رؤيته

---

(1) – ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 717.

(2) – البغدادي: أخبار القضاة، ج 2، ص 6.

(3) – البخاري: التاريخ الكبير، ج 2، ص 273.

(4) – ابن حجر: تقريب التذهيب، ص 667.

(5) – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج، 4، ص 564.

(6) – من قرى المدينة المنورة تقع في الشرق إلى الجنوب من بلدة الحناكية وهي على بعد 100كم في طريق الرياض.

(7) – الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 534.

(8) – ابن قتيبة: عبد الله: المعارف، ج 1، ص 441؛ ابن حبان: أخبار القضاة، ج 2، ص 4.

(9) – وكيع: أخبار القضاة، ج 2، ص4.

(10) – يبعد الوادي عن المدينة المنورة بما يقارب 350 كم شمالاً.

(11) – وكيع: أخبار القضاة، ج، 2، ص 4.

وسماعه لعثمان رضي الله عنه في المسجد النبوي وهو يخطب يوم الجمعة[1]، وثبت أنه دخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويمس سقف البيت بيده[2]، والقول بأن نشأته بالمدينة أصح وأثبت لوجود ما يدل عليها وكثرة ما يشهد لها.

ولربما أن من أسباب البركة التي نتج عنها معرفته وعلمه وحكمته والتي مُنيَ بها رحمه الله هي:

- أنه عاش في بداية طفولته في بيت النبوة مع أمه كونها كانت مولاة أم سلمة[3].
- بركة مكوثه في بيت النبوية عند أم سلمة رضي الله عنها[4].
- أثر بركة دعاء الصحابة رضي الله عنهم لهذا المولود، حيث يروى أن أمه كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر بن الخطاب فدعا له فقال: "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"[5].
- أنه عاش مع والده يسار الذي كان يعمل في الشئون الزراعية وهذا ما يدعو الأنسان للاعتقاد بأنه قد تربى من مصدر حلال وهو سبب من أسباب البركة التي حلت فيه[6].

قضى الحسن البصري مرحلة الطفولة والصبا في المدينة المنورة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ يتردد على المسجد النبوي، وفيه كان يرى ويسمع من بعض الصحابة الكرام، ونتيجة لذلك حفظ القرآن الكريم والكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض أقوال الصحابة رضي الله عنهم الذين نهلوا من معين النبوة الصافية[7].

---

(1) – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 115؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 39، ص 326؛ الذهبي: سير ألعام النبلاء، ج 4، ص 564.

(2) – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 118؛ البخاري: الأدب المفرد، ص 120؛ البيهقي: شعب الأيمان، ج 13، ص 234.

(3) – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 114؛ ابن قتيبة: المعارف، ص 440.

(4) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 137.

(5) - ابن حجر: تهذيب الكمال، ج 3، ص 303.

(6) - بيومي: الحسن البصري وصلته بالحكام، ص 2.

(7) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 115؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 39، ص 326؛ الذهبي: سير ألعام النبلاء، ج 4، ص 564.

وكان قد بلغ وهو في المدينة المنورة الرابعة عشر من عمره، وتعلم الكتابة وضبط الحساب، مما أهله بعد ذلك لأن يكون كاتباً للربيع بن زياد الحارثي وآلي خرسان، وأحد فاتحيها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يقتصر تردده على بيت الله تعالى لأخذ العلوم والمعارف المختلفة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو في شبابه، بل كان يتردد مع أمه في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يكتسب من هذا الفقه في الدين كالمسجد[1].

وفي المدينة المنورة شهد الحسن ما تواقع فيه المسلمون من فتن مثيرة أدت إلى سفك الدماء، حتى أستشهد بسببها الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهذه الصورة الدامية انطبعت في ذهن الحسن البصري مما جعله دائماً ينفر من الفتن مدة حياته، ولعل هذه الصورة البشعة هي من الأسباب التي غرزت في نفسه عاملي الخوف والحزن الذين لازماه طوال العمر، ومما يدلل على حضوره حقبة مصرع الخليفة وهو في المدينة قوله "كنت في المدينة يوم قتل عثمان وكنت ابن أربعة عشر سنة"[2].

ومن الروايات التي تؤكد مكوثه في المدينة ما روي أن الحسن رحمه الله رأى عثمان وسمع خطبته ورأى علياً ولم يثبت سماعه منه[3]، وقال أبو زرعة أن الحسن رأى بعض الصحابة[4]، وقيل لقي سبعين بدرياً ورأى ثلاثمائة صحابي[5].

انتقال الحسن وأسرته إلى البصرة:

انتقل الحسن البصري إلى البصرة سنة (36هـ= 657م) في ولاية عثمان بن حنيف، وكان هذا الإنتقال لاعتبارات متعددة كالحنيين للوطن لأن أسرته جاءت من البصرة مع السبي، وخروج الأمام علي كرم الله وجهه من المدينة، والتكسب، إلى غير ذلك[6].

---

(1) - ابن قتيبة: المعارف، ص 440؛ ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 114.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 118؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 39، ص 329؛ الذهبي: سير ألعام النبلاء، ج 4، ص 567.

(3) - النسائي: ذكر المدلسين، ج 1، ص 29.

(4) - ابن ادريس الرازي: المراسيل، ج 1، ص 32.

(5) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 257.

(6) - بيومي: الحسن البصري وصلته بالحكام، ص 4.

وحينما رحل الحسن إلى البصرة كان العراق يموج بالمناقشات والجدل، وهي ميدان للفتن والحروب والتناحر المذهبي بين الشيعة والخوارج، وفي ذلك المزدحم من الآراء والأفكار وفي ذلك المزيج من النحل والأهواء اكتملت للحسن رجولته، والنفس القوية تستخلص غذائها الروحي من كل الأفكار، كالرجل القوي يستخلص من حسك السعدان غذائه المادي، فلا عجب إذا تغذت نفس الحسن من هذه الأفكار المتضاربة والآراء المتناحرة، واستخلصت من بينها ما ينميها ويقويها، والنفس القوية تستفيد من باطل الآراء كما تستفيد من صحيحيها، إذا عرفت ما في الباطل من دخل، وما في ثناياه من خطل، فيكون ادراكها للحق على بينة ويقين، وليس قوياً في نفسه ذلك الذي يتحير في وسط الشبهات، ومتنازع الأهواء والأفكار ولكن القوي في نفسه هو الذي يتخير مذهبه الحق، وسط أعاصير الأهواء، فلا يتطرق الشك إلى قلبه ولا يرد الاضطراب إلى نفسه، بل لا يزيده اضطراب الآراء إلا يقيناً، ولا تنازعه الأفكار إلا تثبيتاً[1].

وأخذت المدارس الفقهية في عصر الحسن تُبيين مناهجها ما بين ما تعلمه الحسن في الحجاز وما يتم تعليمه في العراق، وكلها يلتمس ينبوعه من علم الرسول عليه الصلاة والسلام وما نقله أصحابه، والاختلاف إنما هو في المنهج والتخريج، في معترك الآراء ومضطرب المذاهب استطاع الحسن البصري أن يتخذ له مذهباً يدين له في الدين، آمن به حق الإيمان، وأذعن له حق الإذعان، وكان كالطود الأشم، تصطدم الرياح فتبدد حوله، وهو جاثم في مكانه، يستخلص من تلك الفتن ما يدعم حجته وينير مهجته، ويقوي به دعوته[2].

وفي البصرة تزوج الحسن من أصل غير عربي، لأن ما تعارف عليه في زمانه ألا يُزوج غير العربي بالعربية والعكس، ورزق الحسن بولدين سعيد وكان يكنى به، وعبد الله، كما رزق بنتاً[3].

وحينما رزق الحسن بأحد أبناءه قال بعض جلسائه: بارك الله في هبتك، وزادك من أحسن نعمته، فقال الحسن: "الحمد لله على كل حسنة، ونسأل الله الزيادة في كل نعمة، ولا مرحباً

---

(1) - بيومي: دراسة عن حياة الحسن البصري، ص 144.

(2) - بيومي: دراسة عن حياة الحسن البصري، ص 144.

(3) - وابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 125، 126؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 7، ص 98؛ ابن عساكر: التهذيب، ج 3، ص 319.

بمن كنت عائلاً أنصبي، وإن كنت غنياً أذهلني، لا أرضى بسعي له سعياً، ولا بكدي له كدّاً حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتي، وأنا في حال لا يصل إلى من غمه حزن، ولا من فرحه سرور"[1].

وفي هذا الرد للحسن البصري على بعض جلسائه درس بليغ في كيفية استقبال النعم، ومعرفتها على حقيقتها، والشكر عليها.

وكان رحمه الله كثير التردد على المسجد مواظباً على صلاته وعبادته، يؤدي ما عليه من عبادات تقربه إليه سبحانه، ويؤدي ما يجب عليه نحو نفسه من تهذيب وتعليم، على يد أصحاب رسول الله ومن تبعهم، ونحو الناس الذين كان يعيش بينهم، وكان يعمل على قضاء حوائج جيرانه ولا يحتقر منهم أحداً، وكان يحسن لجيرانه حتى جاره اليهودي، وكان راعياً ومشرفاً على أسرته وأسرة أخيه سعيد الذي مات قبله[2].

وقضى الحسن رحمه الله معظم حياته بين جدران بيته المتواضع الذي يقيه برد الشتاء وحر الصيف، وبساطته من حيث المبنى وما فيه من الأدوات التي تذكر بما كان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فبيته لا فراش ولا بساط ولا حصير فيه، إلا سرير مرمول عليه – أي منسوج من العسف بالحبال–[3].

طبقة الحسن البصري:

كان الحسن البصري من الطبقة الوسطى من التابعين[4]، وعاشر بعض الصحابة وأخذ عنهم العلم وتأثر بهم وسار على نهجهم ودينهم[5].

---

(1) - وابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 125، 126؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 7، ص 98؛ ابن عساكر: التهذيب، ج 3، ص 319.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 128؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 4، ص 154.

(3) - الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 4، ص 104.

(4) - التابعي: هو من لقي بعض الصحابة وتبعهم بإحسان، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم. (ابن الصلاح: علوم الحديث، ص 302).

(5) - القرطبي: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ج 1، ص 217؛ ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 11، ص 137.

صفاته:

امتاز الحسن رحمه الله بصفات وشمائل تزيده جمالاً إلى جمال علمه ومعرفته، ومن صفاته أنه كان صاحب وجه جميل، وهذا ما كان يوصفه به من عايشه، فقال الأشعث بن سوار أردت أن أقدم البصرة لألقى الحسن، فأتيت الشعبي فسألته فقلت: يا أبا عمْرو إني أريد أن آتي البصرة، قال: وما تصنع بالبصرة؟ قلت: أريد أن ألقى الحسن فصفْه لي قال: نعم أنا أصِفه لك: إذا دخلت البصرة، فادخل مسجد البصرة، فارْم ببصرك، فإذا رأيت في المسجد رجلاً ليس في المسجد مثله، أو لم تر مثله فهو الحسن، قال الأشعث: فأتيت مسجد البصرة، فما سألت عن الحسن أحداً حتى جلست إليه بنعت الشعبي[1].

وقال عاصم الأحول: قلت للشعبي لك حاجة؟ قال نعم، إذا أتيت البصرة فأقرئ الحسن مني السلام، قلت لا أعرفه، قال إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجملِ رجل تراه في عينيك، وأهيبه في صدرك، فأقرئه مني السلام، قال فما عدا أن دخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس، فأتاه وسلم عليه[2]، وقيل أنه كان يشبه برؤبة بن العجاج[3] في فصاحة لهجته وعربيته[4].

وكان الحسن من أفصحِ أهل البصرة لساناً وأجملهم وجهاً، وأعبدِهم عبادةً، وأحسنهم عِشْرةً ، وأنقاهم بدناً[5]، وقال ابن خلكان: كان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث[6]، وحكى الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت أعرض زنداً من الحسن، كان عرضه شبراً[7]، وكانت العرب تحمد ذلك، وتمدح به[8]، وقال الذهبي، كان رجلاً تام الشكل، مليح الصورة، بهياً[9]،

---

(1) - ابن حجر: تهذيب الكمال، ج 6، ص 106.

(2) - ابن حجر: تهذيب الكمال، ج 6، ص 106.

(3) - هو أبو محمد رؤبة بن العجاج والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله ابن رؤبة البصري التميمي السعدي وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما، له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز وهما مجيدان في رجزهما وكان بصيرا باللغة قيما بحوشيها وغريبها. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص304/303).

(4) - ابن قتيبة: عبد الله: المعارف، ج 1، ص 441.

(5) - ابن حبان: كتاب الثقات، ج 4، ص 123.

(6) - وفيات الأعيان، ج 2، ص 70.

(7) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 70.

(8) - الآجري: الشريعة، ج 3، ص 1521.

(9) - ابن حجر: تهذيب الكمال، ج 6، ص 109.

وكانت له هيبة وسمْت حسن، فقال يونس بن عبيد: إن كان الرجل ليرى الحسن، لا يسمع كلامه، ولا يرى عمله، فينتفع به[1].

قال هشام بن حسان وهو أحد تلاميذه: كان الحسن أشجع أهل زمانه، وقال جعفر بن سليمان: كان الحسن من أشد الناس، وكان المُهَلب إذا قاتل المشركين يقدّمه[2]، –أي يجعله في مقدمة الجيش–، وكان مجاهداً غازياً[3]، وقال الذهبي: كان من الشجعان الموصوفين [4].

فهذه ميزة في الحسن رحمه الله، وهو معروف برقة القلب وبالوعظ، لكنه قلَّما يعرف بأنه كان رجلاً شجاعاً مقداماً مقاتلاً، وكان يُقَدَّم في القتال، كان قوي البنية، شديد البأس، وهذا يدل على أن الإنسان الزاهد الواعظ ليس من طبعه الضعف، ولا تلازم بين ضعف البدن والزهد وأن يكون واعظاً، فقد يكون الإنسان واعظاً رقيق القلب وهو من أشجع الشجعان، ولا تعني الشجاعة وقوة الجسد غلظة القلب بالضرورة أبداً، كما أن رقة القلب وكثرة البكاء من خشية الله تعالى والوعظ لا تعني أن الواعظ يجب أن يكون ضعيف البدن، فهذا الحسن رحمه الله قوي البنية، ومع ذلك فهو غاية في رقة القلب.

(1) - ابن سعد: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 578.

(2) - ابن سعد: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 579.

(3) - البلاذري: فتوح البلدان، ج 4، ص 209.

(4) - ابن سعد: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 572.

المبحث الثاني: مسيرته العلمية.

رحلاته وعلمه وجهاده:

تقدم القول بأن الحسن ولد في المدينة، ونشأ في وادي القرى، وجاءت الأخبار تؤكد أنه خرج من المدينة متجهاً للبصرة ليالي صفين حين وقعت الفتنة بين الصحابة، فيروى أن أبي رجاء قال للحسن: "متى عهدك بالمدينة يا أبا سعيد؟ قال: ليالي صفين، قال: قلت: فمتى احتلمت؟ قال: بعد صفين عاماً[1]، وصفين كانت سنة سبع وثلاثين[2] فكان هذا آخر عهده بالمدينة حيث لم يذكر عنه أنه عاد إليها بعد أن خرج منها، ومما يدل على ذلك قول علي بن المديني: "لم يسمع الحسن من أحدٍ في المدينة إلا من عثمان بن عفان"[3]، ولو كان قد عاد إليها بعد أن خرج منها فلا يتصور عدم سماعه ممن بقي من الصحابة فيها.

أما عن رحلاته في طلب الحديث فقال الذهبي: "...ولم يطلب الحديث في صباه، وكان كثير الجهاد"[4]، فمكث في جهاده سنين[5]، وكانت رحلاته للجهاد أو الحج، قال سليمان التيمي: "كان الحسن يغزو، وكان مفتي البصرة جابر بن زيد أبو الشعثاء، ثم جاء الحسن فكان يفتي"[6]، باستثناء ما ورد عن الحسن قال: "رحلت إلى كعب بن عجرة من البصرة"[7].

وقال عبد المؤمن بن عبيد الله: "سمعت رجلاً سأل الحسن فقال: يا أبا سعيد هل غزوت قط؟ قال: نعم، غزوت كابُل مع عبد الرحمن بن سمرة[8]، وقال محمد بن عمر: وروى الحسن عن عبدالرحمن بن سمرة أنه غزا معه كابُل[9]، والأَنْدُقان، والأَنْدَغان، وزابُلِسْتان[10] ومكث في الغزو ثلاث سنين[11].

---

(1) - العوني: المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، ج 1، ص 239.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 115.

(3) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 52.

(4) - سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 572.

(5) - ابن المقرئ الأصبهاني: معجم ابن المقرئ، ج 3، ص 70.

(6) - السمعاني: قواطع الأدلة في الأصول، ج 1، ص 20؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 572.

(7) - الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص 143.

(8) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 129.

(9) - كابل بضمّ الباء: مدينة معروفة فى بلاد التّرك. بن محمد البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج 4، ص 1108.

(10) - جنوبي بلخ وطخارستان، هي كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان وهي زابل، والعجم يزيدون السين وما بعدها في أسماء البلدان شبيها بالنسبة، وهي منسوبة إلى زابل جدّ رستم بن دستان، وهي البلاد التي قصبتها غزنة البلد المعروف العظيم. (الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص125).

(11) – أبي داود: سؤلات الآجري، ص 148.

كما لم يذكر عنه أنه قَدِم الحجاز إلا حاجاً[1] ولم يحج الحسن إلا حجتين، حجة في أول عمره، وأخرى في آخر عمره[2]، وقال الآجري: "سمعت أبا داود يقول: لم يحج الحسن إلا حجتين، وكان يكون بخراسان"[3].

أشهر شيوخه:

روى الحسن عن عدد كبير من الصحابة والتابعين، أما الصحابة فقد تُكُلِّمَ في سماعه من بعضهم، فنقل الزيلعي كلام البزار في شيوخ الحسن من الصحابة فقال: "عن أبي هريرة: سمع الحسن البصري من جماعة من الصحابة، وروى عن جماعة آخرين لم يُدْرِكْهُم، وكان صادقاً متأولاً في ذلك، فيقول: حدثنا وخطبنا ويعني قومه الذين حدَّثوا وخطبوا بالبصرة، فأما الذين سمع منهم فهم: أنس بن مالك، ومعقل بن يسار، وعبدالله بن مغفل، وعائذ بن عمرو، وأبو برزة، وعبدالرحمن بن سمرة، وعمران بن حصين، وأبو بكرة، وسمع من سوار بن عمرو، وعمرو بن تغلب، وسعد مولى أبي بكرة، وروى عن عثمان ابن أبي العاص وسمع منه، وروى عن محمد بن مسلمة، ولا أبعد سماعه منه، وأما قوله: خطبنا ابن عباس بالبصرة، فقد أُنكر عليه، لأن ابن عباس كان بالبصرة أيام الجمل، وقدم الحسن أيام صفين، فلم يدركه بالبصرة، وتأول قوله: خطبنا أي خطب أهل البصرة وكذلك قال: حدثنا الأسود بن سريع، والأسود قدم يوم الجمل فلم يره، ولكن معناه حدَّث أهل البصرة، وقال علي بن زيد عن الحسن: إن سراقة بن مالك حدَّثهم، وإنما حدَّث من حدَّثه، ولذلك لم يقل: ثني، وروى عن أبي موسى الأشعري، وأبو موسى إنما كان بالبصرة أيام عمر، فلا أحسبه سمع منه، وقد رأى جماعة جلة: منهم عثمان بن عفان، وقد حدَّث عن أسيد بن المشمس عن أبي موسى، وعن قيس بن عباد، وحدَّث عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ولا أعلمه سمع من واحد منهما، وبأحاديث رواها عن جندب بن عبد الله البجلي بأحاديث عن النبي صلى لله عليه وسلم، وبحديث روها عن جندب بن حذيفة، وحدَّث عن النعمان بن بشير، ولا أحسبه سمع منه، لأن النعمان لا نعلمه دخل البصرة، وإنما كان بالكوفة، وقد رأيته يُحدِّث عن رجل عنه، وحدَّث عن عقبة بن عامر بِشك، فقال: عن سمرة أو عقبة، وقال: يونس عن الحسن عن عقبة، من غير شك، ولا أحسبه سمع منه، وحدَّث عن عبادة بن

(1) - الهاجري: التابعون الثقات، ص 219.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 129.

(3) - أبي داود: سؤلات الآجري، ص 148.

الصامت، ولم يسمع منه، وبينهما خطاب بن عبدالله، وحدَّث عن سلمة بن المحبق، ولم يسمع منه، وبينهما جَوْن ابن قتادة وقبيصة، وحدَّث عن صعصعة بن معاوية، وحدَّث عن عتبة بن غزوان ولم يسمع منه، لأنه إنما دخل البصرة أيام عمر بعثه أميراً عليها، ثُمَّ انصرف عنها ومات ولم يسمع منه، وروى عن علي بن أبي طالب غير حديث، ولم يسمع منه، وعتبة روى عن النبي حديث واحداً، وبينهما قيس بن عباد، وابن الكوَّاء روى عن أنس مراسيل، ولا يثبت له منها إلا ما كان فيه بينهما رجل، كأبي سفيان، ويزيد الرقاشي وغيرهما، وروى عن أبي هريرة أحاديث، ولم يسمع منه، وروى عن ثوبان حديثاً واحداً ولم يسمع منه، وروى عن أسامة بن زيد حديثين ولم يسمعهما منه، وروى عن جابر بن عبدالله أحاديث ولم يسمع منه، وروى عن العباس بن عبدالمطلب ولم يسمع منه، وبينهما الأحنف بن قيس، ولم يثبت له سماع من أحد من أهل بدر، ولا حديثاً واحداً وذكر الحسن أنه رأى طلحة، والزبير في بعض بساتين المدينة[1].

والحسن لم يسمع من أبى هريرة ولا من جابر ولا من ابن عمرو ولا من ابن عباس رضى الله عنهم شيئا قط وإنما روايته عنهم تدليس[2]، وأما التابعون فقد روى عن الأحنف بن قيس، وأسيد بن المُتَشَمِّس، وأنس بن حكيم الضبي، وحُريث بن قُبيصة، ويقال قُبيصة بن حُريث، وحِطَّان بن عبدالله الرقاشي، وحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وزياد بن رِياح، وسعد بن هشام بن عامر الأَنْصارِي، وعُنَّي بن ضمرة السَّعدي، ومُطَرِّف بن عبدالله بن الشِخِّيْر، ونُفيع أبي رافع الصائغ، وأمه أم الحسن خيرة[3].

أشهر تلاميذه:

كان الحسن البصري من علماء أهل السنة واهتم رحمه الله بالعلوم كلها منها الفقه والزهد والتفسير والسياسة، وكان له مجلس خاص في منزله لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك[4]، وقد تأثر بمدرسة الحسن البصري مجموعة من خيرة علماء أهل السنة من الذين عاصروه وتلقوا العلم عنه، منهم:

(1) - االزيعلي: نصب الراية لأحاديث الهداية وبغية الألمعي في تخريج الزيلعي، ج 1، ص 90،91.
(2) - السمعاني: قواطع الأدلة في الأصول، ج 1، ص 348.
(3) - المزي: تهذيب الكمال في اسماء الرجال، ج 4، ص 298،299.
(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 579.

1- أيوب السختياني:

هو الإمام الحافظ سيد العلماء، أبو بكر بن أبي تميمة كيسان[1]، كان ثقة ثبتاً في الحديث، جامعاً عدلاً، ورعاً، كثير العلم[2]، وكان إذا سئل عن شيء ليس عنده فيه شيء قال: أسأل أهل العلم وكان كثيراً ما يقول: لا أدري، حتى قال حماد بن زيد: ما رأيت أحداً أكثر من قول: لا أدري من أيوب ويونس، وكان يحب ستر زهده ويقول: لأن يستر الرجل زهده خير له من أن يظهره، وحج أيوب أربعين حجة، وكان عبيد الله بن عمر يرتاح قلبه في موسم الحج بلقاء أقوام نور الله قلوبهم بالإيمان، منهم أيوب[3]، وكان صديقاً ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، فلما تولى يزيد الخلافة قال أيوب: اللهم أنسه ذكري، وكان شديد التبسم في وجوه الناس[4].

2- مالك بن دينار:

علم العلماء الأبرار، معدود من ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته[5]، كان لا يتأثر بالمدح والذم: قال: مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره ذمهم لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط، إذا تعلم العالم العلم للعمل كسره، وإذا تعلمه لغير العمل زاده فخراً[6]، وتوفي سنة (127هـ= 744م وقيل 130هـ = 747م) .[7].

3- محمد بن واسع:

الإمام الرباني القدوة[8]، كان من ضمن جيش قتيبة بن مسلم وقد أقام مدة في خراسان[9]، قال عنه مالك بن دينار: القراء ثلاث: فقارئ للرحمن، وقارئ للدنيا، وقارئ للملوك، ويا هؤلاء محمد بن واسع عندي من قراء الرحمن[10]، وكان الحسن البصري يسميه زين القراء[11]، ومن أقواله: إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله بقلوب العباد عليه، وقال: يكفي من الدعاء مع الورع يسير[12].

---

(1) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 572.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 15.

(3) - الأصبهاني: حلية الاولياء، ج 3، ص 4.

(4) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 3، ص 6.

(5) - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 5، ص 362.

(6) - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 5، ص 362.

(7) - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 5، ص 362/ 364.

(8) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 119.

(9) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 353؛ بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي صـ217.

(10) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 345؛ بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي صـ 214.

(11) - بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي صـ214.

(12) - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 6، ص 121.

4- واصل بن عطاء:

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي الملقب بالغزال الألثغ، كان تلميذاً للحسن البصري، ومؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية، حصل خلافاً بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن "اعتزلنا واصل" فتسمت فرقته بالمعتزلة وانضم إليه عمرو بن عبيد، وتوفي في عام(131 هـ = 748م)[1].

وأشهر تلاميذه الذين تلقوا عنه علم القراءات:

روى عنه القراءة عرضاً وسماعاً خلق كثيرون منهم أبو عمرو بن العلاء، وسلام ابن سليمان الطويل، ويونس بن عبيد، وعاصم الجحدري، وأبي عمر عيسى بن عمر الثقفي، وله راويان هما: شجاع البلخي، وحفص بن عمر الدوري[2].

ومن تلاميذه الذين رووا عنه أبو العلاء الكوفي[3]، وسلم بن أبي الذيال البصري[4]، وسلام بن أبي عمرة الخراساني كنيته أبو علي[5]، وطارق بن أبي الحسناء[6].

وكذلك روى عنه الحسن خالد بن عبد الله بن خالد الأحدب وهو بن عبد الله بن محرز بن أخي صفوان بن محرز المازني، وحسان بن جعدة وعبد الحميد بن صالح، وزياد المصفر أبو عثمان مولى مصعب بن الزبير، زفر بن شميس[7]، وسعيد بن أبى الحسن وهو بن يسار أخو الحسن، وشعبة بن الحجاج أبو بسطام وهو بن الحجاج بن الورد مولى العتيك بصرى أصله واسطي، وصالح بن مقسم، وصلت بن أبى عثمان الأزدي القطان، وعبد الله بن ثابت البناني[8]، وعبد الرحمن بن سنان أبو روح الحمصي السكوني، وعمر بن ربيعة أبو ربيعة الأيادي، وابن

---

(1) - البغدادي: الفرق بين الفرق ، ص117-118 ؛ الشهرستاني: الملل والنحل 42/1 .

(2) - الأهوازي: مفردة الحسن البصري، ص 152.

(3) - ابن حبان: الثقات، 1، ص 148؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص 4.

(4) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 11، ص 220.

(5) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 12، 292.

(6) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 3 1، ص 373.

(7) - ابن ادريس الرازي: الجرح والتعديل، ج3، ص 608/236.

(8) - الرازي: الجرح والتعديل، ج 4، ص 608/369.

بشر أبو بشر الحلبي[1]، وقتادة بن سليمان البصري[2]، ومحمد بن سيف أبو رجاء الحداني البصري[3]، و يحيى بن سعيد بن أبى الحسن بن أخو الحسن البصري[4].

هذه نخبه من تلاميذ الحسن وممن رووا عنه، ولم نحصرهم جميعاً لكثرتهم، فمن الواضح أن كثرة تلاميذه تظهر مكانته العملية التي حظي بها، وتظهر مدى التفاف طلبة العلم حوله الذين أصبح الكثير منهم من العلماء المعتبرين.

مجالس الحسن العلمية:

كان للحسن رحمه الله مجلساً للعلم في المسجد، وكان هذا المجلس موصوفاً ومشهوراً لدرجة أنه كان المقياس الذي توزن به درجة الثقافة الإسلامية في وقته، خاصة بعد الإختلاف التي اعترى الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما لحق بالدولة الاسلامية زمن الخلافة من فتن وظهور الفرق من شيعة وخوارج وقدرية[5] وجهمية، هذا ما زاد من حدة الجدل بين المسلمين، ثم ما كان أن التفت هذه التيارات المختلفة جميعاً عند رجل له مكانة في تاريخ الإسلام العقلي وهو الحسن البصري[6].

وثاني المجلسين في بيته مع بعض أصفيائه من أهل الزهد والورع وطلبة العلم، وكان يعني بهم عناية خاصة، حتى أن أهله يملون منهم لطول ما يجلسون معه، ولكن سرعان ما يبين لأهله أهميتهم وحبه لهم، فيصرفون النظر عنهم ويتركونه يتمتع بمجلسهم، هذا المجلس كان جل الحديث فيه عن الرقائق، وكان إذا ما سأله أحد من الناس عن هذه الجلسة المنزلية قال إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر[7].

---

(1) - الرازي: الجرح والتعديل، ج 5، ص 242/20.

(2) - الرازي: الجرح والتعديل، ج 6، ص 294.

(3) - الرازي: الجرح والتعديل، ج 7، ص 135.

(4) – الرازي: الجرح والتعديل، ج 8، ص 149.

(5) – معنى القدرية هم الذين يقولون بعدم خلق الاعمال، فالجبري يقول القدري من يقول: الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله وقضائه وقدره. (الرازي: التفسير الكبير، ج 29، ص 62).

(6) - بيومي: دراسة بعنوان الحسن البصري وصلته بالحكام، ص 119.

(7) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، 165.

وكان رحمه الله يختم مجلسه بهذا الدعاء: اللهم طهر قلوبنا من الشرك والكبر والنفاق والرياء والسمعة والريبة والشك في دينك، يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك واجعل ديننا الإسلام القيم[1].

علمه:

إن القارئ لسيرة الحسن يرى أنه كسب علماً غزيراً عظيماً من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم، وازداد علمهُ لأنه عاش الفتن جميعها بداية بفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه مروراً بفتنة صفين والجمل وانتهاءً بفتن عصفت بالدولة الأموية، ولهذا استحق أن يكون من أعلم التابعين، وما تحصل عليه من علم جعل كثيراً ممن عاصره من العلماء يثني عليه لمعرفتهم بعلمه وفقهه وثقافته وحكمته، ومن جملة ما يدلل على ذلك:

عظيم حفظه ومتانة علمه ورزانته، حيث يروى أن أنس بن مالك حينما سئل عن مسألة قال عليكم بمولانا الحسن فسلوه، فقالوا يا أبا حمزة، نسألك وتقول سلوا مولانا الحسن، فقال إنا سمِعْنا وسمِع، فحفِظ ونسِينا[2].

وقد شُهد له بسعته واطلاعه الكبيرين في علم الفقه، فقال قتادة بن دعامة[3]: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام[4]، وقال بكر بن عبد الله المزني[5]: من سره أن ينظر إلى أفقه من

---

(1) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 4، ص 105.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ، ص 176.

(3) – هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان أبو الخطاب البصري الأعمى. (سليمان بن خلف بن سعد: التعديل والتجريح، ج3، ص1064).

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ، ص 163.

(5) - بكر بن عبد الله المزني وهو بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال كان أبوه من الصحابة وكان بكر من المتعبدين وأهل الفضل في الدين ممن لزم التواضع الشديد في الأوقات والازدراء على نفسه في الحالات أدرك ثلاثين من فرسان مزينة منهم عبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار مات سنة ست ومائة. (ابن حبان: مشاهير الأمصار، ج1، ص90).

رأينا، وما رأينا الذي هو أفقه منه فلينظر إلى الحسن[1]، وقال أبو قتادة العدوي البصري[2]: عليكم بهذا الشيخ يعني– الحسن– فخذوا عنه، والله ما رأيت رجلاً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه[3].

وكان رحمه الله يزداد علماً يوماً بعد يوم، كما قال الربيع بن أنس البكري[4]: "اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله من ذلك فليس من يوم إلا وأنا أسمع منه شيئاً لم أسمعه قبل ذلك"[5]، وقال حميد الطويل البصري[6] ويونس بن عبيد العبدي[7]: "قد رأينا العلماء فما رأينا أجمع من الحسن"[8]، وقال أيوب السختياني[9]: "لو رأيت الحسن لقلت أنك لم تجالس فقيهاً

---

(1) - ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل، ج 1، ص 42.

(2) - هو أبو قتادة العدوي تميم بن نذير روى عنه محمد بن سيرين وحميد بن هلال وإياس بن نذير الضبي يروي عن أبيه روى عنه ابنه رفاعة ويحيى بن سعيدالتيمي وقيل فيه إياس بن هذيل وروى عن شبرمة بن الطفيل أنه رأى عليا رضي الله عنه بذي قار يهنأ بعيرا له في شدة الحر وإن جبهته لترشح عرقا وعن ابن مسعود روى عنه أبو حيان ومن ولده محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس بن نذير يروي عن أبي بكر بن عياش وعبد السلام بن حرب وابن عيينه وأبي معوية وغيرهم وثابت بن نذير أندلسي من أهل الحديث مات بها سنة ثمان عشرة وثلاثمائة قاله ابن يونس كذلك هو بخط الصوري (ابن هبة الله: الإكمال، ج7، ص258).

(3) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 161.

(4) - هو الربيع بن أنس البكري أو الحنفي بصري نزل خراسان صدوق له أوهام ورمي بالتشيع من الخامسة مات سنة أربعين أو قبلها 4. (ابن حجر: تقريب التهذيب، ج، ص205).

(5) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، 162.

(6) – حميد الطويل بن أبي حميد واسم أبي حميد تيرة ويقال تيرويه ويقال عبدالرحمن ويقال داود ويقال زاذويه ويقال طرخان ويقال مهران مولى طلحة الطلحات الخزاعي البصري وهو طلحة بن عبدالله بن خلف ويقال انما قيل الطويل لقصره فكان قصير القامة طويل اليدين فسمي حميد الطويل كنيته أبو عبيدة، ولد سنة ثمان وستين ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة. (بن منجويه: رجال مسلم، ج1، ص161).

(7) - هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي القيسي البصري مولى عبد القيس كنيته أبو عبدالله ولد بالكوفة ونشأ بالبصرة وكان من سادات أهل زمانه علما وحفظا وإتقانا وسنة وبغضا لأهل البدع، مات سنة ثمان أو تسع وثلاثين ومائة. (ابن منجويه: رجال مسلم، ج2، ص367).

(8) - ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ج 7، ص 232؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 162؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 47.

(9) - هو أيوب السختياني الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العتري مولاهم البصري الآدمي ويقال ولاؤه لطهية وقيل لجهينة، عداده في صغار التابعين سمع من أبي بريد عمرو بن سلمة الجرمي وابي عثمان النهدي وسعيد ابن جبير وابي العالية الرياحي وعبد الله بن شقيق وابي قلابة الجرمي ومجاهد بن جبر والحسن البصري ومحمد بن سيرين وامم سواهم، مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين وقد راى انس بن مالك وما وجدنا له عنه رواية مع كونه معه في بلد وكونه ادركه وهو ابن بضع وعشرين سنة قرأت على أسحاق بن أبي بكر أنبأنا ابن خليل أنبأنا اللبان أنبأنا الحداد. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص17/16).

قط"[1]، وقال ابن تيمية: "كان يقال إن أفقه الناس في البيوع سعيد بن المسيب، وعطاء أفقه الناس في المناسك، وإبراهيم أفقههم في الصلاة، والحسن أجمعهم"[2]، وكان الحسن رحمه الله ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها[3].

ورغم ما اشتهر عن الحسن رحمه الله من قوة وفصاحة في العلم إلا أن بعض الروايات ذكرت أنه كان يدلس، وما يدل على ذلك ما رواه الذهبي أن الحسن مع جلالته فهو مدلس، وأنه لم يطلب الحديث في صِباه، وكان كثير الجهاد[4]، وقال في ميزان الاعتدال: ثقة لكنه يدلس عن أبي هريرة وغير واحد فإذا قال: حدثنا فهو ثقة بلا نزاع، وأما مسألة القدر فصح عنه الرجوع عنها، وأنها كانت زلقة لسان[5]، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل كان يرسل كثيراً ويدلس، ورجح الألباني أن رواية الحسن بالعنعنة لا تصح في الصحابة، ولكن تصح في التابعين[6]، وعده ابن حجر في المرتبة الثانية ممن احتمل الأئمة تدليسه[7].

علو شأنه:

أصبح الحسن رحمه الله صاحب علم وفقه يرجع إليه في كثير من المسائل الفقيه، حتى جعل البعض يتورعوا عن إجابة أسئلة الناس ويحيلوهم إلى الحسن لأنه صاحب رأي، فكان من الأعلام المعروفين فقال الزهري[8]: "العلماء أربعة، سعيد بن المسيب[1]بالمدينة، وعامر الشعبي[2] بالكوفة، والحسن بن أبي الحسن بالبصرة، ومكحول[3] بالشام"[4].

---

(1) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 168؛ المغروايي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج 2، ص 79.

(2) - ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج 4، ص 19.

(3) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 257.

(4) - البلاذري: فتوح البلدان، 1، ص 388؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 575؛ الحميري: الحور العين، ج 1، ص 29.

(5) - البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ج 1، ص 15؛ ابن المرتضى: المنية والأمل، ص 15.

(6) - الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 2، ص 510.

(7) - الأصبهاني: أخلاق النبي وآدابه، ج 3 ص 300.

(8) - هو عبد الله بن سنان الزهري الكوفي نزيل بغداد، روى عباس عن يحيى ليس حديثه بشيء وقال أبو حاتم ضعيف قلت له عن ابن المنكدر وزيد بن أسلم وهشام بن عروة قال أحمد بن حاتم الطويل حدثنا عبد الله بن سنان عن هشام عن أبيه عن عائشة حديث ما أسكر كثيرة فقليله حرام. (الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج4، ص116).

وكان يقدم في كثير من المسائل، حيث قال خالد بن رباح[5]: "سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، فقال: يا أبا حمزة نسألك فتقول: اسألوا مولانا الحسن، فقال: سلوا مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا"[6].

وكان يعلو العلماء فصاحة وعلماً ورشاداً، وهذا ما قاله قتادة: "ما جلست إلى أحدٍ ثم جلست إلى الحسن إلا عرفت فضل الحسن عليه"[7]، وقال أيضاً: "كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام"[8]، وقال أيضاً: "ما رأت عيناي أفقه من الحسن"[9].

ولديه إحاطة واسعة بالثقافة والمعرفة الإسلامية، وتحدث عن ذلك حميد الطويل ويونس بن عبيد قالا: "قد رأينا الفقهاء، فما رأينا منهم أجمع من الحسن[10]، وقال بكر بن عبدالله[1]: "من سَرَّهُ أن ينظر إلى أفقه من رأينا ما رأينا الذي هو أفقه منه، فلينظر إلى الحسن[2].

---

(1) - هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومي أبو محمد القرشي كان مولده لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب وكان من سادات التابعين فقها وورعا وعبادة وفضلا وزهادة وعلما وقد قيل انه كان فيمن أصلح بين عثمان وعلى مات سنة ثلاث وتسعين. (بن حبان: مشاهير الأمصار، ج1، ص63).

(2) - عامر الشعبي وهو بن شراحيل أبو عمرو كوفى رأى على بن أبى طالب وروى عن الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعدى بن حاتم وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وجابر بن سمرة والاشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وجرير بن عبد الله والبراء بن عازب وغيرهم خلق كثير. (ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج6، ص322).

(3) - هو مكحول أبو عبد الله الأزدي العتكي من أهل البصرة وكان فصيحا من فصحاء أهل البصرة يروى عن أنس بن مالك وابن عمر روى عنه عمارة بن زاذان وهارون بن موسى المقرىء. (ابن حبان: الثقات، ج5، ص 447).

(4) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 362. البغدادي: تاريخ بغداد، ج 12، ص 228. الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج 1، ص 70. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 7، ص 193.

(5) - خالد بن رباح الهذلي ثقة وهو بصري يروي عنه يزيد بن هارون قاله بن معين وقال يحيى القطان كان خالد بن رباح صاحب عربية وكان ثبتا فأفسدوه بالقدر. (الواعظ: تاريخ أسماء الثقات، ج1، ص76).

(6) - الباجي: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، ج 1، ص 489.

(7) - البخاري: التاريخ الكبير، ج 2، ص 273.

(8) - ابن أبي حاتم: الجرح ولتعديل، ج 3، ص 47؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163؛ ابن عبد البر: التمهيد، ج 2، ص 30.

(9) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 295.

(10) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 119.

وقال محمد بن سعد: "كان الحسن جامعاً، عالماً، عالياً، رفيعاً، ثقةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كبيرَ العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً"[3]، وقال ابن كثير: "الإمام الفقيه المشهور، أحد التابعين الكبار الإجلاء علماً وعملاً وإخلاصاً"[4].

فصاحته وبلاغته:

قال أيوب السختياني: "كان الحسن يتكلم بكلام كأنَّه الدر، فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيء"[5]، وقال أبو عمرو بن العلاء[6]: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي فقيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن"[7].

وقال الجاحظ: "فأما الخطب فإنا لا نعلم أحداً يتقدم الحسن البصري فيها"[8]، وقال ابن حبان: "كان الحسن من أفصح أهل البصرة لساناً، وأجملهم وجهاً، وأعبدهم عبادةً، وأحسنهم عشرةً، وأنقاهم بدناً رحمة الله عليه"[9].

---

(1) - هو بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني البصري من مضر، كنيته أبو عبد الله أدرك ثلاثين من فرسان مزينة منهم عبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار ويروى عن بن عمر وأنس، وكان عابداً فاضلاً مات سنة ست ومائة وقد قيل سنة ثمان ومائة، وهو والد عبد الله بن بكر المزني روى عنه سليمان التيمى وحميد الطويل وهو أخو علقمة بن عبد الله المزني. (ابن حبان: الثقات، ج4، ص74).

(2) - ابن أبي حاتم: الجرح ولتعديل، ج 3، ص 47. المروزي: الورع، ج 1، ص 75. الرامهرمرزي: المحدث الفاصل، ج 1، ص 401.

(3) - الطبقات الكبرى، ج 7، ص 115.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 297.

(5) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص577.

(6) - المازني المقريء النحوي البصري الإمام مقرىء أهل البصرة اسمه زبان على الأصح، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني. (ابن قايماز: معرفة القراء الكبار، ج1، ص100).

(7) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 70؛ السفاريني: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ج 6، ص 187.

(8) - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 187.

(9) - ابن حبان: الثقات، ج 4، 123.

عبادته وزهده وورعه:

كان السلف الصلح رحمهم الله جمعياً يجمعون بين العلم والعبادة، ويعتبر الجمع بالنسبة لهم من الأمور المهمة لطالب العلم، بأن يحرص على العلم والعبادة، ولا ينفرد بالعبادة عن العلم، لأنه يُخشى عليه الوقوع في البدع، ولا ينفرد بالعلم دون العبادة، لأن المقصود من العلم هو عبادة الله على بصيرة، ولهذا كان الحسن البصري رحمه الله كغيره من علماء عصره حريصاً على التقرب إلى الله تعالى في العبادة عن بينة وعلم.

ومما يظهر حرصه على العبادة قول السري بن يحيى[1]: كان الحسن يصوم البيض والأشهر الحرم، والإثنين والخميس وقيل: اعتزل الحسن الناس يوماً، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا سعيد أصلحك الله، لقد خِفنا عليك الوِحْشة، فقال: يا ابن أخي لا يستوحِش مع الله سبحانه وتعالى إلا أحمق[2]، وكان صاحب ليل –أي صاحب عبادة في الليل– وكان يقول: ما رأيت شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل، وإنها لمن أفعال المتقين[3].

وكان رحمه الله حريص على قيام الليل فقال: إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيامِ النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبلتك الخطايا والذنوب[4]، ووضح أن من أسباب حرمان التوفيق في الطاعة والعبادة هي ارتكاب المعاصي فقال: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل[5]، وفي حرصه على الصلاة وحبه لها قال: الصلاة خير موضوع، من شاء استقل، ومن شاء استكثر[6].

وكان زاهداً في الدنيا معرضاً عن ملذاتها، وأكثر حديثه في الآخرة، وما يقرب إلى الله عز وجل، فقد روى عبد الله بن عون المزني البصري: إنما بزَّ –سلب عنهم الشهرة– الناس الحسن بالزهادة في الدنيا، فأما العلم فقد شاركه فيه الناس[7]، وسئل خالد بن صفوان عن الحسن فقل:

---

(1) - السري بن يحيى بن إياس بن حرملة أبو الهيثم الشيباني البصري، سمع عن الحسن وجماعة وعنه ابن وهب وسعيد بن أبي مريم وأبو الوليد وعدة. (الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال،ج3، ص175).

(2) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظة، ص 26.

(3) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظة، ص29.

(4) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظة، ص 30.

(5) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظة، ص 30.

(6) - ابن حنبل: الزهد، ص 349.

(7) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 50.

أنا أهل خبرة به، كانت داره ملعبي صغيراً، ومجلسي كبيراً، أخذ الناس بما أمر به، وما رأيته تزاحم على شيء من الدنيا قط[1]، وقال أحدهم: كنا إذا دخلنا على الحسن خرجنا ولا نعد الدنيا شيئاً[2]، ومن شدة زهده وبعده عن الدنيا ما كان أحد يطيق ينظر إلى الحسن إلا بكى عند رؤيته رحمة الله عليه[3].

الزهد الذي ظهر على شخص الحسن ما ظهر عليه إلا بعد اخلاص خفي وجهود مضنية وعراك طويل مع ملذات النفس وشهواتها حتى تغلب عليها، فقال علقمة بن مرثد: "انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فمنهم الحسن بن أبي الحسن، فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة"[4]، وقال أبو نعيم: "الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً"[5]، وقال ابن خلكان: "كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة"[6].

تميز الحسن بشدة زهده فكان متهماً لنفسه بالقصور في حق الله، وكان لا يعطي لنفسه قدراً، فحينما أراد الحج فقال له ثابت: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب –أي أن نكون رفقاء وأصحاب في الحج– فقال: ويحك دعنا نتعايش بستر اللّه، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه[7].

ولهذا كان أغلب حديث الحسن البصري رحمه الله في ذم الدنيا وملذاتها والزهد فيها والترغيب في الآخرة، وبزهده هذا وغناه وترفعه عما في أيدي الناس من الملذات ساد أهل البصرة.

وقيل ورد أعرابيٌّ البصرة فقال : من سيد هذا المِصْر؟ فقالوا: الحسن بن أبي الحسن قال فيم ساد أهله؟ قالوا: استغنى عما في أيديهم من دنياهم، واحتاجوا إلى ما عنده من أمر دينهم، فقال

---

(1) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 180.

(2) - ابن ماجه: السنن، 4110.

(3) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص367.

(4) - الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 2، ص 128؛ القشيري: الرسالة القشيرية، ج 1، ص 176.

(5) - الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 2، ص 126.

(6) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 72.

(7) - ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج 1، ص 58.

الأعرابي: لله درُّه هكذا فليكن السيد حقاً[1]، لذلك كان الحسن ينصح الناس بقوله: أهينوا هذه الدنيا، فوالله لأهنأ ما تكونوا إذا أهنتموها[2].

وقد كان الحسن عفيفاً لا يرغب في أن يستغل علمه ومكانته لتحصيل شيء من عرض الدنيا، فروى عن نفسه أنه أراد أن يشتري من أحد الباعة في السوق فقيل له: هذا لك بكذا، فقال: إنما جئت أشتري بدرهمي لا بديني[3].

مشابهته الصالحين:

ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووسواس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان[4] ومن الشواهد على ذلك:

ما روي أن أبو إسحاق قال كان الحسن البصري يشبه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[5]، وقال ابن الجوزي: "روي في الخبر أنَّ عائشة رضي لله عنها سمعت الحسن يتكلَّم، فقالت: "من هذا الذي يتكلَّمُ بكلام الصِّدِّيقين"[6].

(1) - ابن الجوزي: آداب لحسن البصري وزهده ومواعظة، ص 24.
(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 177.
(3) - ابن بشر: المنهيات، ج 1، ص 23.
(4) - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1، ص 77.
(5) - ابن حنبل: الزهد، ج 1، ص 264.
(6) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 23.

وقيل لعلي بن الحسين إن الحسن يقول: ليس العجب لمن هلك كيف هلك؟ وإنما العجبُ لمن نجا كيف نجا؟ فقال علي: سبحان الله! هذا كلام صدِّيق[1]، وقال مُورّق العجلي[2]: قال لي أبو قتادة العدوي: يا مُورّق، ألزم هذا الشيخ فخذ منه، فإني والله ما رأيت رجلاً أشبه بعمر منه[3].

وقال علي بن زيد[4]: أدركت عروة بن الزبير[5]، ويحيى بن جَعْدَة[6]، والقاسم، فلم أرَ فيهم مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي صلى لله عليه وسلم وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه[7].

وقال العوام بن حوشب[8]: ما أُشبِّه الحسنَ إلا بنبيٍّ أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل[9].

وفي مروءته قال قتادة: ما كان أحدٌ أكمل مروءةً من الحسن، وكذا قال حميد الطويل ويونس بن عبيد[10]

---

(1) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 23.

(2) – مورق العجلي، أبو المعتمر البَصْرِيّ، ويُقال: الكوفي، وهو مورق بن مشمرج، ويُقال: ابن عَبد الله. (المزي: تهذيب الكمال، ج29، ص16).

(3) - البخاري: التاريخ الكبير، ج 2، ص 273.

(4) - هو علي بن زيد بن جدعان التيمي البصري الضرير أحد الحفاظ وليس بالثبت سمع سعيد بن المسيب وجماعة وعنه شعبة وزائدة وابن علية وخلق قال الدارقطني لا يزال عندي فيه لين قال منصور بن زاذان لما مات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه مات 131. (حمد بن أحمد الذهبي: الكاشف، ج2، ص40).

(5) – هو عروة بن الزبير بن العوام القرشي من أهل المدينة كنيته أبو عبد الله أخو عبد الله بن الزبير، أمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق، يروى عن عائشة وأبيه وعبد الله بن عمرو روى عنه الزهرى، وكان من أفاضل أهل المدينة وعلمائهم ويقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً، ويقوم به ليلة ما ترك نصيبه من الليل ولا ليلة قطعت رجله ، وذلك أن الأكلة وقعت فيها فنشرها فما زاد على أن قال الحمد لله، وكان إذا أيام الرطب ثلم حائطه وأذن للناس أن يدخلوا فيأكلوا ويحملوا ، واختلف فمنهم من قال إنه مات سنة تسع وتسعين ومنهم من قال سنة إحدى ومائة وقيل سنة خمس وتسعين وقيل سنة مائة وقيل سنة أربع وتسعين. (ابن حبان: الثقات، ج5، ص 195/194).

(6) - يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومي من جلة مشايخ قريش وخيار التابعين. (ابن حبان: مشاهير الأمصار، ج1، ص86).

(7) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 119.

(8) - العوام بن حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني، من أنفسهم كوفى ثقة رجل صالح، وكان أبوه على شرط الحجاج وكان رجل سوء وكان العوام صاحب سنة ثبت صالح، وكان أخوه خراش على شرطة يوسف بن عمر، وروى نحواً من مائتي حديث أو أكثر قليلاً، وروى عن النخعي والتيمى وروى عنه يزيد بن هارون وهشيم وغيرهم. (بن صالح العجلي: معرفة الثقات، ج2، ص 195).

(9) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 4، ص 304.

(10) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 574.

المبحث الثالث: دوره الاجتماعي.

أقواله في السياسية والفتن:

لقد طلب الحسن رحمه الله الحكمة حتى أجراها الله تبارك وتعالى على لسانه، ولقد أوردت المصادر أنه يشابه عمر بن الخطاب في رأيه، لذلك لقد وردت الكثير من المقولات والحكم على لسانه نورد بعضاً منها:

- أقواله في تثبيط الناس لتثيهم عن المشاركة في الفتن: "لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط"[1].
- في بعد نظره ومهارته في معرفة الفتن واتقائها قبل حدوثها: "أن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلٌّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كلٌّ جاهل"[2].
- كان يحث الناس على تجنب الفتن والبعد عن أسباب إشعالها وكان إذا قيل له ألا تخرج فَتُغَيِّرُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُغَيِّرُ بِالتَّوْبَةِ وَلا يُغَيِّرُ بِالسَّيْفِ"[3].
- قال الأشعث، كنت عند الحسن حتى دخل عليه رجل مصفر كأنه من أهل البحرين، فقال يا أبا سعيد أني أريد أن أسألك عن الولاة، فقال الحسن: سل عما بدا لك، فقال ما تقول في أئمتنا هؤلاء، فسكت ملياً –أي الحسن– ثم قال في الأمراء: "ماذا أقول فيهم وهم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغيظ، وإن فرقتهم لكفر"[4].
- وحينما كان يُسئل عن الحجاج كان يقول: "اتقوا الله، فإن عند الله حجاجين كثيراً"[5].

---

(1) - القحطاني: الحكمة في الدعوة الى الله، ج ، ص 268؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 121.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 127.

(3) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 127.

(4) - ابن رجب، الحنبلي: جامع العلوم والحكم، ج 2، 117؛ ابن غنام: العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، ص، 149؛ موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج 10، ص 558؛ مجموعة من العلماء: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج 9، ص 137.

(5) - الدنيوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 6، ص 103؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج 3، ص 112.

- قال عبد الواحد بن زيد: قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه رضيها بقلبه، قال: "يا ابن أخي كم يد عقرت الناقة؟ قال: فقلت: يد واحدة، قال: أليس قد هلك القوم جميعا برضاهم وتماليهم؟!"[1]، وقيل تساليهم[2].
- وكان يوضح للناس حقيقة ما يعيشه بعض الولاة من تقلبه في عيش الفتنة بزخرف الحياة الفانية حتى لا يغتر بهم الناس فكان يقول: "هؤلاء–يعني الملوك– وإن رقصت بهم الهماليج[3]، ووطيء الناس أعقابهم فإن ذل المعصية في قلوبهم، إلا أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيراً لزم ذلك وعمل به، ولم يخالفه"[4].
- قال وكيع بن أبي سود: يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب أيصلي فيه، فقال الحسن: "يا عجباً ممن يلغ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث"، فقام وكيع ينخلج في مشيته تخلج المجنون، فقال الحسن: "لله في كل عضو منك نعمة اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك"[5].

أقواله في البعد عن الدنيا والتمسك بالآخرة:

- يقول الحسن بلغني في بعض الروايات "أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ذكروا أهل الجنة: هل بقي أحد على الصراط بعد خمسة وعشرين ألف عام؟ فيقال: بقي رجل يحبو فبلغ ذلك الحسن البصري، فقال: يا ليتني أنا ذلك الرجل، فأنا يا أبا نصر لا أهدأ من البكاء أبداً"[6].
- وقد قال: "يخرج من النار رجل بعد ألف عام ويا ليتني ذلك الرجل، –هذا لشدة خوفه من الخلود في الأبدية– قال فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي"[7].

---

(1) - المقدم: الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، ص 328؛ المقدم: بصائر في الفتن، ص 88.

(2) - ابن باز وآخرون: فتاوى إسلامية، ج 4، ص 359.

(3) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 118؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعياتها، ج1، ص 651.

(4) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 118؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعياتها، ج1، ص 651.

(5) - السامري: فضيلة الشكر لله على نعمته، ج 1، ص 59.

(6) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 602.

(7) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 380.

- قوله في ذنوب العباد: "لو لم يذنب المؤمن لكان يطير طيراً ولكن اللّه تعالى قمعه بالذنوب"[1].
- وقال في ذم من أخذ برأيه دون تواضع لآراء الآخرين: "محدثان أحدثا في الإسلام، رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب، ولها يرضى وإياها يطلب، فارفضوهما إلى النار، اعرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم، أن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعو إلى دنياه، وصاحب هوى يدعو إلى هواه قد عصمه اللّه تعالى منهما، يجيء إلى السلف الصالح يسأل عن فعالهم ويقتص آثارهم لتعرض لأجر عظيم فكذلك فكونوا"[2].
- قوله في حسن المجالسة في الدنيا: "لا تجالس صاحب هوى، فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك"[3].
- قال عن الدنيا: "أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع"[4].

أقوال العلماء فيه:

لقد أثنى العلماء على الحسن البصري رحمه الله، وأجمعوا على فضله وعلمه وتقواه، ومن خلال أقوالهم عنه، تشعر بعظيم مكانته وفضله على علماء عصره، ومن جملة ما قالوا فيه:

- قال أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري: "ما رأيت رجلاً قط لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بأَصحاب رسول الله من هذا الشيخ" – أي الحسن البصري–[5].
- كان عامر بن شراحيل الشعبي[6] يقدر ويعظم الحسن البصري، فقال لأبيه شراحيل: "يا أبه إني أراك تفعل بهذا الشيخ فعالاً لم أرك تفعله بأحد قط، فقال يا بني أدركت سبعين من

(1) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 368.
(2) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 275.
(3) - المرواني: البدع، ج 1، ص 137.
(4) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 24.
(5) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 162.
(6) - الشعبي عامر بن شراحيل الحميري أبو عمرو الكوفي ثقة مشهور فقيه فاضل الامام العلم عن عمرو وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس رضي الله عنهم وخلق وعنه بن سيرين والأعمش وشعبة وجابر الجعفي. (ابن حجر: لسان الميزان، ج7، ص509).

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلم، أرَ أحداً قط أشبه بهم من هذا الشيخ"[1] وقال أيضاً: "ما رأيت من أهل تلك البلاد رجلاً قط أفضل منه"[2].

- قال ابن عبد الهادي[3]: "كان الحسن من بحور العلم، كبير الشأن، عديم النظير، مليح التذكير، بليغ الموعظة"[4].
- وقال عمرو بن مرة المرادي الكوفي[5]: "إني لأغبط أهل البصرة بهؤلاء الشيخين، الحسن ومحمد" –أي الحسن البصري ومحمد بن سيرين رحمهما الله–[6] .
- قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عنه: "ثِقة فقيه فاضل، كان يرسل كثيراً ويدلس"[7].
- قال يونس بن عبيد بن دينار العبدي[8] عنه: "كان الحسن والله من رؤوس العلماء في الفتن"[9].
- قال النووي[10] عنه: "هو الإمام المشهور المجمع على جلالته فى كل فن، أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار التابعي البصرى"[11].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 162.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 162.

(3) - هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد ذو الفنون عمدة المحدثين متقن المحررين شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الصالحي الحنبلي، ولد سنة أربع أو خمس وستمائة وقرأ القرآن بالروايات وسمع ما لا يحصى من المرويات وعني بالحديث وأنواعه ومعرفة رجاله وعلله وتفقه وأفتى ودرس وجمع وألف وكتب الكثير وصنف وتصدى للإفادة. (مرعي بن يوسف الحنبلي: الشهادة الزكية، ج1، ص51).

(4) - ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، ج 1، ص 141.

(5) - عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي الأعمى العابد الهمداني أحد الاعلام عن عبد الله بن أوفى وأبي وائل وعنه ابنه عبد الله وأبو إسحاق ثقة كان لا يدلس. (احمد بن علي بن حجر السعقلاني: لسان الميزان، ج7، ص327).

(6) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163.

(7) - سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل، ص، 273.

(8) - يونس بن عبيد أحد أئمة البصرة عن الحسن وأبي بردة وعنه عبد الوهاب الثقفي وابن علية من العلماء العاملين الأثبات مات 139. (حمد بن أحمد الذهبي: الكاشف، ج2، ص403).

(9) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163.

(10) - هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام ابن محمد بن جمعة النووي، الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السالفين، كان سيدا وحصوراً وليثاً على النفس هصوراً وزاهداً، لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعاً معموراً له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وتصوفا وغير ذلك. (السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج8، ص395).

(11) - النووي: تهديب الأسماء واللغات، ج ذ، ص 161.

- قال خالد بن صفوان[1] لما لقيت مسلمة بن عبد الملك[2] بالحيرة قال: "يا خالد أخبرني عن حسن أهل البصرة، قلت: أصلح اللّه الأمير، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به، أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه قال: حسبك يا خالد، كيف يضل قوم هذا فيهم"[3].
- وقال أبو قتادة العدوي البصري: "عليكم بهذا الشيخ يعني– الحسن– فخذوا عنه، والله ما رأيت رجلاً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه"[4].
- قال أبو سليمان الدّاراني[5] عنه: "رحم الله أبا سعيد، كان والله من القوم الذين مهدوا لأنفسهم، وناقشوها الحساب قبل يوم الحساب، وإني لأرجو أن يكون من الفائزين رحمه الله تعالى"[6].
- وقيل لعبد الواحد صاحب الحسن: "أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ، وكان فيكم علماء وفقهاء؟ فقال: إن شئت عرفتك بواحدة أو اثنتين، فقلت: عرفني بالاثنتين فقال: كان إذا أمر بشيء أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء أترك الناس له، قلت: فما الواحدة؟ قال: لم أرَ أحداً قط سريرته أشبه بعلانيته منه"[7].
- قال قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم وعطاء: "هؤلاء الأربعة أئمة الأمصار"[8].
- قال الذهبي[1] عنه: "ثقة ولكنه يدلس عن أبي هريرة وغير واحد"[2].

---

(1) - خالد بن صفوان بن عبد الله ابن عمرو بن الأهتم أبو صفوان التميمي المنقري أحد فصحاء العرب وخطبائهم كان راوية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسري. (الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص274).

(2) - مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي أبو سعيد الأمير أخو الخلفاء وقائد الجيوش وذو المواقف المشهورة عن عمر بن عبد العزيز وعنه يحيى ابن يحيى الغساني قال خليفة مات سنة عشرين ومائة. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ج1 ص377).

(3) - الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 2، ص 169.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 161.

(5) - أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني وداريا قرية من قرى دمشق كان سبر الأحوال ليعتبر الأهوال فطهر من الأعلال لمداومته على الدؤوب والكلال. (الأصبهاني: حلية الأولياء، ج9، ص254).

(6) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 30.

(7) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 30.

(8) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 170.

- قال الربيع بن أنس: "اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله من ذلك، فليس من يوم إلا وأنا أسمع منه شيئاً لم أسمعه قبل ذلك"[3].

حسن خِلقته وهيبته:

قال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة: "إذا نظرت إلى رجل أجمل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن، فأقرئه مني السلام"[4]، وقالت أمة الحكم: "كان الحسن يجيء إلى حِطان الرقاشي، فما رأيت شاباً قط كان أحسن وجهاً منه"[5]، وقال أيوب السختياني: "كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هيبة له"[6]، وقال الذهبي: "كان رجلاً تام الشكل، مليح الصورة، بهياً، وكان من الشجعان الموصوفين"[7].

ولقد تميزت شخصية الحسن بهيبة ورهبة لكل من عرفه ورآه، وما يدلل على ذلك أن مصعب كان يحسد الناس على الجمال فبينا هو ذات يوم يخطب إذ رأى رجلاً جميلاً من بني حمان مستقبلاً له فأعرض عنه، ثم أقبل ابن جودان الأزدي، وكان جميلاً فأعرض عنه، ثم دخل الحسن بن أبي الحسن البصري فلما رآه نزل مبادراً[8].

---

(1) - الذهبي الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الإسلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الركماني ثم الدمشقي المقرئ، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل وعني بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه وتلا بالسبع وأذعن له الناس وحكى عن شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر أنه قال شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ ولي تدريس الحديث بتربة أم الصالح وغيرها وله من المصنفات تاريخ الإسلام والتاريخ الأوسط والصغير وسير النبلاء وطبقات الحفاظ والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة والتجريد في أسماء الصحابة والميزان في الضعفاء والمغني في الضعفاء وهو مختصر نفيس، وله معجم كبير وصغير ومختص بالمحدثين، توفي الذهبي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق. (السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص521).

(2) - الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجل، ج 1، ص 527.

3 – ابن ادريس الرازي: الجرح والتعديل، ج 3، ص 41.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 295.

(5) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص573.

(6) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 295.

(7) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص572.

(8) - البلاذري: فتوح البلدان، ج 2، ص 380.

الحسن ونصحه للآخرين:

كان الحسن ناصحًا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أنصحني فكتب إليه: إن الذي يصحبك لا ينصحك، والذي ينصحك لا يصحبك[1]، في إشارة من الحسن للخليفة بعدم أخذ النصيحة ممن حوله، وكأنه يقول أنهم أو بعضهم لا يؤخذ بنصيته، أو أنه أراد أن يجعله يأخذ النصيحة من غير الدائرة الحاكمة معه وينزل ليتفقد أحوال الناس ويطلع على أحوالهم ويسمع مشورتهم ليطلع على ما في صدورهم.

ولما كانت فتنة بن الأشعث إذ قاتل الحجاج بن يوسف الثقفي، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل وفعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاءً فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، قال: فخرجوا من عنده وهم يقول نطيع هذا العلج، فخرجوا مع بن الأشعث، فقتلوا جميعًا[2]، لأنه يرى رحمه الله أن وحدة الأمة أولى من تشرذمها، لأنه عايش فتناً عظيمة متتالية، أصبح لديه بعد نظر فيها.

وعن حمزة الأعمى قال ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت: يا أبا سعيد ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعه بك، قال فكنت أختلف إليه فقال لي يوماً، يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وأبك في ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين، قال وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي وآتيه مع الناس وهو يبكي وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه، قال فقلت له يوماً يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء، قال فبكى ثم قال، يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبك، يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة فإن استطعت أن لا تكون عمرك إلا باكياً فافعل لعله يراك على حالة فيرحمك بها فإذا أنت قد نجوت من النار[3].

---

(1) - الجبرتي: تاريخ عجائب الاثار في التراجم والأخبار، ج 1، ص 22.

(2) - لدوالبي: الكنى والأسماء، ج 3، ص 1035؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 120؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 12، ص 178.

(3) - ابن ابي الدنيا: الرقة والبكاء، ص 55؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 6، ص 115.

روى عنه أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال لهم ناصحاً: "إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون"[1].

وكان همه النصح والتبلغ حتى آخر يوم له في دنياه، فقال أبو عبيدة الناجي: دخلنا على الحسن في يومه الذي مات فيه فقال: "رحم الله امرأ جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة ولبس خلقاً ولصق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة وفر من العقوبة، وطلب الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك"[2].

الحسن ومعرفته لحقوق إخوانه:

لقد كان الحسن البصري ممن يعرف للإخوة حقوقها، فعن معمر عن قتادة قال: دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة فجذبناها فإذا خبز وفاكهه وجعلنا نأكل فانتبه فرآنا فسره فتبسم وهو يقرأ "أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ، لَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا"[3](4).

وعن جرير بن حازم قال: كنا عند الحسن وقد انتصف النهار وزاد فقال ابنه خفوا عن الشيخ، فإنكم قد شققتم عليه فإنه لم يطعم طعامًا ولا شرابًا، فقال الحسن: "مه وانتهره، دعهم فوالله ما شيء أقر لعيني من رؤيتهم أو منهم، إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه فيتحدثان

(1) - ابن رجب: روائع التفسير، ج 2، ص 29؛ الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1، ص 236؛ ابن الجوزي: بستان الواعظين ورياض الصالحين السامعين، ص 233؛ ابن رجب: لطائف المعارف، ص 209؛ العفاني: نداء الريان ووفقه الصوم وفضل رمضان، ج1، ص 385.

(2) - الاشبيلي: العاقبة في ذكر الموت، ج 1، ص 89.

(3) - سورة النور: الآية 61.

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 577.

ويذكران ويحمدان ربهما حتى يمنعه قائلته"[1]، وكان يعد من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه[2] ومن حبه وتقديره لإخوانه كان يقدم لهم كل ما باستطاعته تقديمه حتى قدم عمامته لهم[3].

كرمه وسخاه:

لقد حثنا إسلامنا للتحلي بالأخلاق الحميدة والكرم والسخاء، وهذه المكارم حرص عليها الحسن رحمه الله، فكان كريماً سخياً يحب أن يطعم الناس وينفق عليهم، فكان إذا طبخ لحماً قال لمن حوله: هلموا إلى طعام الأحرار[4]، وأشتهر عنه قوله بألا يكون المؤمن ممساكاً[5] –أي ممسك يده، كناية عن البخل–.

وكان من عظيم كرمه أن تكون مجالس العلم لأكابر تلاميذه في بيته، ومجالس الذكر التي يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد كذلك هي الأخرى كان يجعلها في بيته، ومن الذين كانوا يحضرون إلى بيته، مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السجستاني ومحمد بن واسه وفرقد السنجي وعبد الواحد بن زيد[6].

وحرص الحسن على أن يكون بيته زاداً للجميع، فجاءه أعرابي فصادف بيته مفتوحاً فدخل فجاء إلى شيء تحت سرير الحسن فأخرجه وجعل يأكل، فنظر إليه الحسن وجعل يبكي فقيل له، ما يبكيك يا أبا سعيد، فقال: "ذكرني هذا أخلاق قوم قد مضوا"[7]، وكان يقول: "إذا دخل الرجل بيت صديقه فلا بأس عليه لو تناول مما حضر من طعامه وفاكهته دون إذنه"[8].

وكان يسعد كثيراً إذا ما قام أحد ضيوفه بأخذ ما يريد بيده دون أن يطلب إذناً من أحد، وعدَّ الحسن هذا الفعل من أفعال الصالحين، وما يدل على ذلك أن رجلاً دخل على الحسن

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 125.
(2) - الخرائطي: مساوئ الأخلاق، ج 2، ص 57.
(3) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 96.
(4) - التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص 387.
(5) - الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 1، ص 471.
(6) - ابن عطية الحارثي: قوت القلوب، ج 1، ص 224.
(7) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 245.
(8) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص 37.

فوجده نائماً على سريره ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ففتحها، فجعل يأكل منها فانتبه الحسن فرأى الرجل يأكل فقال: "رحمك الله هذا والله فعل الأخيار"[1].

وكأن استحسان الحسن لصنيع الرجل من باب شعور الحسن بإذابة الفوارق والتكلفة بينه وبين الناس خاصة الأصحاب، وهذا يدلل على أنه كان حريصاً على أن يكون قريباً من الناس ويودهم ويحترمهم وألا توجد بينه وبينهم موانع وتكلفه بسبب علمه ومكانته.

لذلك كان لا يدخراً شيئاً في بيته إلا قدمه لضيوفه وزواره، فيوماً أهديت إليه سلة من سكر ففتحها فلم يُرى سكراً كان أحسن منه، فقال لمن حوله: "اهضموا أي كلوا"[2]، وبرغم أن من أكل منها استحسنها لجودتها لكن الحسن قدمها عن طيب نفس دون النظر إلى طيبها وحسنها.

فلا يعجزه أن يقدم أي شيء لإخوانه، فقد لقي بعض إخوانه فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه إياه وقال: "إذا أتيت أهلك فبعها واستنفق ثمنها"[3].

ومن قصصه التي تدلل على سماحته وكرمه، أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد، قال الحسن: "قد أسقطت عنك مائة" قال له فأحسِن يا أبا سعيد، فقال الحسن: "قد وهبت لك مائة أخرى"، فقبض من حقه مائتي درهم، فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال "هكذا يكون الإحسان وإلا فلا"[4].

وبرغم ما شاهدناه من كرمه وسخائه، إلا أنه يَعتبر أن ما يقدمه هو هين ولا قيمة له فيقول: "قد أتى علينا زمان وإنا لنرى البخيل فينا من يسلف إلى ميسرة"[5].

كذلك سمع دعوة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إلى توزيع أموال الأغنياء على الفقراء، مما كان لقول أبي ذر الأثر الكبير في شخصيته خاصة بعد أن انتقل من المدينة إلى البصرة[6].

---

(1) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 244.

(2) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 244.

(3) - ابن ابي الدنيا: الزهد، ج 1، ص 96.

(4) - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1، ص 77.

(5) - الطبري: تهذيب الاثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، مسند عمر بن الخطاب، ج 1، ص 129.

(6) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 157.

موقف الحسن مع ابن سيرين:

كان بين الحسن البصري وبين محمد بن سيرين هجرة –قطيعة صلة– فكان إذا ذكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة، وكان بعض أهل ابن سيرين حائكاَ، فرأى الحسن في منامه كأنه عريان، وهو قائم على مزبلة يضرب بالعود، فأصبح مهموماً برؤياه، فقال لبعض أصحابه: إمض إلى ابن سيرين، فقص عليه رؤياي على أنك أنت رأيتها، فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا فقال ابن سيرين: قل لمن رأى هذه الرؤيا، لا تسأل الحاكة عن مثل هذا، فأخبر الرجل الحسن بمقالته، فعظم لديه، وقال: قوموا بنا إليه، فلما رآه ابن سيرين، قام إليه وتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وجلسا يتعاتبان، فقال الحسن: دعنا من هذا، فقد شغلت الرؤيا قلبي، فقال ابن سيرين: لا تشغل قلبك، فإن العري عري من الدنيا، ليس عليك منها علقة وأما المزبلة فهي الدنيا، وقد انكشفت لك أحوالها، فأنت تراها كما هي في ذاتها، وأما ضربك بالعود، فإنه الحكمة التي تتكلم بها وينتفع بها الناس، فقال له الحسن: فمن أين لك أني أنا رأيت هذه الرؤيا؟ قال ابن سيرين: لما قصها علي فكرت، فلم أر أحدًا يصلح أن يكون رآها غيرك[1].

أثر التابعين في الحسن البصري:

كما كان للصحابة أثرًا في تربية الحسن بسبب نشأته بينهم، وتعلمه على أيديهم، وكذلك كان لبعض التابعين أثرًا كبيرًا في نفسه، فلقد روي أنه كان يقص في الحج فمر به علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له: يا شيخ أترضى نفسك للموت؟ قال: لا قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال: لا قال: فثم دار للعمل غير هذه الدار قال: لا قال: فعملك للحساب قال: لا قال: فَلِمَ تشغل الناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها[2].

أثر الحسن البصري في الآخرين:

جمع الله تبارك وتعالى في الحسن من الفضائل والمواهب ما استطاع به أن يؤثِّر في قلوب الناس، ويرفع به قيمة الدين وأهل الدين في المجتمع، فقد كان واسع العلم غزير المادة في التفسير والحديث، ولم يكن لأحد في ذلك العصر أن ينشر دعوته ويقوم بالإصلاح، إلا إذا كان

(1) - الحموي: معجم الأدباء ، ج 3، ص 1024؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 12، ص 191.
(2) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 70.

متوفراً على هذين العلمين، وقد أدرك الصحابة وعاصر كثيراً منهم ويظهر من حياته ومواعظه أنه درس هذا العصر دراسة عميقة، وأدرك روحه وعرف كيف تطور المجتمع الإسلامي، ومن أين انحرف، وكان واسع الإطلاع، دقيق الملاحظة للحياة ومختلف الطبقات وعوائدها وأخلاقها وعِللها وأدوائها، كطبيب مارس العلاج مدة،[1].

إن رجلاً تربى على يد الصحابة وأخذ عنهم وتعلم منهم لا بد وأن تكون له آثارًا واضحة في الآخرين، فعن إياس بن أبي تميمة [2] يقول: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغلة والفرزدق[3] إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس يقولون: خير الناس، وشر الناس قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني؟ وكم من شيخ مشرك أنت خير منه؟ ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله قال: إن معها شروطًا فإياك وقذف المحصنة قال: هل من توبة؟ قال: نعم[4].

وخرج الحسن من عند ابن هبيرة –والي العراق وقتها، وسيأتي ذكره– فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم أبعد الله من أبعد[5].

---

(1) – الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 67.

(2) - أبو مخلد اياس بن أبي تميمة سمع الحسن وعبد الرحمن بن أبي رافع روى عنه موسى بن إسماعيل. (مسلم بن الحجاج القشيري: الكنى والأسماء، ج2، ص805).

(3) - الفرزدق بن غالب الشاعر التميمي من أهل البصرة كنيته أبو فراس واسمه همام بن غالب و الفرزدق لقب يروي عن بن عمر وأبي هريرة روى عنه بن أبي نجيح ومروان الأصغر روى أحاديث يسيرة وكان الفرزدق ظاهر الفسق هتاكا للحرم قذافا للمحصنات ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال استحق مجانبة روايته على الأحوال ومات الفرزدق وعكرمة في يوم واحد عشرة ومائة هو وجرير في سنة واحدة. (ابن حيان: المجروحين، ج2، ص204).

(4) - الذهبي: سير ألعام النبلاء، ج4، ص 584.

(5) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 2، ص 305؛ الحميد: بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص 32؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 45، ص377؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 586.

كما كان ممن نقل عنه أبو حيان التوحيدي[1]، فقال: "كان من ذراري النجوم علماً وتقوى، وزهداً وورعاً، وعفة ورقَّة، وفقهاً ومعرفة، يجمع مجلسه ضروباً من الناس، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يَلقفُ منه التأويل"[2]، "وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يحكي به الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الوعظ، وهو في جميع ذلك كالبحر اللَّجاج تدفقاً، وكالسِّراج الوهاج تألقاً ولا تُنسَ مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند الأمراء وأشباه الأمراء، بالكلام الفصل واللفظ الجزل"[3].

وكان فوق ذلك كله وهو سر تأثيره في القلوب، وسحره في النفوس، وخضوع الناس له، أنه كان صاحب عاطفة قوية، وروح ملتهبة وكان من كبار المخلصين، وكان الذي يقول يخرج من القلب فيدخل في القلب، وكان إذا ذكر الصحابة أو وصف الآخرة، أدمع العيون وحرك القلوب[4]، لذلك كان لما يظهر الحسن يجئ كأنَّما كان في الآخرة فهو يخبر عمَّا عاين[5]، ولم يرى رجلاً أعلم بطريق الجنة من الحسن[6].

فقد كان يتذوق الإيمان، ويتكلم عن عاطفة ووجدان، لذلك كانت حلقته في البصرة أوسع الحلقات، وانجذب الناس إليه، وذلك شأن أهل القلوب والإخلاص في كل زمان، وكان من أعظم ما امتاز به أنَّ كلامه كان أشبه ما سمع الناس بكلام النبوة وقال الإمام الغزالي في إحياء علوم

---

(1) - شيرازي الأصل وقيل نيسابوري ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي صوفي السمت والهيئة وكان يتأله والناس على ثقة من دينه قدم بغداد فأقام بها مدة، وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظيا يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان الذم شانه والثلب دكانه وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه. (الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص287)

(2) - الحموي: معجم الأدباء، ج 4، ص 487.

(3) - الحموي: معجم الأدباء، ج 4، ص 488؛ الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 68.

(4) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 2، ص 305؛ الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 68.

(5) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 573.

(6) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 575.

الدين: "ولقد كان الحسن البصريُّ رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم، اتّفقت الكلمة في حقه على ذلك"[1].

وكانت نتيجة المواهب العظيمة والفضائل الكثيرة، أنه كان صاحب شخصية قوية جذابة حبيبة إلى النفوس، وكان الناس مأخوذين بسحرها، خاضعين لعظمتها، حتى قال ثابت بن قرّة الحكيم الحرّاني[2]: "إن الحسن من أفراد الأمة المحمدية التي تتباهى بهم على الأمم الأخرى"[3].

وكان من أعظم أسباب تأثير الحسن البصري في المجتمع، ونفوذه في القلوب والعقول، أنه تحدث فيما يحتاجه الناس وهم بلهفة إليه، ونزل أعماق المجتمع، ووصف أمراضه، وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق، والناصح الشفيق، لقد كان عصره يغُصُّ بالدعاة والوعاظ، ولكنَّ المجتمع لم يتأثر لأحد كتأثره بالحسن، لأنه كان يَمسُّ قلبه وينزل في صميم الحياة، ويعارض التيار، لأنه كان ينعى على الإخلاد إلى الحياة والإنهماك في الشهوات، وقد انتشر هذا المرض في الحياة، لقد كان يذكر بالموت ويستحضر الآخرة، والمترفون يتناسون ذلك ويُعلِّلون نفوسهم بالأماني الكذابة والأحلام اللذيذة، ويتضايقون بذكر ما يكدِّر عليهم الحياة ويُعكرِّ صفو عيشهم، فكان جامعاً بين الدعوة والإرشاد، وبين التربية العملية والتزكية الخُلقية والروحية فاهتدى به خلائق لا يحصيهم إلا الله، وذاقوا حلاوة الإيمان وتحلوا بحقيقة الإسلام[4].

نظرته إلى بيت المقدس:

جعل الحسن البصري لفلسطين وبيت المقدس مكانة خاصة عن باقي البلدان، حيث أنه شجع على تثبيت أهلها معنوياً ومادياً للبقاء فيها وحث العالم الاسلامي للتبرع لها فقال: من

---

(1) - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ، ص 77؛ الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 68.

(2) - أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون ويقال زهرون بن ثابت بن كرايا ابن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن مالاجريوس الحاسب الحكيم الحراني، كان في مبدأ أمره صيرفيا بحران ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع في الطب وكان الغالب عليه الفلسفة وله تآليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين مؤلفاً. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص313).

(3) – الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 1، ص 13؛ الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 68. الصلابي: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ص 229.

(4) – الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 4، ص 105–110؛ الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ج 1، ص 75.

تصدق في بيت المقدس بدرهم كان فداؤه من النار ومن تصدق برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهباً، وعن مقاتل قال: من صام يوما في بيت المقدس كان له براءة من النار، وقال السُدي رحمه الله: "إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ويوافيان الموسم كل عام"[1]، أي لعلمهم بمكانة القدس والمسجد الأقصى وفضله على المساجد بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي كانوا يحرصوا على أن يصوموا رمضان في المسجد الأقصى ليتضاعف الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى، نظراً لعظيم مكانته والنصوص الشرعية الدالة على ذلك.

وهذا الموقف من الحسن البصري تجاه فلسطين، لعلمه بمكانة وقداسة هذه الأرض والبقعة المشرفة التي شرفها لله تبارك وتعالى، وما كان موقفه هذا إلا لأنه استقى تلك الرؤيا من الصحابة الكرام والتابعين الذين كانوا حريصين على القدس والأقصى كونهما من أهم معالم الإسلام العظيم، فضلاً عن فقهه العميق لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تحدثت عن فلسطين وتعظيم بيت المقدس.

الأعمال التي تولاها في حياته:

ومن الأعمال التي تولاها الحسن البصري رحمه الله أنه كان كاتباً في إمرة معاوية للربيع بن زياد الحارثي[2] بخراسان[3]، وحينما سؤل عن قدرت الحسن على العمل وأمانته قيل، لا نعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله، ثم وصفوا أمانته وحرصه كون أكثر الناس خوفاً من النار وبعداً عن الدنيا، لأنهم يعلمون أن هذا العمل كما هو محتاج إلى خبره فهو محتاج إلى أمانة وصدق، وكانوا يرون أن ذلك تحقق في الحسن[4].

وقد ولى عدي بن أرطاة[5] الحسن البصري القضاء في البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم طلب الحسن من عدي أن يعفيه من القضاء فأعفاه[6]، وسبب طلبه الإعفاء من

---

(1) - ابن الجوزي: تاريخ بيت المقدس، ص، 51؛ الحنبلي: الأنس الجليل، ج 1، ص 234.

(2) - الربيع بن زياد الحارثي كان عامل زياد على خراسان. (ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص260).

(3) - الاندلسي: العقد الفريد، ج 4، ص 154؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ص 49.

(4) - ابن قتيبة: المعارف، ج 1، ص 441.

(5) - عدي بن ارطاة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطاة ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة وغيرها من بلاد العراق. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج12، ص306).

(6) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 61؛ وكيع: تاريخ القضاة، ص 236.

مهمته هو لما استقضي ازدحم الناس عليه فآذوه[1]، وقيل أن الحسن كان يأخذ من الدولة الأموية أموالاً[2]، نعتقد أنها كانت مقابل ما يقوم به من مهام حتى لا يكون عالة.

مصنفاته وكتبه:

طبيعي أن يكون لعالم مثل الحسن كتباً جمةً يحصي فيها علمه وفقهه لتكون منارةً لمن بعده، لكن هذه الكتب لم تصلنا، فيروى عن أصبغ بن زيد[3] قال: مات الحسن وترك كتباً فيها علم، لكن هذه الكتب لم تصلنا ولا يعرف عنها شيء، وهذا ما أوضحه سهل بن الحصين الباهلي فيقول: بعثت إلى عبد الله بن الحسن البصري: إبعث إلي بكتب أبيك، فبعث إلي: أنه لما ثقل – أي الحسن– قال لي: اجمعها لي، فجمعتها له، وما أدري ما يصنع بها، فأتيت بها، فقال للخادم: اسجري التنور، ثم أمر بها، فأُحرقت غير صحيفة واحدة، فبعث بها إلي، وأخبرني أنه كان يقول: اروي ما في هذه الصحيفة، ثم لقيته بعدها فأخبرني به مشافهة بمثل ما طلب منه[4].

لكن بعض العلماء جمع بعضاً من علوم الحسن في كتب خاصة، مثل ما قام به الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرّج الأموي[5] حيث قام بجمع فقه الحسن البصري في كتاب جمعه في سبع مجلدات[6].

---

(1) - النيسابوري: مجمع الأمثال، ج 1، ص 397.

(2) - الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 166.

(3) - أصبغ بن زيد الجهني الواسطي الوراق شيخ ليزيد بن هارون قال ابن عدي له احاديث غير محفوظة وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به ووثقه الدارقطني. (الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1، ص92).

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 584.

(5) - الحافظ الثقة، محدّث الأندلس كان حافظا، ناقدا، مجودا، المتوفي في رجب، وله ست وتسعون سنة، وهو محمد بن أحمد ابن محمد بن مفرج يكنى أبا بكر مولى عبدالرحمن بن الحكم الأموي الاندلسي القاضي المعروف والده بالقبتوري نسبة إلى عين قبتاروية بقرطبة وقيل كنيته أبو عبدالله سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومحمد بن عبدالله بن أبي دليم ومحمد بن محمد الخشني ونظرائهم وسمع بمكة من أبي سعيد بن الأعرابي ونظرائه وسمع بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضيها المرواني ودخل اليمن وطاف بلدانها وسمع بها من المشايخ الجلة ودخل القدس والشام ومصر وأعمال تلك البلدان وسمع عدة الشيوخ والذين سمع منهم مائتا شيخ وثلاثون شيخاً. (بن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص316).

(6) - ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 4، ص 422.

وقد صنف ابن الجوزي مجلداً في مناقب الحسن البصري واسمه فضائل الحسن البصري، أدبه حكمته نشأته[1].

قيام الحسن بحرق كتبه ومؤلفاته لها مبررات منها:

الأول: أن الحسن في أواخر حياته أصيب بضعف الشيخوخة الذي جعله لا يقوى على ممارسة حياته الطبيعية، ويرى بعض العلماء أن بعض الفتاوى التي كانت تصدر منه في هذا السن المتأخرة من حياته كانت تتأثر بما ذكرنا، ويمثلون لذلك بفتواه من عدم قتل الحر بالعبد ناسياً حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: من قتل عبده قتلناه[2].

الثاني: لربما أن الحسن كان يتبنى فكراً من الأفكار التي انتشرت في العراق أو تبنى بعض العقائد الفاسدة في بداية حياته ويتستر من ذلك فوضعها في كتبه، خاصة أنه عاش أغلب حياته في العراق بلد الفتن وبلد الموتورين، ولكنه لما تقرب من حكام بني أمية واطلع على كيفية ادارة الدولة، وكيف يفكر القائد والخلفاء والأمراء لحقن دماء المسلمين وتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، عرف حقيقة بطلان فكر الخوارج فتركهم، فلما عدل عنها حرق الكتب حتى لا تكون نقمة عليه بعد مماتة، أو فتنة لمن بعده من المسلمين الذين يحتجون بآرائه.

الثالث: ولعل الحسن لشدة ورعه وتقواه، شعر بأن شيئاً في كتبه وصحفه لا يوافق كتاب الله وسنة رسوله، فكأنه يريد بذلك أن يُبَرِّئ نفسه أمام الله تعالى أنه لم يترك شيئا يسجل عليه قد يكون فيه شيء من عدم رضا المولى تبارك وتعالى[3].

ما قبل الوفاة:

لقد ظهرت بعض العلامات والأمارات على الحسن البصري تدلل على صدقه، ولربما يكون ذلك من حسن الخاتمة له، ولربما هذا من مبشرات قبوله عند الله تعالى، ومن ذلك:

---

(1) - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج8، 46.

(2) – بيومي: دراسة تم نشرها في أحد المجلات الجامعية بعنوان الحسن البصري حياته، ص 132، نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي، ج 8، ص 35.

(3) – البيهقي: السنن الكبرى، ج 2، ص 194؛ بيومي: الحسن البصري حياته، ص 132.

قال أبو الحسن عن الحسن بن دينار[1]: كان الحسن البصري يغمى عليه ثم يفيق فيقول: ساعة صبر واحتساب، وتسليم لأمر الله عز وجل حتى مات[2]، ويروى: أنه أغمي عليه، ثم أفاق إفاقة، فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون، ومقام كريم[3].

يقول أبو طارق السعدي: شهدت الحسن عند موته يوصي فقال لكاتب: اكتب هذا ما يشهد به الحسن بن أبي الحسن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من شهد بها صادقًا عند موته دخل الجنة[4]، ولما حضرته الوفاة جعل يسترجع فقام إليه ابنه فقال: يا أبت قد غممتنا، فهل رأيت شيئًا؟ قال: هي نفسي لم أصب بمثلها[5].

ونلحظ أن حرصه على ترك الدنيا والتعلق بالآخرة رافقه طوال حياته حتى في اخر لحظات له في الدنيا، وهذا يؤكد صدق إخلاصه رحمه الله.

وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأن طائرًا آخذًا الحسن حصاه في المسجد فقال ابن سيرين: إن صدقت رؤياك مات الحسن قال: فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات[6].

وفاته:

لقد استمرت علاقة الحسن بالولاة من حيث النصح والإرشاد حتى أواخر حياته، وجمع الأمة على كلمة سواء، وكان يؤدي واجبه نحو الراعي بالنصيحة الخالصة، ونحو الرعية بمشاركتهم في البأساء والضراء، فكان يحضر الجنازة معهم راكباً الحمار لعدم استطاعته السير معهم لضعف لحق به أثر الكبر والشيخوخة التي أصابته[7].

---

(1) - الحسن بن دينار هو الحسن بن واصل كان ربيب دينار وهو مولى بني سليط ،حدث عنه سفيان الثوري فقال حدثنا أبو سعيد السليط. (ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج2 ص234).

(2) - المبرد،: التعازي والمراثي، ج 1، ص 136؛ ابن الجوزي: الثبات عند الممات، ج 1، ص 136.

(3) - الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 587.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 129.

(5) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 587.

(6) - ابن سعد: الطبقات الكبر، ج 7، ص 129؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج 2، ص 27؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج 1، ص 182.

(7) – الطبري: الأمم والملوك، ج4، 61.

فبعد حياة ملأها الحسن بالعلم والعمل، قُبِض ليلة الجمعة في أول رجب من سنة (110هـ = 729م)، وقد عاش نحواً من ثمانٍ وثمانين سنة، كما أخبر بذلك ابنه عبدالله[1]، وقيل تسع وثمانون وقيل تسعون سنة[2] وكانت جنازته مشهودة، قال حميد الطويل: "توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره، وحملناه بعد صلاة الجمعة، ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر"[3].

فخروج الناس جميعاً وعدم إقامة صلاة العصر لأول مرة منذ ظهور الاسلام يدلل على قبول الناس له، وقبول الناس له يدلل على أن الله تبارك وتعالى وضع له القبول في الأرض، وقبول الله تبارك وتعالى يتحقق إذا ما أخلص الإنسان في عبادته كلها لله رب العالمين، ونحسب شيخنا الحسن البصري رحمه الله قد حقق موجبات قبوله في الدنيا، ولا نزكيه فالله تعالى حسيبه.

ومن شدة حزن الناس على فقدان هذا العالم الجليل وتأثرهم بموته وأن شئت قل صدمتهم بموته فكأنهم رأوا في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راض[4]، ورأى رجل من أصحاب الحسن ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادي إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه[5].

وإن صحت هاتين الروايتين فلربما يكون ذلك من تأثرهم النفسي بموته وكثرة تفكيرهم به وحبهم له، خاصة أنه رضي الله عنه كان محبوباً وله مكانته في قلوب كل من عرفه، فإشغال عقولهم وقلوبهم بذلك جعلهم وكأنهم يتوهمون تلك التصورات.

---

(1) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 4، ص 317.

(2) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 437.

(3) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 72.

(4) - القشيري: الرسالة القشيرية، ج 1، ص 418.

(5) - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4، ص 510.

الفصل الثاني: النظرة السياسية والفقهية للحسن البصري

المبحث الأول: الحسن البصري ورأيه في الفتنة الكبرى.

المبحث الثاني: الحسن البصري والإمامة.

المبحث الثالث: الحسن البصري والحركات الفكرية.

المبحث الرابع: الحسن البصري وتأسيسه نظرية فقه الاختلاف بين الراعي والرعية.

أن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كلُّ جاهل.

الحسن البصري

المبحث الأول: الحسن البصري ورأيه في الفتنة الكبرى.

موقف الحسن البصري من الفتنة الكبرى:

كانت بداية فتنة مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه إثر الخلاف على شخص والي الكوفة الوليد بن عتبة واتهام الكوفيين له بالسكر ظلماً وجوراً، وبعدها قام الخليفة بتنحيته عن ولايتها واستبداله بسعيد بن العاص، فما لبث ابن العاص حتى بدأ أهل الكوفة يطعنون فيه هو الآخر، ويكيلون له الاتهامات، ومن ثم بدأ بعض المرجفون بتحريض أهالي الكوفة ومن ثم بدأت المؤامرات لتشكيل حلف من الكوفة والبصرة ومصر، لتقديم شكواهم لخليفة المسلمين، الذي اتهموه هو أيضاً بالوقوف إلى جانب اقربائه ومحاباتهم، ولكن مطالبهم لم تتوقف عند هذا الحد، بل تطورت حتى اتفق الفريق على أن يذهبوا للخليفة من أجل عزل والي البصرة وتنحية الخليفة عثمان بن عفان عن الخلافة فإن لم يقبل قتلوه، وحينها بدأت تتبلور صورة جديدة لفتنٍ أطلت برأسها على الخلافة الراشدة[1].

واشتعلت الفتنة وظهر القتال بين المسلمين بصورة أكبر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ولم يكن لقتلة عثمان أية عصبية تجمعهم، بل لم يجمعهم إلا طمع بالدنيا أو كره للحق، فبعضهم كان ينقم على فضل قريش والأنصار، ويتطلع لنيل شيء من تلك السابقة، فهم غوغاء من الأمصار كما وصفهم الزبير، وهم نزّاع القبائل كما تقول عائشة[2] وهم حثالة الناس متفقون على الشر كما يصفهم ابن سعد[3] وهم خوارج مفسدون وضالون باغون كما ينعتهم ابن تيمية[4].

ما ذكر يشير إلى أن تلك الفئة تستمد أفكارها من أهواء شخصية، تنبع أساساً من حبهم للدنيا وزينتها، ورغبتهم في الحصول على الرئاسة والحكم والأمارة.

---

(1) - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 416، 419؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 4، ص 203.

(2) - الطبري: الرسل والملوك، ج 4، ص461،462؛ ابن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، ج 1، ص 113؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 25، ص 110.

(3) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص71.

(4) - ابن تيمية: منهاج السنة، ج 6، ص 297.

وكان عدد المتآمرين ومن تبعهم على عثمان رضي الله عنه ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف من أهل البصرة والكوفة ومصر، ولم يجمعهم شيء إلا طاعة عبد الله بن سبأ[1] اليهودي المعروف بإبن السوداء، وهو الذي أراد أن يخرب الإسلام فحرض الناس على عثمان رضي الله عنه إما بإثارة الشبهات حوله، أو بشهود زور على ولاته، أو بكتب مزورة وشهادات زائفة نسبها لبعض الصحابة[2]، فتجمّع معه هؤلاء، فذهبوا إلى المدينة غِيلةً وهم يزعمون أنهم يريدون الحج، فلمّا وصلوا داهموا المدينة وحاصروا عثمان وطلبوا منه أن يعزل نفسه أو يقتلوه، واغتنموا غيبة كثيرٍ من أهل المدينة في موسم الحج، وغيبتهم في الثغور والأمصار، ولم يكن في المتبقين من أهل المدينة ما يقابل عدد الخوارج، فخشي عثمان إن قاتلهم أن تكون مجزرةٌ للصحابة بسببه[3].

فأشار المغيرة بن الأخنس[4] على عثمان رضي الله عنه بخلع نفسه، فردَّ عبد الله ابن عمر عليه، ونصح عثمان بألا يخلع نفسه، وقال له: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمّصكه الله، فتكون سُنة، كلما كره قوم خليفتهم أو أميرهم قتلوه[5]، وبعد أن قطع عنه المتآمرون الماء، دخل عليه عبد الله بن سبأ وضربه فتشجّع القتلة[6]، فأخذ الغافقي[7] حديدة ونزل بها على عثمان

---

(1) - عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن علياً رضي الله عنه حرقه بالنار، وقد قال الجوزجاني زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي فنهاه علي بعد ما هم به، الذي ينسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة أصله من أهل اليمن كان يهوديا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان. (الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج4، ص105).

(2) – الطبري: تاريخ تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 450– 456.

(3) - الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص 381؛ ابن أبي بكر: مقتل الشهيد عثمان، ج 1، ص 135؛ ابي شيبة: المصنف في الحديث والآثار، ج7، ص 521.

(4) – المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي الاخنس من الحجازي كان عند فتنة عثمان بن عفان. (ابن حجر: لسان الميزان، ج7، ص302).

(5) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 66.

(6) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ص481؛ الآجري: الشريعة، ج 4، ص 1979.

(7) – هو الغافقي بن حرب العكي من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عند الفتح. فلما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلي، ولم يجد مرتفعا لفساده في الحجاز ولا في الشام، اكتفى باصطناع بعض الأعوان في البصرة والكوفة، واختار الإقامة في الفسطاط، فكان الغافقي هذا من قنائصه، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة الأموي ربيب الآبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبئيين في مصر، والغافقي للتصدر والظهور، وفي شوال سنة 35 أعدوا عدتهم للزحف من مصر على المدينة بأربع فرق مجموع رجالها نحو ستمائة، وعلى كل فرقة رئيس ورئيسهم العام الغافقي هذا، وتظاهروا بأنهم يقصدون

رضي الله عنه فضربه بها وضرب المصحف برجله، فطار المصحف واستدار ورجع في حضن عثمان وسال الدم فنزل عند قوله تعالى: "فَسَيَكفيكَهُمُ الله"[1][2].

فمن خلال ما سبق يظهر أن الإمارة ليس في وقت الرخاء فقط، وإنما يجب على الأمير المحافظة عليها حتى في وقت الفتن وتعرضه للهلاك، لأن حمايته للإمارة هي بمثابة حماية للدين والدولة، فإذا فرط فيها في مثل تلك المواقف سيجعل بلاد الاسلام عرضة للهلاك بسبب ما سيلحق بهم من اختلاف وتشرذم وتفكيك، فوحدة الدولة في تماسك القيادة وعدم التفريط في زمام الأمور أمام الانقلابين المندفعين تحقيقاً وانتصاراً لأهوائهم وشهواتهم وحبهم للدنيا.

بعد ذلك أرادت نائلة زوجة عثمان رضي الله عنهما أن تحميه، فرفع سودان[3] السيف يريد أن يضرب عثمان، فوضعت يدها لتحميه فقطع أصابعها فولت صارخة تطلب النجدة، فضربها في مؤخرتها، وضرب عثمان على كتفه فشقه، ثم نزل عليه بخنجر فضربه تسع ضربات

الحج، وفي المدينة تطورت حركاتهم إلى أن استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس في المسجد النبوي فصار الغافقي هو الذي يصلي بالناس (الطبري: الأمم والملوك، ج 5، ص 107). ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقي أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار (الطبري: الأمم والملوك، ج 5، ص130) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب. (الطبري: الأمم والملوك، ج 5، ص 155)، نقلاً عن (ابن العربي: العواصم من القواصم، ص 112).

(1) - البقرة، الآية 138.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 73؛ الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص 384؛ ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص 175؛ ابن أبي بكر: مقتل الشهيد عثمان، ج 1، ص 135؛ ابي شيبة: المصنف في الحديث والآثار، ج7، ص 521؛ ابن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، ج 1، ص 72.

(3)– قال ابن العربي: لم أر هذا الاسم فيمن اجترءوا على ارتكاب الجريمة العظمى، ولعل النساخ حرفوا اسم سودان بن (حمران)، أو اسم عمرو بن (الحمق)، لكن ابن العربي جمع بعض معلوماته من كتاب تاريخ الطبري فقال: هو أحد الذين قدموا في خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حصين بن نمير ومعاوية بن حديج، فلما استعرضهم أمير المؤمنين عمر وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما، ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عماراً إلى مصر ليكتشف له مصدر الإشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التف السبئيون بعمار وكان سودان بن حمران منهم، ولما سير السبئيون متطوعة الفتنة من أوشاب القبائل اليمنية التي في مصر في شوال سنة 35 نحو المدينة وجعلوهم أربع فرق كان سودان قائد إحدى هذه الفرق، ولما وصل متطوعة الفتنة إلى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون لأربعة هذا واحد منهم، ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادي: قد قتلنا عثمان بن عفان (ابن العربي: العواصم من القواصم، ص 113– 135).

وهو يقول: ثلاثٌ لله، وسِتٌ لما في الصدور، ثم قام قتيرة[1] فوقف عليه بالسيف، ثم اتكأ على السيف فأدخله في صدره، ثم قام أشقاهم وأخذ يقفز على صدره حتى كسّر أضلاعه، عندها قام غلمان عثمان بالدفاع عنه، واستطاعوا أن يقتلوا كلاً من سودان وقتيرة، لكن أهل الفتنة قتلوا الغلمان جميعاً، وتركو جثثهم داخل الدار[2].

ومما كان قبل قتل عثمان ما روي عن الحسن البصري قال: "أنبأني وثّاب قال: بعثني عثمان، فدعوت له الأشتر فجاء، قال إبن عون أظنه قال: فطرحت لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة، فقال: يا أشتر، ما يريد الناس مني، قال: ثلاث ليس لك من إحداهن بد، قال: ما هن، قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك، قال: أما من إحداهن بد، قال: لا، ما من إحداهن بد، قال: أما أن أخلع لهم أمرهم، فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، والله لأن أقدم فتضرب عنقي، أحب إلي من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض، وأما أن أقص من نفسي، وأما أن تقتلوني: فو الله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون بعدي جميعاً أبداً، ولا تقاتلون بعدي عدوّاً جميعاً أبداً"[3].

وأصبح عثمان بن عفان يوم قتل يقص رؤيا على أصحابه رآها فقال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة فقال لي: يا عثمان أفطر عندنا، قال فأصبح صائماً وقتل في ذلك اليوم رحمه الله"[4].

وكأن مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه في هذا اليوم تحقيقاً للرؤيا التي رءاها، فاستشهد في يومه حتى يلبي دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتناول طعام الإفطار، وفيها إشارة واضحة على أن عثمان من المقبولين وأنه من أهل الجنة، وهذا يفهم من خلال دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، لأن الرسول في الجنة.

---

(1) – لم نتحصل له على ترجمة.

(2) - ابن أبي بكر: مقتل الشهيد عثمان، ج 1، ص 135؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 73.

(3) - ابن أبي بكر: مقتل الشهيد عثمان، ج 1، ص 135؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 74.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 74؛ ابن أبي بكر: مقتل الشهيد عثمان، ج 1، ص 135.

وأنكر ابن حجر أن يكون محمد بن أبي بكر قد شارك في القتل، وقال أن الذي قتله رجل من أهل مصر يقال له جبلة[1]، فجعل يقول: أنا قاتل نعثل[2]–يقصد عثمان– فقيل أين عثمان يومئذ، قال: في الدار[3]، وقال كنانة كذلك: رأيت قاتل عثمان في الدار رجلاً أسود من أهل مصر يقال له جبلة، باسط يديه، يقول: أنا قاتل نعثل[4]، وعن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: دخل عليه رجل من بني سدوس يقال له الموت الأسود فخنقه، وخنقه قبل أن يضرب بالسيف، فقال: والله ما رأيت شيئاً ألين من خناقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان[5] تردد في جسده[6].

وكان مقتل عثمان رضي الله عنه في سنة (35 هـ = 656م) ثم تلتها فتنٌ عظيمة[7]، وقد ثبت يقيناً أن أحداً من الصحابة لم يرض بما حلّ لعثمان، فضلاً على أن يكون قد أعان على قتله، فقد ثبت عن الحسن البصري رحمه الله –وهو شاهد عيان كان عمره وقتها أربع عشرة سنة– عندما سُئِل أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار، فقال: لا، كانوا أعلاجاً من أهل مصر[8]، وكذلك الثابت الصحيح عن قيس بن أبي حازم أن الذين قتلوا عثمان ليس فيهم من الصحابة أحد[9].

وانتقم الله لعثمان من قتلته شرّ انتقام، وكفاه إياهم، فلم يمت منهم أحد ميتة طبيعية، إنما كلهم ماتوا قتلاً، قالت عمرة[10]: فما مات منهم رجل سوياً[11]، وقال الحسن البصري وهو شاهد

---

(1) - جبلة: الغليظ. (ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 98).

(2) - نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قيل: إنه كان يشبه عثمان، و شاتمو عثمان يسمونه نعثلاً تشبيهاً بذلك الرجل المصري. (ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 670).

(3) - ابن حجر: : فتح الباري، ج 4، ص 293/292.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 84/83.

(5) - الشيباني: فضئل الصحابة، ج 1، ص 470؛ ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص 175.

(6) - ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص 174.

(7) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 72.

(8) - ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص 174.

(9) - الآجري: الشريعة، ج 4، ص 1981.

(10) - عمرة بنت عبدالرحمن سمعت عائشة أم المؤمنين روى عنها الزهري ويحيى وعبدربه أبنا سعيد وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وابنها محمد بن عبدالرحمن في الاعتكاف والأضاحي والإصلاح والحيض. (الكلاباذي: رجال صحيح البخاري، ج2، ص856).

(11) - ابن حنبل: فضائل الصحابة، ج 1، ص 501.

على ذلك الحادث: ما علمت أحداً أشرك في دم عثمان رضي الله عنه ولا أعان عليه، إلا قـُتِـل، وفي رواية أخرى: لم يدع الله الفَسَـقة قتلة عثمان، حتى قتلهم بكل أرض[1].

موقف الحسن البصري من فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

فالواضح أن الحسن كان ناقماً على من شارك في قتل عثمان رضي الله فضلاً عن من قتل، ما يدلل على ذلك وصفه لمن قتل عثمان بالفساق، كما أن صيغة كلامه تظهر الشماتة في ما آلت إليه أحوال قتلته، حيث قال حتى قتلهم الله بكل أرض، أي وكأنه فرح لأن الله انتقم منهم.

لقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يؤكد على أن الصحابة رضي الله عنهم لم يشاركوا في أحداث الفتنة، وأن عثمان لم يظلم أو يعاقب أحدهم كما أثير في بعض الكتب التاريخية ذات الميول الشيعية[2]، ومن ذلك:

- نفييه لفريه نفي أبي ذر: فمن جملة الطعون التي استخدمها المتآمرون في تأليب الناس على عثمان رضي الله عنه فرية نفيه أبا ذر، والحقيقة أن أبا ذر رضي الله عنه استأذنه بالرحيل فأذن له، ومما أكد ذلك هو سؤال غالب القطان[3] الحسن البصري: أعثمان أخرج أبا ذر؟ قال الحسن: لا، معاذ الله[4].
- إنكار الحسن أن يكون محمد بن أبي بكر قد شارك في قتل عثمان: فقال الحسن البصري وكان ممن حضر يوم الدار[5]، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً، ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه[6].

---

(1) - أبي شيبة: تاريخ المدينة المنورة، ج 4، 1252.

(2) – مثل كتابي فتوح البلدان وأنساب الأشراف للبلاذري، ومروج الذهب للمسعودي وغيرهم.

(3) - غالب القطان وهو بن الخطاف وهو بن أبى غيلان الراسبي يقال مولى عبد الله بن عامر بن كريز ويقال مولى راسب ويقال مولى بن تميم ويقال مولى بن غنم بصرى يكنى أبا سلمة روى عن الحسن وبكر بن عبد الله المزني روى عنه شعبة وعبد الله بن شوذب وبشر بن المفضل وإسماعيل بن علية سمعت أبى يقول ذلك نا عبد الرحمن انا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلى قال قال أبى غالب القطان ثقة ثقة ثنا عبد الرحمن قال ذكره أبى عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين انه قال غالب القطان ثقة نا عبد الرحمن قال سألت أبى عن غالب القطان فقال صدوق صالح. (الرازي: الجرح والتعديل، ج7، ص48).

(4) - ابن شبة: تاريخ المدينة، ص1037.

(5) - المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 6، ص 97.

(6) - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج 1، ص 174.

والحسن البصري أشاد وامتدح ما وصل إليه الناس من رغد عيش وتكامل النعم في خلافة عثمان رضي الله عنه، ووفور الخيرات وإدرار الأموال، وما آلت إليه أمر الناس من البطر وعدم الشكر، فيقول: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، وفي رواية سمعت عثمان يخطب يقول يأيها الناس، ما تنقمون علي، وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيراً[1]، فقال الحسن "قلما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، وسمعت بأذناي المنادي يقول لهم: يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، والأعطيات جارية، والأرزاق دارَّة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وكان السيف مغمداً على أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا، وأيم الله، إني لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة"[2].

وفي رواية أخرى قال الحسن ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا يوده وينصره، فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والأرزاق، ولكن لم يصبروا، وسلوا السيف مع من سل، فصار عن الكفار مغمداً، وعلى المسلمين مسلولاً إلى يوم القيامة[3].

وكأن الحسن يقول لولا نجاح الخليفة في إدارته للدولة بشكل صحيح لما عم الخير على الأمصار الاسلامية كلها، ولما عاش الناس في رغد من الحياة وبطر، وكأنه يؤكد أن تفرقة المسلمين وقتالهم لأنفسهم إلى يومنا هذا ناتج عن سوء التعامل الذي لقيه عثمان حينذاك، ولكفرهم النعم التي أجزلت عليهم، فكفرهم النعم وعدم الشكر جعلهم ينظرون بعين الطمع بعيداً عن الدين.

وفي تعليق الحسن لما رأى عثمان رضي الله عنه من إصرار المتمردين على قتله حذرهم من ذلك ومن مغبته فقال لهم: "أيها الناس، لا تقتلوني واستعتبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تقاتلوا جميعاً أبداً، ولا تجاهدوا عدواً أبداً، لتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه"[4]، وفي رواية أنه قال: "أيها الناس، لا تقتلوني، فإني والٍ وأخ مسلم، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تغزوا جميعاً أبداً، ولا

(1) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 19، ص 316.

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 224؛ ابن منصور: اعتقاد أهل السنة، ج 8، ص 1356.

(3) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 19، ص 316.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 71؛ ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص 171.

يقسم فيئكم بينكم"[1]، وقال أيضاً: "فوالله لئن قتلوني لا يحابون بعدي أبداً، ولا يقاتلون بعدي أبداً"[2] وقد تحقق ما حذرهم منه، فبعد قتله وقع كل ما قاله رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحسن البصري: "فوالله إن صلى القوم جميعاً إن قلوبهم لمختلفة"[3].

وعليه نرى أن الحسن يقف موقف المعادي لقتلة عثمان ومن شاركهم في ذلك، حتى فرح لمقتلهم، وفي هذا إشارة منه على وجوب قتلهم وإزهاق أرواحهم قصاصاً لما اقترفته أيديهم من قتل نفس مؤمنة تمثلت في الخليفة عثمان رضي الله عنه، وفي روايته هذه وموافقته عليها دلالة على أن المسلمين يوم يأتون ويقتلون أميرهم ستحل عليهم الفرقة والتشرذم والتمزق، ولا تقام لهم صلاة مجتمعة ولا جهاد مجتمع تحت راية واحدة، وفعلاً حدث ما قاله رحمه الله.

خلافة علي والفتنة التي تبعت خلافته:

بعد أن حقق المتآمرون مرادهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، جاء المهاجرون والأنصار لعلي بن أبي طالب فقالوا أمدد يدك نبايعك، فدفعهم فعاودوه فدفعهم أخرى ثم عاودوه، فقال لهم... "التمسوا غيري، وإني لأسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه، فذهب علي رضي الله عنه إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما فعرضها عليهما وقال من شاء منكم بايعته، فقالا الناس بك أرضى، فلما لم يجد بداً قال لهما، بيعتي لا تكون سراً، وعن رضا المسلمين، ثم قال أخرج للمسجد فمن شاء أن يبايعني فليبايعني"[4].

فبايعه من الصحابة جمع ممن كانوا في المدينة ومنهم طلحة والزبير[5]، وكان ذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين[1].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص67؛ فتنة مقتل عثمان، ج 1، ص 156.

(2) - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج 1، 171؛ الغبان: فتنة مقتل عثمان، ج 1، ص 157.

(3) - ابن خياط: التاريخ، ج1، ص 171؛ الغبان: فتنة مقتل عثمان، ج 1، ص 157.

(4) - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 450. ابن حنبل: فضائل الصحابة لابن حنبل، ج 2، ص 573.

(5) - وأما ما يذكره الواقدي وأبو مخنف من أنهما لم يبايعا فهذا غير صحيح بيّنه ابن العربي في (العواصم من القواصم ص148)، وهو مخالف للروايات الصحيحة عند (الطبري في تاريخه ج 4، ص428)؛ وكذلك في

يظهر أن علي لم يقبل بالخلافة إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة، ولخوفه الشديد من أنه إذا ما تأخر تنصيب وتولية خليفة تزداد الفتن وتنتشر، ومع ذلك لم يسلم من الزج به في تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين، التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه لزيغ قلوبهم عن الحق والهدى[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وأما ما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه أوصى إلى علي بالخلافة فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة، ومماألأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره لا لمعنى ولا لسبب وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق"[3].

أسباب الفتنة فيما بعد خلافة علي رضي الله عنه:

المراد بالفتنة التي دارت رحاها في زمن علي كرم رضي الله عنه هي حرب الجمل وصفين وقبل الدخول في ذكر هاتين الموقعتين نذكر لمحة عن أمرين:

الأول: إن قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً من قبل الخارجين عليه من أهل مصر، وأهل الكوفة، وأهل البصرة كان مصدر بدء التشاجر بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والقارئ لكتب التواريخ والسير يخرج منها بأن بداية التشاجر كان بعد قتل ثالث الخلفاء الراشدين وبداية خلافة علي[4].

الثاني: فإن أعظم دافع لهم إلى ذلك ليس إلا مطالبة الخليفة الرابع بوجوب الإسراع بأخذ القود من أولئك الأشرار قتلة عثمان رضي الله عنه، ذلك أن طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله

فضائل الصحابة (للإمام أحمد، ج 2، ص 573)؛ وما ذكره (اليعقوبي في تاريخه ج 1، ص 178)؛ (وابن سعد في الطبقات ج 3، ص31).

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص ص31؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 247؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 192.

(2) - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 450– 458.

(3) - البداية والنهاية، ج 7، ص 245.

(4) – انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 365؛ ابن الأثير: الكامل، ج 3، ص 178؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 186.

عليه وسلم منهم أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين كانوا يرون أنه لا بد من المطالبة بدم عثمان ووجوب الإسراع بإقامة حد الله عليهم كما أمر الله[1]، بينما كان يرى علي رضي الله عنه إرجاء الأمر حتى يبايعه أهل الشام ويستتب له الأمر ليتسنى له بعد ذلك التمكن من القبض عليهم، لأنهم كانوا كثيرين في جيش علي ومن قبائل مختلفة وكان لهم بعض التمكن حينذاك[2].

ولما كان رأي كل واحد من الفريقين مخالفاً لرأي الآخر، من هنا اختلفت الكلمة وتفاقم الأمر، وانتشرت الفتنة فأرسل علي رضي الله عنه الكتب المتتابعة إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه فيها إلى البيعة غير أن معاوية رضي الله عنه لم يرد شيئاً، فكرر عليه علي رضي الله عنه ذلك مراراً إلى أن دخل الشهر الثالث من مقتل ذي النورين رضي الله عنه، ثم بعث رجل كتاب فدخل به على علي فقال: "ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور... فقال علي: أمني يطلبون دم عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان"[3].

وقد وجه علي رضي الله عنه جماعة إلى معاوية رضي الله عنه وهو بصفين لمبايعته على السمع والطاعة وألا يفرق جماعة هذه الأمة، داعياً معاوية إلى مبايعته قائلاً: "فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في آخرتك فقال معاوية: ويهدر دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً"[4].

وقد دخل أبو الدرداء، وأبو إمامة رضي الله عنهما أيام صفين على معاوية رضي الله عنه فقالا له: "يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً وأقرب منك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحق بهذا الأمر منك، فكان جوابه عليهم، أقاتله على دم

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 462-464؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، 251-253؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص213/212.

(2) – انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، 437؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، 196/195؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، 248-249؛.

(3) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 20، ص 18/17؛ ابن حبان: الثقات، ج 2، ص 278/277؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 49، ص 268.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 257؛ المنقري: وقعة صفين، ج 1، ص 187؛ ابن هبة الله: شرح نهج البلاغة، ج 4، ص 9.

عثمان وأنه أوى قتلته فاذهبا إليه فقولا له: فليقتص من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام"[1].

فهذه الرواية وما قبلها تبين لنا أن معاوية رضي الله عنه كان قابلاً للبيعة بالخلافة لعلي رضي الله عنه لكن بشرط تعجيل القود والقصاص من قتلة عثمان، وكان رأي علي رضي الله عنه أن يدخل معاوية في البيعة أولاً ثم بعد ذلك يتتبع القتلة ويقام عليهم الحد الشرعي بعد إقامة الدعوى والإجابة ثم صدور الحكم فيهم كما أمر به الله تبارك وتعالى[2].

ولكن لما كان رأي علي ومعاوية رضي الله عنهما رأيين متضادين لا يلتقيان أدى ذلك إلى المنازعة واختلاف الكلمة، ولما رأى علي رضي الله عنه أن الكتب التي وجهها إلى معاوية لم تجد شيئاً بل إن الفتنة بدأت تشتد ولم تزدد الأمور إلا تعقيداً، حيث استأثر معاوية رضي الله عنه ببلاد الشام ولم يسمح لأمر علي أن يمتد إليها وهو الخليفة الحق بعد عثمان، وأن من حقه على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، أخذ علي رضي الله عنه في إعداد جيش وعزم على قتال أهل الشام، ولما رآه ولده الحسن رضي الله عنه يهيئ الجيش لقتال أهل الشام حاول أن يثنيه عن ذلك وقال له: "يا أبتي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين"[3]، وهكذا بدأت أحداث معركتي الجمل وصفين.

ويظهر أن موقف الحسن بن علي رضي الله عنه لا يؤيد الاقتتال وسل السيوف على المسلمين من قبل أن يتولى الخلافة، وكان يبذل جهده من أجل تحقيق ذلك، وهذا من عظيم شأنه وحكمته رضي الله عنه.

موقف الحسن البصري من الفتنة بين علي ومعاوية ومن القتال في الجمل وصفين:

لم ترد الكثير من الآراء عن الحسن البصري تتعلق بأحداث فتنة الجمل وصفين، باستثناء ما ورد عنه حينما سؤل عن ذلك فلم يجب إلا بقوله: "رحم الله صحابة رسول الله، شهِدوا وغبْنا،

(1) - ابن هبة الله: شرح نهج البلاغة، ج 4، ص 10؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 259.
(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 283.
(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 283.

وعِلِموا وجَهْلِنا، فما اجتمعوا عليه اتّبعنا، وما اختلفوا فيه وقَفْنا"[1]، وسئل الحسن عما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فقال: "كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة، ولهذا سابقة ولهذا سابقة، فبتليا جميعاً"[2].

ومعنى قول الحسن هذا أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين، ثم إن عدم إنكاره لصنيعهما يدلل على قبوله بذلك، فلو كان ناكراً لأمر بينهما لبين في كلامه رضي الله عنه.

ولربما أن الحسن رحمه الله لم ترد له آراء في قضية الفتنة لأسباب منها:

- أن الحسن البصري أحجم عن التحدث في الفتنة وما تبعها من قتال بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كما أسلفنا.
- أو أن الحسن قد ذكر آراءه ومروياته فيما يتعلق بقضية الفتنة في كتبه التي ها ولم تصلنا كما ذكرنا عند الحديث عن كتبه ومؤلفاته.

(1) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 2، ص 88؛ الآبي: نثر الدرر، ج 5، ص 126؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 322؛ ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 26، ص 241.

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 139.

المبحث الثاني: الحسن البصري والإمامة.

الإمامة:

تُعتبر الخلافة أو الإمامة باباً من أبواب العلوم والمعارف الاسلامية التي يصعب حصرها في مبحث مصغر، إنما يجب إفرادها بدراسة كاملة للوقوف على حقيقتها وفهمها بشكلها الصحيح، لكن في هذا المبحث سيتم التطرق للخلافة بشيء من الإيجاز، للربط ما بين الخليفة والطريقة التي يتم تنصيبه بها.

وقد مرت الخلافة الاسلامية بكثير من التحديات، كون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشر إلى كيفية معينة لاختيار الخليفة، وإنما ترك الأمر للمسلمين من بعده يختاروا أميرهم بأنفسهم، وفعلاً كان ذلك في الفترة الراشدة، لكن حينما ولي معاوية الخلافة ولى ابنه يزيد من بعده، وبهذا يكون انتقل الحكم من شوري إلى وراثي، ولقد كان لتغيير نظام الحكم عند معاوية مبرراته[1].

نشأت الخلافة:

ظهرت الخلافة بعد وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم مباشرة، فقد مات صلى الله عليه وسلم دون أن يبين من يخلفه في حكم الدولة الإسلامية وكذلك لم يبين الطريقة التي يتم بها ذلك، الأمر الذي أدى إلى اختلاف حاد بين المسلمين حول مسألة اختيار الخليفة[2].

وعليه فقد تعددت الطرق واختلفت الآراء حول مسألة الخلافة، وولم يقتصر الاختلاف فقط بين السنة والشيعة ولكن بين أهل السنة أنفسهم، ولتبيان ذلك سنتعرض بشيء من التفصيل لكيفية انتقال الحكم في العهد الراشدي ثم العهد الأموي لكن بعد التعريف بالخلافة والإمامة:

مفهوم نظام الخلافة:

لغة: اشتقت كلمة الخلافة من الفعل الثلاثي خَلَفَ أي جاء بعده وصار مكانة، فيقال خلفه في قومه بمعنى أقامه مكانه[1]، ومنها قوله تعالى: "وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"[2]، فالخلافة لغة تعني النيابة[3].

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 139.

(2) - الإمام مسلم: ج 6، ص 4؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 485.

الخلافة في الإصطلاح:

أطلق لقب خليفة على رئيس الدولة الاسلامية، فهي تعني الزعامة والعظمة المتمثلة في الولاية العامة على كافة الأمة للقيام بأمورها والنهوض بأعبائها[4]، وترادف كلمة الخلافة كلمتي الإمامة المأخوذة من إمامة الناس في الصلاة، والإمارة التي يقصد منها القيادة والرئاسة، ومن هنا كان لقب أمير المؤمنين[5].

ولقد عرّف بعض العلماء الخلافة بقولهم: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[6]، وقال ابن خلدون "الخلافة حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية والراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[7].

وعليه فقد اختلفت آراء العلماء بشأن الخلافة هل هي نيابة عن الله في تطبيق شرعه، أم هي نيابة عن الرسل صلى الله عليه وسلم، فمنهم من قال هي النيابة عن الله[8] مستدلين بقوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ"[9]، وقوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً"[10]، وخالفهم جمهور العلماء من جواز ذلك، ووصفوا القائل بذلك بالفجور، وقالوا يستخلف الله من يغيب أو يموت، والله لا يغيب ولا يموت[11]، وهذا الرأي يوافق ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال عن نفسه بأنه ليس خليفة الله وإنما خليفة

---

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ص 822؛ الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، ج 1، ص100.

(2) - سورة الأعراف: الآية 142.

(3) - ابن منظور: لسان العرب، ص 822؛ الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، ج 1، ص100.

(4) - القلقشندي: مآثر، ج 1، ص 8.

(5) - مهران: الإمامة وأهل البيت، ج1، ص29.

(6) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 5.

(7) - المقدمة، ج 2، ص 578.

(8) - ذوقان: ولاية العهد في العصر الأموي، ص 16.

(9) - سورة الأنعام، الآية 165.

(10) - سورة البقرة، الآية 30.

(11) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 17؛ القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ص 15.

رسول الله[1]، وهذا ما أكده الإمام النووي "بأنه لا ينبغي أن يقال للقائم بأمر المسلمين خليفة الله"[2].

ولقد كان للحسن البصري رأياً مخالفاً فيما تم الاستشهاد فيه من آيات على أن الخلافة نيابة عن الله، فقد أورد في توضيحه للآية "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" فقال: "إخباراً من الملائكة عن الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه جاعله في الأرض لا غيره _أي لا ينوب عنه– لأن المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت"[3]، وقال في تأويل ذلك أي "خلفاً يخلف بعضهم بعضاً، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله"[4].

وقد رأى أصحاب الرأي الثاني أن الخليفة ينوب عن الرسل صلى الله عليه وسلم، لأن تسمية الحاكم المسلم خليفةً إنما جاءت بعد خلافة أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا اللقب جاء من الرسول صلى الله عليه وسلم[5]، حيث نقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن بني اسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خَلِفَه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وأنه سيكون خلفاء فتكثر"[6].

وما سمي الخليفة بذلك إلا لأنه خلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، فيجوز أن يقال خليفة رسول الله ويقال الخليفة على الاطلاق[7]، ويعتبر ابن خلدون الخلافة وكالة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخليفة يمثل النبي صلى الله عليه وسلم في السلطة السياسية والدينية، ولا يمتاز عن سائر المسلمين إلا من حيث كونه منفذاً للأحكام وحارساً للدين[8].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 183؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 1، ص 529؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 18.

(2) - القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج 1، ص 14.

(3) - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج 1، ص452.

(4) – المصدر نفسه، ج 1، ص 127.

(5) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 183؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 1، ص 529.

(6) - ابن الخلال: السنة، ج 1، ص 78.

(7) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 18.

(8) - المقدمة، ج 2، ص 579.

وعندما ولي أمير المؤمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أصبح ينادى بخليفة خليفة رسول الله، فوجد أن هذا الأمر سيطول مع تولي الأمراء ويشكل مشقة علي المسلمين، لذلك قال "أنتم المؤمنين وأنا أميركم"[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن مصطلحي الخلافة أو الخليفة وأمير المؤمنين قد كان أول ظهور لهما في بداية صدر الإسلام خاصة في فترتي أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وبهذا يصبح دلالة لقب أمير المؤمنين يحمل ذات المعنى والمضمون للخليفة.

نظرة الحسن لمن طلب الخلافة والإمارة:

كان الحسن رحمه الله لا يرغب في الإمارة أو الرئاسة، فحينما سئل عن التطلع لمنصب الخلافة أو الإمارة فقال: "المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أخذه من قبل ربه، وإن هذا الحق قد اجتهد أهله، ولا يصبر عليه إلا من عرف فضله، ورجا عاقبته، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة، وليس يكره لقاء الله، إلا مقيماً على سخط"[2].

البيعة: وهي عقد يتم بين طرفين الإمام الذي يستجمع شرائطها، فيلتزم لهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويلتزم المبايعون بالسمع والطاعة له، فإذا حاد عن التزامه جاز لهم عصيانه، وإذا عصوه مع التزامه قاتلهم على ذلك[3].

الخلافة الراشدة وطرق اختيار الخليفة في الدولة الاسلامية:

تعددت وتنوعت طرق اختيار الخليفة في الدولة الاسلامية، فكان الاختلاف في الاختيار من خليفة إلى آخر ومن عصر إلى آخر، وهذا ناتج عن أن الرسول قد ترك للمسلمين طريقة إختيار خلفائه من بعده كما أسلفنا، وأهم الطرق التي أتبعت في الدولة الاسلامية لاختيار الخليفة ما يلي:

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3، ص 281؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 569؛ ابن عطية: المحرر الوجيز، ج 4،ص 502؛ القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ص 17.

(2) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 313.

(3) - ال محمود: البيعة في الاسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق، ص 22.

1. **طريقة الاختيار أو الانتخاب الاستشاري:** وهي الطريقة التي أختير بموجبها أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد انعكس هذا الأمر جلياً في بيعة السقيفة[1].

فالأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ليختاروا من أنفسهم إمامًا للمسلمين، لكن ثلاثة فقط من المهاجرين قد اجتمعوا بهم، وهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فالنتائج التي توصَّل إليها المجتمعون والتي تمثَّلت في ترجيح كفة المهاجرين، ومبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ليكون لهم خليفة أو إماماً بعد رسول الله[2]، ويمكن أن نطلق على هذه النموذج الاختيار الشعبي المباشر.

رأي الحسن البصري في أبي بكر رضي الله عنه وخلافته:

ظهر رأي الحسن البصري في أبي بكر حينما سأل النظر بن عمرو[3] الحسن عن أبي بكر أهو أفضل أم علي فقال بل أبا بكر أفضل[4]، كما أن رأي الحسن في خلافة أبي بكر أنَّها ثبتت بالنص الخَفِيْ، يعني بالدليل الخفي والإشارة، فقال حينما سئل هل كانت ولاية أبي بكر بالنص عليه؟ فقال "لقد كان أبو بكر الصديق أتقى لله من أن يَتَوَسَّدَ عليها" يعني الخلافة[5]، واعتبر الحسن الخروج على خلافة أبي بكر ردة وأعتبر مقاتلتهم جهاداً في سبيل الله[6].

ويبدو واضحاً أن الحسن يتحدث عن أبي بكر على أنه رجل أكبر من أن يسعى لهذا المنصب، مما يوضح مكانة أبي بكر عند الحسن كونه قائد إسلامي فذ، ويفهم مما ورد أن الحسن يعرف أبا بكر جيداً فوصفه بأنه رجل لا ينظر إلى الدنيا من شدة تقواه.

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 243– 245.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 243– 245.

(3) – لم أحصل له على ترجمة.

(4) - الرازي: شرح اعتقاد أهل السنة، ج 8، ص 1371.

(5) - ال الشيخ: شرح الطحاوية، ج 1، ص 636.

(6) - ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج 2، ص 191؛ ال خاطر: التراتيب الإدارية، نظام الحكومة النبوية، ج 1، ص 80.

2- العهد أو الاستخلاف:

هي عبارة عما قام به أبو بكر الصديق من عهد لعمر بن الخطاب، ولم يكن هذا العهد بإجبار المسلمين أو دون رضاهم، وإنما كان ذلك برضاً تاماً من المسلمين، فقد ذكر الطبري أن أبا بكر خرج على الناس في مرض وفاته فقال لهم: "أترضون بمن أستخلف عليكم؟! فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وَلَّيت ذا قرابة، وإني قد استخلفتُ عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا"[1].

التحول المباشر لدى الصحابة على مبايعة عمر بالخلافة رغم توجس البعض، يعكس مدى التزام الصحابة رضي الله عنهم وحسن تربيتهم واخلاقهم، وبعدهم عن الدنيا، كما يظهر مدى تأثير القائد في نفوسهم وتفكيرهم، كون القائد كان من أخلصهم واتقاهم وفي مقدمتهم، فهذا يجعل الجميع يطيعوا الأمير طاعة لله.

ولم يكن فِعْل أبي بكر هذا مفاجأة للمسلمين، فقد استطلع آراء كبار الصحابة قبل قراره هذا، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه، ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً _أي ابن عوف–، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقتُهُ فرأيتُني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أرانيَ الرضا عنه، وإذا لنتُ له أراني الشدةَ عليه، لا تذكر يا أبا محمد مما قلتُ لك شيئًا، قال: نعم، ثم دعا عثمان بن عفان، قال: يا أبا عبد الله، أخبرني عن عمر، قال: أنت أخبرُ به، فقال أبو بكر: على ذاك يا أبا عبد الله، قال: اللهم علمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته، وأن ليس فينا مثله، قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبد الله، لا تذكر مما ذكرتُ لك شيئًا، قال: أفعلُ"[2]، ولذلك كان العهد لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بمنزلة إجماع الأمة على مرشح للخلافة من قبل الخليفة الحالي.

وكان موقف الحسن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما كان موقفه من أبي بكر، حينما سأل النظر بن عمرو الحسن عن عمر بن الخطاب أهو أفضل أم علي فقال بل عمر بن

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 428 واللفظ له؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 267.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 352؛ الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، ج 44، ص 254؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج 10، ص 356.

الخطاب أفضل[1]، ونرى أن الحسن كان قابلاً بخلافة عمر مدافعاً عنها، حيث امتدح فراسة أبي بكر في تولية عمر الخلافة، وعدها من حسن الإختيار، قائلاً أنه سيد أهل الجنة[2].

3- الشورى المتمثلة في مجلس الحل والعقد:

وهذه الطريقة تتمثل في اختيار الخليفة عمر بن الخطاب ستة من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختاروا من يأتي من بعده، وهم الذين اجتمعت آراء المسلمين داخل المدينة وخارجها على مكانتهم وفضلهم، ومن ثم صلاحيتهم لتولية إمامة المسلمين، والحق أن عمر بن الخطاب قد اختار هؤلاء بناء على رضا رسول الله عنهم، فهم المبشَّرُون بالجنة، لم يكونوا ستة فقط، بل سبعة نفر، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأما سابعهم فهو سعيد بن زيد بن عمرو[3] بن نفيل، لكن عمر بن الخطاب قد استبعده لقرابته منه، فلم يشأ أن يلي أمر المسلمين أحد من آل عمر أو من أقاربه فقال "ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ... بحسب آل عمر أن يُحَاسب منهم رجل واحد" لكنه رضي الله عنه أضاف إليهم ابنه عبد الله شريطة أن ألا يُختار خليفة بل لترجيح إحدى الكفتين في حالة التساوي[4].

4- الإختيار المباشر:

هذه الطريقة هي الأهم في تاريخ الخلافة الراشدة، فهي اختيار الخليفة علي بن أبي طالب، هذا الإختيار الذي كان غاية في الأهمية ويجب الوقوف أمامه، لأن البيعة له كانت ملازمة لأحداث استثنائية مرت بها الدولة الإسلامية من فتن وخلافات وقتها، ومن ثم كان من الضروري

---

(1) - الرازي: شرح اعتقاد أهل السنة، ج 8، ص 1371.

(2) - القرشي: الموضوعات، ج 1، ص 298.

(3) - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب كنيته أبو الأعور لم يشهد بدرا بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة ليتجسسا خبر العير فقدما من الحوران بعد ما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الوقعة فضرب لهما صلى الله عليه وسلم بسهميهما واجرهما ومات سعيد بالمدينة سنة إحدى وخمسين وهو بن بضع وسبعين سنة ودخل قبره سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب. (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج 1، ص 8).

(4) - الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص228؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 440؛ النويري: نهاية الارب في فنون الأدب، ج 19، ص 378.

أن تدرأ الأمة هذه المفسدة قبل استفحالها، فلم يكن من بُدٍّ أن يُسرع المسلمون لمبايعة رجل بمكانة علي بن أبي طالب، وهو ما تمَّ بالفعل، حتى إن علي بن أبي طالب قد اشترط أن تكون بيعته عامة في المسجد، ولقد كان البعض كعبد الله بن عباس في تخوُّف من البيعة في المسجد وسط هذه الفتنة وأحداثها، لكن البيعة قد تمت من المهاجرين والأنصار في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحت أمراً واقعاً[1].

رأي الحسن البصري في خلافة علي: حيث أبان رأيه حينما تحدث مادحاً علي ابن أبي طالب وخلافته رضي الله عنه فقال: "أراهم السبيل، وأقام لهم الدين إذ تعوج"[2]، ومن هذه الكلمات القليلة يظهر امتداح الحسن وتأييده لخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

5- التنازل:

من الممكن أن تكون الخلافة بالتنازل عنها إذا ما كانت الدولة الاسلامية غير مستقرة بسبب التنازع على الخلافة وغيرها، وخُشي على الأمة الهلاك بسبب الفتن التي تحدث فيها، ومن هذه الصورة تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[3]، فلم يكن تنازل الحسن عن ضعف، إنما كان تنازل من قوة لحقن دماء المسلمين[4].

وهذا يؤكد حصول المعجزة النبوية في الحسن رضي الله عنه، حيث قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلْحَسَنِ بن عَلِيٍّ "إِنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ الله بِهِ بين فِئَتَيْنِ من أُمَّتِي"[5]، وقال في حديث حَمَّادٍ "وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بين فِئَتَيْنِ من الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ"[6].

والحديث فيه إشارة تؤكد صلاح وتقوى الفريقين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما ومن معهما، ولم يفضل أحدهما على الأخرى، وفي هذا إشارة واضحة على صلاح خلافة معاوية.

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 696؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 205.
(2) - الكلابادي: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ج 1، ص 281.
(3) - الخلف: أصول مسائل العقيدة عند السلف الصال، ج 2، ص 99.
(4) - أبي الصلابي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج 1، ص 11.
(5) - لنسائي: السنن الكبرى، ج 6، ص 72.
(6) - داود: السنن ج 4، ص 216.

6- التوريث:

إن أول من استحدث ولاية العهد في الإسلام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وقد كان هذا الأمر اجتهادًا منه، لدوافع ملحة ومبررات كثيرة، فكان أول هذه الدوافع أخذ العهد من بعده لابنه يَزِيدٍ هو خوفه من الاختلاف الذي قد يطرأ على الأمة من بعده، خاصة وأن أهل الشام وهم العنصر الأقوى في الدولة وقتها كانوا مؤيدين لمعاوية وابنه يَزِيدٍ[1].

والحق أن معاوية بن أبي سفيان قد استشار بعض أهل الحل والعقد، واستوثق من مبايعة الناس في كافة الأقاليم لابنه يَزِيدٍ، غير أن هناك ثلاثة نفر من الصحابة وأبناء الصحابة لم يوافقوا على ذلك، إلا أن الإجماع كان ظاهرًا جليًّا ليزيد بن معاوية، وهذا الإجماع دون شك كان الهدف الأسمى الذي سعى إليه معاوية، وهذا الاجتهاد من معاوية كان لدَرْء مفسدة اختلاف الأمة، والتي كانت مُقَدَّمة عنده على أي شيء آخر[2].

ومن يتأمل تلك اللحظة التاريخية بواقعية وموضوعية، وبشرعية دينية متحررة يدرك أن النظام الملكي في ذلك العهد وما تلاه هو الحل الصحيح، والوحيد القادر على حفظ وحدة الأمة، ولو ترك معاوية الأمر من بعده شورى لكان ذلك تكريساً لمبدأ الفوضى والفتنة والاقتتال الذي لا يعلم نهايته إلا الله وحده تبارك وتعالى.

ثم إن الخلافة الراشدة وهي خلافة خير البشر لم تمتد أكثر من ثلاثين عام بسبب الاقتتال والفتن، وقتل فيها بعض الخلفاء بفعل الفتنة القائمة، فإذا ما علمنا ان الفتنة وقعت في عهد خير البشر، فكيف لو تركنا أمر اختيار الخليفة للناس كافة في ظل الأمواج المتلاطمة من الفتن، فإذا ما علمت أن الفتنة كانت تتحرك بعد وفاة أي من الخلفاء الراشدين مباشرة وهم خير الورى، لعلمت مدى بعد النظر الذي تحلى به الخليفة معاوية بن أبي سفيان لتوليته أبنه من بعده ليقطع دابر الفتنة من خلال فرض أمر واقع لا مجال فيه للمجادلة والنقاش الذي يثير الفتن.

---

(1) - ابن العربي: العواصم من القواسم، ج 1، ص 215؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج 1، ص 118.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 248؛ ابن العربي: العواصم من القواسم، ج 1، ص 215.

ورغم تلك الخطوة الجريئة والحكيمة من معاوية رضي الله عنه، إلا أن البعض كان رافضاً لتلك الخلافة، فكيف لو تركت بدون حزم وقد كثر المسلمين وبعدوا عن عصر النبوة، فإذا ما تم استحضار ذلك سنثمن موقف معاوية في حزمه وتوليته لابنه يزيد لقطع دابر الفتنة والحفاظ على دماء المسلمين حتى وإن كان فيها استئثار بالحكم[1].

موقف الحسن البصري من الأئمة في العهدين الراشدي والأموي:

لقد كان للحسن موقفاً واضحاً في تبيانه مكانة وفضل الخلفاء الراشدين الأربعة ومعاوية بني أبي سفيان، حيث سأل النضر بن عمرو الحسن البصري فقال: أبو بكر أفضل أم علي فقال: سبحان الله ولا سواء، سبقت لعلي سوابق شركه فيها أبو بكر وأحدث أحداثاً لم يشركه فيها أبو بكر، أبو بكر أفضل قال: فعمر أفضل أم علي، فذكر مثل قوله الأول، ثم قال عمر أفضل قال: فعلي أفضل أم عثمان، فذكر مثل قوله الأول ثم قال: عثمان أفضل، فطمع الشامي فقال: علي أفضل أم معاوية فقال: سبحان الله ولا سواء سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية وأحدث علي أحداثاً شركه معاوية في أحداثه علي أفضل من معاوية[2].

وهذه الرواية قالها الحسن بعد انقضاء فترة الخلافة الراشدة وخلافة معاوية، فقوله هذا يبين وقوفه وتأييده لأفضلية الخلفاء بالتتابع، وإقرار الحسن لفضلهم بالتتابع وهذا يعني قبوله خلافتهم وموافقته لها ومدافعته عنها، كما يبين فضل معاوية رضي الله عنه، صحيح أنه فضّل علي على

---

(1) - ومما يؤكد ما ذهب إليه الباحث، هو عندما توفي يزيد ورفض ابنه معاوية بن يزيد تولي الخلافة وتركها شورى للمسلمين ماذا حدث؟ لقد تمزقت الدولة الإسلامية لعدة دويلات متناحرة، دولتنا في الشام للأمويين، ودولتان للخوارج، ودولة لعبد الله بن الزبير، ودولة للمختار الثقفي، ولم تستقر الدولة إلا في عهد عبد الملك بن مروان رحمه الله، الذي قضى فترة حكمه في القتال والمعارك من أجل توحيد الدولة الإسلامية من جديد، كذلك عندما تولى عمر بن عبد العزيز وجاء له ثلاثة من الخوارج يناظرونه، فسألوه كيف يرضى بأن تنتقل الخلافة بعده إلى يزيد بن عبد الملك، لماذا لا يعيد الخلافة للشورى، فقال لهم أمهلوني ثلاثاً، وبعد أن شاور العلماء وعمل توازن للمصالح، وجد أن درئ مفسدة القتال الداخلي بين المسلمين أولى من مصلحة إعادة الشورى، وأقر ما في كتاب ولاية العهد الذي كتبه له الخليفة سليمان بن عبد الملك، والذي يحتوي عل ولاية يزيد بن عبد الملك للخلافة بعد عمر بن عبد العزيز.

(2) - الرازي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج 8، ص 1454؛ المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج 2، ص 88؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 428؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 25، ص 39.

معاوية، لكن هذا يعني أن معاوية من أفضل الناس الذين يلي علي رضي الله عنه رتبة في الفضل، لأن المفاضلة تكون بين نظراء بينهم فوراق خفية دقيقة.

أما في العهد الأموي، فقد أثنى على إمامتهم وقيادتهم الناس، وسعيهم لتقديم الخدمة للمسلمين، وتأمين حياتهم، وأوجب الطاعة لهم، وكفر من خرج عنهم، فقال في الأمراء: "هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظ وأن فرقتهم لكفر"[1].

وهذا الفضل الذي عرفه الحسن لولاة الأمر من بني أمية والذي تمثل في الخمسة أمور آنفة الذكر، لم يكن ليتلفظ ويصرح بذلك لو كان موقفه منهم موقف خصومة أو موقف الناقد لهم في توليهم الخلافة بالولاية أو في إدارتهم للبلاد، وعلى عكس ذلك فإن مضمون كلامه رحمه الله يوحي بفضل كبير لهم على ما يقومون به من تحقيق الأمن والاستقرار المجتمعي الداخلي، وثناءه على قادتهم لحرصهم على إنفاد فريضة الجهاد في سبيل الله وتحقيق الفتوحات الواسعة، وتوحيدهم الأمة الاسلامية تحت راية واحدة وجمعهم المسلمين في الصلوات خاصة الجمعة والعيد، بدلاً من التفرق والتشرذم الذي كان حاصلاً الذي نتج عنه تمزيق المسلمين لفرق متعددة، كلٌ يصلي الجمعة والعيد لوحده دون أن تكون تحت خليفة واحد وأمير واحد وكذا في الجهاد والثغور وغيرها.

(1) - البغدادي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ج 1، ص 262.

المبحث الثالث: الحسن البصري والحركات الفكرية الحركات الفكرية.

الحركات الفكرية:

امتد عصر الدولة الأموية في التاريخ الإسلامي نحو اثنين وتسعين عاماً، أي في الفترة (41– 132هـ= 662–751م) وقلنا في الفصل الأول أن الحسن قد عاش نحواً من تسعين عاماً، أي من سنة (21–110هـ = 642– 731م) وهذا يعني أنه عايش الدولة الأموية في أغلب حكمها، وفي خلال هذه المدة توسعت رقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، فامتدت حدودها من كاشغر[1] على حدود الصين شرقاً إلى الأندلس وجنوب فرنسا غرباً، ومن تركمانستان[2] شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً، وعمل خلفاء بني أمية على نشر الإسلام في هذه الرقعة الواسعة، وعلى استتباب الأمن وتوطيد الحكم الإسلامي، حتى أصبحت هذه المساحة من الأرض بمن عليها من أُمم وشعوب تشكل عالماً إسلامياً واحداً له طابعه وخصائصه[3].

كما أن عصر الدولة الأموية كان عصر نمو الحضارة الإسلامية التي وضعت بذورها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في ميادينها المختلفة من إدارة وعمارة وعلوم، وهذه كلها أعمال جليلة تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، ويزداد الإعجاب والافتخار بالأمويين بل والتقدير لهم أيضاً إذا عرفنا أنهم قاموا بتلك الأعمال الجليلة الرائعة في الوقت الذي كانوا فيه يصارعون أعداء أشداء من كل لون، ناصبوهم العداء وحقدوا عليهم أشد الحقد، فلم يدعوا فرصة للتمرد والثورة عليهم إلا انتهزوها، وهو الأمر الذي جعل جزءاً كبيراً من طاقة هذه الدولة يصرف في مواجهة هذه التحديات، فلا تكاد تتغلب على عدو حتى يظهر لها عدو آخر أو يفيق العدو الأول ليستأنف معها المعركة من جديد[4].

---

(1) - من بلاد الصين، لكنها تقع في الحد بين يغما والتبت والخرخيز والصين، وكان عظماء كاشغر قديما إما من الخلخ أو يغما، وإن جبل إغراج أرت يمر وسط بلاد يغما. (المؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق الى المغرب ، ص 96)؛ وقيل وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون، ينسب إليها من المتأخرين أبو المعالي طغرلشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري الواعظ. (الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 430).

(2) - هي مقاطعة تركمانستان السوفيتية (مرو). (شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص 108).

(3) – انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 30–33؛ اليعقوبي: التاريخ، ج 2، ص 387.

(4) – انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 30–32؛ السرجاني: الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج 5، ص 6.

هذا التوسع في حدود الدولة وزيادة سكانها وانتشار العلم وإزدهار الحضارة، جعل بعض الأفكار الجديدة تظهر على الساحة، وكذلك بعض الأفكار القديمة نمت خلال الفترة الأموية، وممكن أن نسميها الحركات الفكرية التي ظهرت خلال الحكم الأموي، وهذه الحركات تنقسم إلى قسمين، منها ذات الطابع الديني مثل حركات الشيعة والخوارج والمعتزلة الذين اتخذوا من الدين سنداً لمحاربة بني أمية وهذا القسم مقصود مبحثنا هذا، كما كانت هناك حركات دفعت إليها الأهواء السياسية والطموحات الشخصية وأبرز مثال عليها حركة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي[1]، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي[2] واللتان قامتا في العراق وسنتطرق لهذا الموضوع في الفصل الرابع، ثم إن هناك حركات غلب عليها الطابع القبلي والذي ظل يرافق مسيرة الدولة الأموية واشتد في آخر أيامها، وسنتحدث عن تلك الحركات مبتدئين بالتالي:

الخوارج:

الخوارج جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه، وألب عليه، وعلماء الفقه الإسلامي يسمون من فعل ذلك وصارت له شوكة الباغي وجمعه بغاة[3].

ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني: "أما الخوارج فهم جمع خارجة أي طائفة، وهم قوم مبتدعون، سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين"[4].

كما اعتبر الإمام الشهرستاني الخروج تياراً عاماً يشير إلى " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان

---

(1) - هو عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن الْأَشْعَث بن قيس الْكِنْدِيّ أَمِير سجستان ظفر بِهِ الْحجَّاج وَقَتله، وطيف بِرَأْسِهِ سنة أَربع وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ وَكَانَ قد خلع عبد الْملك بن مَرْوَان ودعا لنَفسِهِ فِي شعْبَان سنة اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَبَايع النَّاس فدوفع بدير الجماجم وَقتل وَلما أَن وصل ابْن الْأَشْعَث الْبَصْرَة هرب الْحجَّاج إِلَى نَاحيَة الْعرَاق وَبَايع أهل الْبَصْرَة ابْن الْأَشْعَث على قتال الْحجَّاج وَحرب عبد الْملك من الْقُرَّاء وَغَيرهم (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 8، 134).

(2) – هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وأنه لما مات أبوه كان قد استخلف ولده يزيد مكانه ويزيد ابن ثلاثين سنة يومئذ، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب، ولما مات الحجاج ولي يزيد مكانه هذا قول المؤرخين. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، ص278).

(3) - البغدادي: الفرق بين الفرق ، ص72؛ عَلوي بن عبد القادر السقاف وأخرون: مقالات الإسلاميين: ج 1، ص 167.

(4) - فتح الباري، ج 12، ص383.

من بعدهم على التابعين، أو على الأئمة في كل زمان"[1]، وهذا يعني أن كل من حمل أفكار الخوارج يطلق عليه خارجياً وإن تسمى بأسماء ولقب نفسه بألقاب أخرى.

ويرجع سبب تسميتهم بالخوارج لخروجهم على الإمام علي كرم الله وجهه، بعد قبوله التحكيم حيث انتهى بهم الأمر إلى الخروج من معسكره وقد قبل الخوارج هذه التسمية ولكنهم فسروا الخروج بأنه خروجهم من بيوتهم جهاداً في سبيل الله، وفقاً لقوله تعالى: "وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" [2][3].

وقد أطلقت عليهم عدة أسماء وألقاب ومنها الحرورية لنزولهم بِحَروراء في أول أمرهم، والمارقة لأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ومحكمة لإنكارهم الحكمين، وقولهم لا حكم إلا لله، والشُّراة لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة[4].

وأما نشأتهم فارتبطت بالأحداث التي قامت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حيث التقت سيوف المسلمين في صِفّين ودارت الحرب بين الفريقين وكادت كفة عسكر علي رضي الله عنه أن ترجح وأوشك النصر أن يكون حليفه، لولا أن لجأ عمرو بن العاص إلى فكرةٍ اقترح فيها على جيش معاوية رفع المصاحف على الرماح، والدعوة إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، ولكن علياً أصر على القتال، ودعا أصحابه بأن يستمروا ويصبروا في القتال حتى يفصل الله بينهما[5].

فخرجت عليه خارجة من جيشه تطالبه بقبول التحكيم، فقبل علي رضي الله عنه مكرهاً، وعن هذا يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: "وكاد أهل الشام أن ينكسروا فرفعوا المصاحف على الرماح، ونادوا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى، وكان ذلك بإشارة عمرو بن العاص وهو مع معاوية، فترك جمع كثير القتال ممن كان مع علي وخصوصاً القراء بسبب ذلك تديناً واحتجوا بقوله

---

(1) - الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص171.

(2) - سورة النساء: الآية 100.

(3) - مجهول: دراسة عن الفرق ، ص35.

(4) - الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص171– 176؛ عَلوي بن عبد القادر السقاف وأخرون: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 207/206.

(5) - ابن حجر: فتح الباري، ج12، ص 284.

تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ"[1] فراسلوا أهل الشام في ذلك فقالوا ابعثوا حكماً منكم وحكماً منا"[2].

فاختار معاوية عمر بن العاص وأراد علي أن يختار عبد الله بن عباس ولكن الخارجية حملته على أن يختار أبا موسى الأشعري، وبهذا أكره علي رضي الله عنه على قبول التحكيم وعلى أن يرضى بأبي موسى الأشعري مندوباً عنه، وبدأت بذلك هدنة مؤقتة بين الفريقين، وانتهى أمر التحكيم إلى عزل علي وتثبيت معاوية رضي الله عنهما، ولكن ما يثير الدهشة في هذه الخارجة التي حملت علياً على التحكيم، وحملته على جعل أبي موسى الأشعري مندوباً، جاءت بعد ذلك واعتبرت التحكيم جريمة كبيرة، وطلبت من علي رضي الله عنه أن يتوب عما ارتكب، لأنه كفر بتحكيمه كما كفروا هم وتابوا، كما كفَّروا كل من قبل بالتحكيم لذلك خرجوا على علي ورفضوا دخول الكوفة وعسكروا في حوراء على أبواب الكوفة وانتبوا لهم أميراً للصلاة وأميراً للقتال[3].

ويبدوا أن هذا الموقف المتناقض من الخوارج يرجع إلى شدة تمسكهم بالظاهر حيث قبلوا التحكيم لأول مرة بسبب رفع المصاحف ولما جاءت نتيجة التحكيم مخيبة لآمالهم تمسكوا بحرفية "لا حكم إلاّ لله" دون أن يكون لديهم صورة عملية لهذا المبدأ ولذلك قال لهم الإمام علي رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل[4].

كما أن أكثر الخوارج كان من عرب البادية واستمروا في باديتهم بعد دخولهم الإسلام مع شدتها وصعوبة الحياة فيها، وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة في التفكير وضيق في التصور وبعد عن العلوم، فتكون من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة لضيق نطاق العقول، ومتهورة، لأنها نابعة من الصحراء، فاتصفوا بالخشونة والقسوة والعنف والتهور[5]، ونعتقد أن هذا دفعهم إلى إعلان الحرب على علي رضي الله عنه بعد إعلانهم الخروج عليه ورفضهم للتحكيم.

---

(1) - سورة آل عمران : الآية 23.

(2) - ابن حجر: فتح الباري، ج 12، ص 284.

(3) – المصدر نفسه: ج 12، ص 284؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية، ص 60.

(4) - المغربي: الفرق الكلامية الاسلامية، ص 179.

(5) - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 63.

وهذا التصور آنف الذكر عن هذه الفرقة يظهر بصورة جلية مدى المزاجية في فكرهم الذي انعكس على تصرفاتهم، فهم من أجبر علي رضي الله عنه القبول بالتحكيم، ولم تقتصر مزاجيتهم على ذلك بل اجبروه على أن يكون أبو موسى الأشعري ممثل علي رضي الله عنه في التحكيم، وقَبِلَ علي رضي الله عنه بذلك بناءً على رغبة منهم وإلحاح، إلا إنهم انقبلوا عليه واصفينه بالكفر، وهذه المزاجية حتماً هي نتيجة خفة في العقل وقلة علم وتهور بدون تدبر ورغبة في تنفيد هوى النفس التي سيطرت عليهم.

ثم أن الخوارج يظهر عليهم سمة الطعن في أمرائم ومن ثم انقلابهم عليهم، فهم خرجوا على عثمان ومن قبله خرجوا على ولاة الكوفة مثل سعيد بن العاص، والتاريخ يؤكد خروجهم على كل من نُصّبَ أميراً لهم، وحينما ينقلبوا عليه يُكَفر بعضهم بعضاً، وهذا يؤكد الخفة في العقل وعدم الرجاحة فيه ومزاجيتهم التي ذكرناها.

ولقد أشار من حول علي بقتال الخوارج لكنه رضي الله عنه استطاع أن يقنع هؤلاء بأن الخطر الحقيقي يكمن في الشام، وأن قتال معاوية أولى من قتال هذه الفئة الخارجة، ولكن عندما علم علي رضي الله عنه نبأ إفساد الخوارج في الأرض واستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وقتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت[1]، الذي لقوه في طريقهم وقالوا له: هل سمعت من أبيك حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثنا به، قال نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول، ثم سألوه عن أبي بكر وعمر فذكرهما بكل خير، وسألوه عن عثمان في أول خلافته وآخرها فجعله محقاً في أولها وآخرها، وعن علي قبل التحكيم وبعده فقال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة، فأخذوا عليه بذلك أنه لا يتبع الهدى فقدموه على شفير النهر فذبحوه، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى، ثم قتلوا بعض النسوة وأخذوا يعترضون الناس ويقتلون الأطفال،

(1) - عبد الله بن خباب بن الأرت وكان من كبار التابعين، ثقة قتلته الحرورية أرسله علي رضي الله عنه إليهم فقتلوه فأرسل إليهم أقيدونا ب عبد الله بن خباب فقالوا كيف نقيدك به وكلنا قتله فنفذ إليهم فقاتلهم وفى موضع آخر قتلته الخوارج بالنهروان. (العجلي: معرفة الثقات، ج2، ص26).

فبعث إليهم علي رضي الله عنه الحارث بن مرة العبدي[1] ليأتيه بخبرهم فقتلوه أيضاً، فما كان منه إلاّ أن قرر قتالهم أولاً بعد أن تبين له أنهم الفئة الخارجة التي أشار إليها الرسول عليه السلام في أحاديثه[2].

وهذا التنكيل وسفك الدماء بغير وجه حق وقتلهم من يخالفهم، يؤكد على مزاجيتهم وتشبعهم بالهوى، وعدم التزامهم بالضوابط الشرعية، فليس في ديننا ما يبيح قتل المسلم بهذه الطريقة الساذجة، وهؤلاء يستقون مشاربهم العلمية بطرق مقيتة مبنية على الحقد والهوى.

وحصل القتال بين علي رضي الله عنه والخوارج في موقعة النهروان التي أبيد فيها الخوارج ولم ينج منهم إلا نفر قليل، ولكن معركة النهروان لم تضع نهاية للخوارج بل أذكت فيمن بقي منهم روح القتال، وكانت ذكرى تلك الموقعة دافعاً لهم إلى مزيد من العنف الأمر الذي أدى بهم إلى التخطيط لاغتيال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتنفيذ على يد رجل يدعى عبد الرحمن بن ملجم الحميري[3]، وقد قتله تشفياً لما في نفسه وكان قد أحب فتاة أسمها قطام بنت الشجنة فاشترطت لقبول الزواج منه أن يقتل علي رضي الله عنه فقال هو لك مهراً[4].

ولما جاءت الدولة الأموية استمر الخوارج كقوة مناهضة لها، وخاضوا كثيراً من المعارك الانتحارية ضد جيوش الأمويين وولاتهم، وظهرت فرق خارجية عديدة كالأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية وغيرهم[5].

---

(1) - هو أبي داود الحارث بن مرة بن مجاعة الحنفي أبو مرة اليمامي ثم البصري، قدم بغداد وروى عن كليب بن منفعة وعسل بن سفيان وعبد الله بن المثنى وجماعة وعنه أحمد بن حنبل وسريج بن النعمان وأبو جعفر النفيلي وعلي بن المديني ومحمد بن عيسى بن الطباع وجماعة، وقال بن معين ليس به بأس وقال مرة صالح روى له أبو داود حديثا واحداً في الأم قلت وقال الدوري عن بن معين ثقة وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال الآجري عن أبي داود ليس به بأس وذكره بن حبان في الثقات. (بن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص136).

(2) – انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 289/ 290؛ ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص93؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ص77؛ الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 5، ص 73؛ دراسة عن الفرق ، ص43–45.

(3) - السلمان: موارد الظمآن لدروس الزمان، ج 6، ص 497.

(4) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 144.

(5) - عبد الجبار: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ج2، ص 34.

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز حاول أن يردهم إلى الحق كما فعل علي رضي الله عنه، حيث رأى أن من بينهم أناساً قد ضُللوا فَضَلوا وأنهم كانوا يُبغون الحق فأخطأوا سبيله، ولكنه في النهاية يئس من اصلاحهم ورَدِهم إلى الصواب فلم يكن أمامه إلاّ قتالهم وحربهم[1].

وهكذا استمرت الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية حيث حاولوا بسط نفوذهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق من اليمن والجزيرة، ولكن قابلهم الأمويون عنفاً بعنف أشد وحاولوا سحقهم بكل قوة وشدة حتى انكسرت شوكتهم في بداية الدولة العباسية[2].

موقف الحسن البصري من الخوارج:

ورأي الحسن البصري فيهم أنه رضي الله عنه أنه لم يقل بكفرهم ولم يخرجهم من الملة، لكنه كان ينهاهم عن الخروج عن الإمام وشق عصا المسلمين، لما في ذلك من مفسدة عظيمة تلحق بالدولة الاسلامية[3]، فقد كان الحسن ينهى عن مقاتلة الخوارج فقد أتاه رجل فقال له: "يا أبا سعيد إن هؤلاء استنفروني لأقاتل الخوارج، فما ترى؟ فقال: إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء، وإن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم، فلا تكن القتيل منهم، فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة[4].

وفي أحد الآثار أن الحسن البصري وصف الخوارج بالفساد لأنهم ينافسون ويقاتلون من أجل دنيا، فيروى أنه أتى رجل من الخوارج إلى الحسن، فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال الحسن: "هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت أنهم أصحاب دنيا والواحد منهم يمشي بين الرماح حتى تتكسر فيه؟! ويخرج من أهله وولده؟! فقال الحسن: حدثني عن السلطان، هل منعك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة، قال: فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها"[5].

أي أنك قاتلته على أن تكون صاحب رئاسة وصاحب سلطة، فالخوارج أصحاب دنيا على رأي الحسن البصري، والفساد في تصورهم، فهدفهم عند الحسن رحمه الله هو الوصول

---

(1) - بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ج 2، ص 696.

(2) - أبو زهرة: الحديث والمحدثون، ص 85.

(3) - بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ج 2، ص 696.

(4) - عبد الرحمن: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 181؛ عَلوي بن عبد القادر السقاف وأخرون: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، ج 5، ص 130.

(5) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 372.

للسلطة، وهذا الدافع الأقوى لخروجهم، وامتشاقهم السلاح في وجه الدولة الأموية، خصوصاً أن الدولة الأموية دولة اسلامية تحمي الاسلام وتقيم الشعائر ولا تمنع أحداً من عبادته.

الشيعة:

نشأة الشيعة وجذورها التاريخية:

أن التشيع لعلي بدأ بمقتل عثمان رضي الله عنه، فعندما ولي عثمان، وبقي اثني عشر عاماً، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض، والذي بدأ غرس بذرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ حركته في أواخر عهد عثمان هو عبد الله بن سبأ هذا رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بألوهية علي، كما تقول برجعته وتطعن في الصحابة، وأصله من اليمن وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته[1]، قال ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقة بالنار، وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعاً[2]، وكذا قال الذهبي[3].

وابن تيمية يعتبر ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة، وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى[4].

ولئن كان الناس في الفتنة صاروا شيعتين، شيعة علي وشيعة معاوية، فهذا يؤكد أن زمن الفتنة بين الصحابة بداية الاختلاف، لكن ذلك لا يعني استواء التشيع بالمفهوم المذهبي والانتحال العقدي الذي كان له أثره فيما بعد، وابن تيمية يؤكد هذا وهو يشير إلى أنه ليس كل

---

(1) - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 233؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 171؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 340؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 77؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 167.

(2) - ابن حجر: لسان الميزان، ج 3، ص 289.

(3) - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج 4، ص 105.

(4) - مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج 4، ص 518.

من قاتل مع علي كان يفضله على عثمان، بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه كما هو قول سائر أهل السنة[1]، وأن علياً أراد أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه[2].

ويبدوا أن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة وذلك كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسين، كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث قد وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون.

الشيعة في الدولة الأموية:

ولم يقم الشيعة بأي ثورة ضد معاوية بن أبى سفيان، طوال مدة خلافته (41– 60 هـ)، وإنَّما اندلعت أولى ثوراتهم بقيادة الحسين بن علي –الذي غرر به– في خلافة يزيد بن معاوية، بعد أن رَفَضَ الحسينُ بيعةَ يزيد، وكان قد رَفَضَ من قبل تعيينه وليًّا للعهد في زمن أبيه، اعتَصَم الحسين بمكَّة المكرمة، وهناك توالَت عليه رسائل أهل الكوفة يطلُبون منه الحضور إليهم، ليبايعوه بالخلافة، فاستجاب لهم على الرَّغم من تحذير ابن عباس –وهو من أقرب الناس إليه– من الذَّهاب إلى العراق، لأنها دعوة من لا أمان أو عهد لهم، وقد خَذَلَ أهلُ العراق أباه من قبل، لكنَّه أَصَرَّ على الذَّهاب، وأرسل قبل أن يتحرَّك ابنَ عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب إلى الكوفة، ليستطلع الأمرَ، ويكتب له بحقيقة الموقف هناك[3].

والشيعة لم تجتمع وتصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين أي إبان الخلافة الأموية، بل لم يظهر اسم الرفض إلا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى للهجرة لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة فسمّوا رافضة، واتبعه آخرون فسمّوا زيدية نسبة إليه[4].

---

(1) - منهاج السنة، ج 2، ص 178.
(2) - القمي: المقالات والفرق، ص 20؛ النوبختي: فرق الشيعة، ص 20.
(3) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 183.
(4) - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 4، ص 490.

نقول إن سلمنا بذلك تبقى عقائد السبئية وأفكار عبد الله بن سبأ التي طرحها لأول مرّة، هي التي مازالت الشيعة تتشبث بها في المنطلقات الأساسية والبذور الأولى لنزعة التشيع، ومن أبرزها الوصية، والرجعة، وسب الصحابة كما سيأتي ذكرها.

وامتداداً لهذا الفكر ظهرت بعض الثورات والحركات التي قام بها الشيعة في مواجهة الدولة الأموية، وكانوا يستغلوا في أغلب هذه الثورات أو الحركات رجال من أهل البيت لقيادتها، فمثلاً تحريضهم الحسين بن علي على يزيد بن معاوية لأنهم يعلمون أن الحسين غير راضٍ عن الصُّلح الذي وقع بين أخيه الحسن وبين معاوية بن أبي سفيان، وظلَّ ينتظر الفرصةَ للثورة في وجه السلطة الحاكمة في الدولة الأموية، فثار في وجه يزيد بن معاوية، ورفض مبايعته بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان[1].

منطلقات وأصول الشيعة:

يظهر أن الشيعة ما زالوا يتشبثوا بمنطلقات ابن سبأ التي نشرها في أوساط المسلمين في عصره، والتي تمثلت في أصول وعقائد وأفكار أًصبحت اليوم وكأنها البذور الأولى لنزعة التشيع ومن أبرزها: الوصية، والرجعة، وسب الصحابة.

ومعنى الوصية كما وضعها بن سبأ، أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي رضي الله عنه وصي محمد عليه الصلاة والسلام، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصي رسول الله[2]، وينشأ عن القول بالوصية القول بفرض إمامة الموصى له–وهذا هو المقصود– وكان ابن سبأ كما يقول القمي أول من قال بفرض إمامة علي[3]، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه كما يقول الشهرستاني[4].

---

(1) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 372؛ ابن قتيبة الدنيوري: الإمامة والسياسة، ج 1، ص 134؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 1، ص 410

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، 430.

(3) - القمي: المقالات والفرق ص20.

(4) - الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 155 .

أما الرجعة فتعني رجعة الأموات إلى الدنيا، وابن سبأ أول من قال ذلك[1]، وكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله: "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ"[2] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها[3]، ومن لوازم هذه العقيدة عندهم الاعتقاد بأن علياً حي لم يمت، ولهذا فالشيعة يقولون بأن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض، ويسوق العرب بعصاه[4].

أما سب الصحابة فيؤكده علمان من أعلام الشيعة وهم القمي[5]، والنوبختي[6]، بأن عبد الله بن سبأ كان أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم[7]، وأن السبأية كانوا يسبون أصحاب رسول الله إلا قليلاً منهم، وينسبونهم إلى الكفر والزندقة ويتبرأون منهم[8].

إذاً كانت الأحداث التي جرت على آل البيت مثل مقتل علي، ومقتل الحسين رضي الله عنهما، هي من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيع لآل البيت، وكان التعاطف والتأثر لما حل بآل البيت هو شعور كل مسلم، ولكن قد استغل هذا الأمر من قبل الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر فدخلوا من هذا المنفذ، وأشاعوا الفرقة في صفوف الأمة، وحققوا بالكيد والحيلة ما عجزوا عنه بالسلاح والسنان، ودخل أتباع الديانات الأخرى، والمتآمرون، والمتربصون في التشيع، وبدأوا يضعون أصولاً مستوحاة من دينهم، ألبسوها ثوب الإسلام[9].

---

(1) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 372.

(2) - سورة القصص، الآية 85.

(3) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 140.

(4) - القمي: المقالات والفرق، ص 19.

(5) - جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه أبو القاسم القمي الشيعي من كبار الشيعة وعلمائهم المشهورين متهم وذكره الطوسي وابن النجاشي وعلي بن الحكم في شيوخ الشيعة وتلمذ له المفيد وبالغ في إطرائه وحدث عنه أيضا الحسين بن عبيد الله الغضايري ومحمد بن سليم الصابوني سمع منه بمصر مات سنة ثمان وستين وثلاث مائة. (ابن حجر: لسان الميزان، ج 2، ص 125).

(6) - الحسن بن موسى النوبختي أبو محمد من متكلمي الإمامية وله تصانيف كثيرة جدا ذكره الطوسي في رجال الإمامية. (ابن حجر: لسان الميزان، ج 2، ص 258).

(7) - النوبختي: فرق الشيعة، ص 44. القمي: المقالات والفرق، ص 20.

(8) – ابن حجر: الصواعق المحرقة: ص 6.

(9) - الغفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامة الأثنى عشرية، ج 1، ص 69.

موقف الحسن البصري من الشيعة:

لقد ظهر إفراط الشيعة في معتقداتهم، فقال الحسن البصري عن أفراط الشيعة في حب علي والمبالغة في ذلك: "فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا، فوضح أن النصارى أفرطت في حب عيسى ابن مريم حتى قالوا هو ابن الله، جل الله وتعالى عما يقولون، وأفرطت الغالية من الرافضة في حب علي رحمه الله حتى قال بعضهم هو إلاههم"[1].

ولقد قال الشيعة أن الحسن البصري ينتسب إليهم، لكن مما يدل على بطلان دعاواهم ، ما قيل: أن الفرق تتنازع أسماء معينة، فرجل مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثلاً، يذكره السنة في سلفهم، وكذلك المعتزلة يذكرونه في سلفهم، ويذكره الشيعة في سلفهم وهكذا، وكذلك الحال في الحسن البصري رحمة الله عليه فقد نسبوه إليهم[2]، وقال الإمام الآجرّي بطلت دعوى القدرية على الحسن، إذ زعموا أنه إمامهم، يموهون على الناس، ويكذبون على الحسن، لقد ضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً[3].

وقد خالف الحسن البصري الشيعة في التقية التي هي من أساس فكرهم التي يتعاملون فيها مع الناس، فقال الحسن: التقية جائزة للمسلم إلى يوم القيامة ولا تقية في القتل، أي مع عدوهم، لكن الشيعة يعتبرون التقية في كل معاملاتهم سواءاً أكانت مع المسلمين أو الكفار[4].

وما يتعلق بقضية الإمامة، فقد خالف الحسن منهج الشيعة في ذلك حيث قالوا أن الإمامة تجب بالعقل لا بالشرع، وقال الحسن أنها تجب بالعقل والشرع معاً[5]، وقد خالفهم كذلك في إباحتهم زواج المتعة، فقال الحسن البصري بتحريمها مطلقاً[6].

---

(1) - الطبري: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، ج 3، ص 287.

(2) - الراجحي: قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، ص 100.

(3) - الآجري: الشريعة، ج 2، ص 886.

(4) - الجلعود: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ج 1، ص 425.

(5) - الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 1، ص 22.

(6) - العيني: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، ج 10، ص 343.

ثم كفر الحسن البصري الشيعة عند قولهم بالقدرية، حيث قال: من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله تعالى خلق خلقاً فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر[1].

معلوم أن الشيعة من يسبوا الصحابة ويكفرونهم، في حين أن الحسن أوجب حبهم، فقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى: حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سنة؟ قال: لا، فريضة[2]، وعليه فمن سب الصحابة أصبح من مرتكبي الآثام لمخالفتهم واجباً من واجبات الدين.

المعتزلة:

الاعتزال معناه لغة: الانفصال والتنحي، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، والمعتزلة هم المنفصلون[3].

أما في الاصطلاح: فهي فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام، الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال ومنهج تقرير العقيدة وفي أصول الاعتقاد[4].

النشأة وجذور الاعتزال:

الواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، فقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، على أن هناك رواية

---

(1) - الآجري: الشريعة، ص 175-177.

(2) - الموسوعة العقدية -الدرر السنية، ج 7، ص 254.

(3) - البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، ص 1391؛ ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 440.

(4) - العقل: الجهمية والمعتزلة، ص127.

ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية، فالجعد بن درهم[1] أخذ فكره عن أبان بن سمعان[2]، وأخذها أبان عن طالوت[3] وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي[4][5].

وقيل أيضًا: إن مناقشات الجهم بن صفوان[6] مع فرقة السمنية[7] قد أدت إلى تشكيكه في دينه، وابتداعه لنفي الصفات، كما أن فكر يوحنا الدمشقي[8] وأقواله تُعدُّ موردًا من موارد الفكر الاعتزالي، إذ إنه كان يقول بالأصلح، ونفي الصفات[9]، الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية[10].

(1) - هو الجعد بن درهم عداده في التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة انتهى وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة منها أنه جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والإناث ان كان خلقه وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع. (ابن حجر: لسان الميزان، ج 2، ص 105).

(2) – لم نتحصل له على ترجمة.

(3) - طالوت بن عباد الصيرفي صاحب تلك النسخة العاليه شيخ معمر ليس به بأس، قال أبو حاتم صدوق، وأما ابن الجوزي فقال من غير تثبت، ضعفه علماء النقل قلت إلى الساعة أفتش فما وقعت بأحد ضعفه وقد وقع لي حديثه بعلو في المنتقى من حديث المخلص ومات سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله أكثر من تسعين سنة. (ابن حجر: لسان الميزان، ج 3، ص 457).

(4) - لم نتحصل له على ترجمة.

(5) - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 5، ص20.

(6) - جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنه زرع شرا عظيما (ابن حجر: لسان الميزان، ج 2، ص 159).

(7) - السمنية: بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات. (ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 5، ص 22).

(8) - لم نتحصل له على ترجمة.

(9) - نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عبد البر قوله: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّه وهم –عند من أقر بها– نافون للمعبود، والحق فيها ما قال القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة نبيه وهم أئمة الجماعة. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 3، ص 264.

(10) - الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص64.

والمتفق عليه تاريخياً أن واصل الغزال–ابن عطاء– وعمرو الباب[1] أسسا هذا الكيان بعد الاختلاف مع شيخهما الحسن البصري، وهم الذين بدأت حركتهم باعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري رحمه الله تعالى، وذلك لما جعلوا النقاش حول مرتكب الكبيرة، فقال واصل بن عطاء: لا أقول هو مؤمن، ولا أقول هو كافر، بل هو في منزلة بينهما، فاعتزل حلقة الحسن البصري فقال الحسن اعتزلنا واصل، فسموا معتزلة[2]، وقيل أن الحسن طرده من مجلسه[3].

والمعتزلة اشتهروا بأصولهم الخمسة:

لقد اتفق المعتزلة على هذه الأصول، ولا يعني هذا انعدام الخلاف بينهم، فلقد كان هناك بعض الخلافات في الفروع، ولكن هذه الأصول الخمسة تمثل الأساس لفكر المعتزلة، وهذه الأصول لم تتكون دفعة واحدة بل مرت بمراحل نشأة المعتزلة وتطورها وهي:

الأول العدل: يحاول المعتزلة في هذا الأصل تنزيه الفعل الإلهي عن كل معاني الظلم أو ما يخل بالعدل الإلهي، وقد تمسكوا بهذا الأصل، حتى سموا به وأولوه عناية خاصة، ولذلك قيل أن المراد به أنه لا يفعل القبيح، ولا يختاره، ولا يُخِل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة[4].

الثاني التوحيد: وهو نفيهم لجميع الصفات عن الله سبحانه وتعالى، فهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات، لكن إثباتهم للأسماء لم ينفعهم، لأنهم انقسموا حيالها إلى قسمين: قسم منهم قال: إنها أعلام محضة لا تدل على معانٍ ولا صفات، والقسم الثاني منهم قال: إن الله عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فكان مؤدى قولهم نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى[5].

---

(1) – هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي مولاهم أبو عثمان البصري رأس المعتزلة روى عن الحسن وأبي العالية وغيرهما وعنه الحمادان والقطان وعلي بن عاصم كذبه أيوب وحميد الطويل فمن بعدهما (ابن حجر: لسان الميزان، ج 7، ص 326).

(2) - العدوي: حاشية العدوي، ج 1، ص 128؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ج 10، ص 159؛ ال محمد: شرح لمعة الاعتقاد للمحمود، ج 12، ص 38.

(3) - العدوي: حاشية العدوي، ج 1، ص 128؛ الغامدي: حقيقة البدعة وأحكامها، ج 1، ص 118.

(4) - القاضي: شرح الأصول الخمسة: ص301.

(5) - الشهرستاني: الملل والنحل ج 1، ص 41.

الثالث القول بمنزلة بين المنزلتين في مرتكب الكبيرة: أي أنه في الدنيا لا مؤمن ولا كافر[1]، وأن الحسن البصري لما سمع ذلك من واصل طرده من مجلسه، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد[2].

الرابع إنفاذ الوعيد: وهو أن من مات من أهل الكبائر من غير توبة فلابد أن ينفذ فيه الوعيد فيكون مخلداً في نار جهنم[3].

الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به الخروج على ولاة الأمور، وإلزام الناس بمقالاتهم وعقائدهم، فمن قال بهذه الأمور أو أكثرها فهو معتزلي[4].

وأضافوا إلى ذلك أموراً كثيرة، منها: إنكار الشفاعة، وإنكار رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ...[5].

ونلاحظ ترددت كلمة الاعتزال والمعتزلة كثيراً في تاريخ الصراع السياسي الفكري في الإسلام قبل نشوء هذه الجماعة، واستقر اسمها في نهاية القرن الأول للهجرة أواخر القرن السابع للميلاد، كما أنها أزدهرت وقضي عليها في العصر العباسي عهد المتوكل، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، القدرية، العدلية، أهل العدل والتوحيد، المقتصدة، الوعيدية[6]، والمعتزلة فرقة إسلامية ظهرت في البصرة، ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية كخراسان وترمذ واليمن والجزيرة العربية والكوفة وأرمينيا إضافة إلى العراق[7].

وبرغم كل محاولات الدولة الأموية لاحتواء قادة وعناصر هذه الفرقة وعدم قتالهم، إلا أنه كان للمعتزلة دور ونشاط في نشر دعوتهم إبان الدولة الأموية[8].

---

(1) - الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 43/42؛ الإيجي: المواقف، ج 3، ص 652.
(2) - القاضي: المنية والأمل، ص 22؛ الذهبي: ميزان الإعتدال، ج 2، ص 295.
(3) - القاضي: الأصول الخمسة، ص621؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 40.
(4) - العقل: الجهمية والمعتزلة ص127.
(5) - الحديثي: العراق عند مجيء الإسلام، حضارة العراق، ج5، ص 257–259.
(6) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 340؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 77.
(7) - الحديثي: العراق عند مجيء الإسلام، حضارة العراق، ج5، ص7– 9.
(8) - القاضي: المنية والأمل، ص 141.

وقد كان لدعاة المعتزلة بعض الأثر نتيجة نشاطهم، وإن كان بعض من أرخ لهم قد غالى في عددهم، وذلك أن دعوة هؤلاء دعوة عقلية تحمل معاني الفلسفة وألفاظها، فهي بعيدة عن عقول العوام، وليس من السهل الاستجابة إليها في أوساطهم، وإن استجاب لها بعض الشعراء أو الأدباء أو الخلفاء فإن ذلك لا يعني أنها كانت ذات انتشار واسع بين عوام الناس، ثم يجب أن لا يغيب عن البال أن الأئمة من أهل السنة كانوا أكثر عدداً وأقوى حجة وأظهر مقالاً، فكانوا دائماً يحمون العامة من السقوط في هذه المزالق كما فعل الإمام مالك فيمن سأله عن آية "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[1] إذ أمر بطرحه خارج المسجد على مسمع ومرأى من العامة[2].

موقف الحسن البصري من المعتزلة:

زعم البعض أن الحسن البصري رحمه الله من المعتزلة الذين يقولون بالقدر[3]، ونرى أن هذا الإدعاء باطل من وجوه:

الأول: أن المعتزلة أنفسهم لا يقطعون بنسبة الحسن إليهم، ولذا نرى ابن المرتضى[4] لما ذكر الحسن وقوله في القدر قال: "فإن قلت فقد روى أيوب، أتيت الحسن، فكلمته في القدر فكف عن ذلك، قلت: قد روي أنه خوفه بالسلطان فكف عن الخوض فيه..." ، وهل يخاف الحسن السلطان وهو الرجل الذي يجهر بالحق دائما ومواقفه مع الحجاج والأمراء مشهورة[5].

---

(1) – سورة طه، الآية 5.

(2) - العقل: الجهمية والمعتزلة ص127.

(3) - الزمخشري: الكشاف، ج 2، ص 95؛ المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، ج 1، ص 173؛ أبي حيان: تفسير البحر المحيط ، ج 4، ص 286.

(4) - الحسن ابن الأمير السيّد أبي الحسن علي ابن المرتضى أبي الحسين بن عليّ، الأمير أبومحمد العلويّ الحسينيّ البغداديّ، روى عن الحافظ محمد بن ناصر كاتب الذّرية الطاهرة للدّولابيّ،وهو آخر من سمع من ابن ناصر، وسمع من هبة الله الدّقّاق، وعاش ستاً وثمانين سنة، وتوفّي في الخامس والعشرين من شعبان، وكان شريفاً سرياً محتشماً، كبير القدر . (الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 45، ص 385).

(5) – انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 10، ص 8– 15؛ القاضي: المنية والأمل، ص 15؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 2، ص 289.

الثاني: أن الحسن البصري لو كان منهم لماذا طرد واصل بن عطاء من مجلسه وانفصل عنه، وإن قلنا لم يطرده فلماذا اعتزله واصل، أليس في ذلك دليل واضح على أن الحسن لم يكن منهم[1].

لكن ابن قتيبة يذكر عن الحسن البصري أنه تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه[2] وهذا افتراء على الحسن رحمه الله[3] لأسباب عدة منها، أن ابن قتيبة ذاته يذكر بعد ذلك مباشرة أن عطاء بن يسار ومعبداً الجهني كانا يأتيان الحسن، فيسألانه ويقولان: يا أبا سعيد إن الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون الأموال، ويفعلون ويفعلون، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله، فقال، كذب أعداء الله[4]، قال ابن قتيبة: فتعلق عليه بمثل هذا وأشباهه[5].

ويشبه هذا ما يروى عن الحسن أنه قال –وهو محق في قوله– ولكن المعتزلة يفسرون قوله بما يدل سياق كلامهم له على أنه منهم، وذلك ما أورده عبد الجبار الهمذاني[6] في معرض وصمه لأهل السنة بأنهم قدرية، فقد قال وروي عن الحسن أنه كان يقول: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله ويقولون: إن الله سبحانه قد شاء ما نحن فيه، وحملنا عليه وأمرنا به، فقال عز وجل: "وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ

---

(1) - العدوي: حاشية العدوي، ج 1، ص 128.

(2) - ابن قتيبة: المعارف، ص 441؛ السمعاني: تفسير القرآن، ج 3، ص 231؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 2، ص 289؛ مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، ج 3، ص 353.

(3) - الغفيص: شرح الواسطية، ج 18، ص 12.

(4) - المعارف، ص 441؛ السمعاني: تفسير القرآن، ج 3، ص 231؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 2، ص 289؛ مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، ج 3، ص 353.

(5) - المعارف، ص 441؛ مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، ج 3، ص 353.

(6) - هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمداني، قاضي الري وأعمالها وكان شافعي المذهب، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال وله المصنفات الكثيرة في طريقتهم وفي أصول الفقه، قال ابن كثير في طبقاته ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة في مجلدين أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة، وقد طال عمره ورحل الناس إليه من الأقطار واستفادوا به مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة. (بن قاضي: طبقات الشافعية، ج 1، ص 184).

وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"[1]، فهل كلام الحسن في الروايتين دل على أنه قدري؟ الجواب: لا يدل[2].

وقد روي أن المسلمون قتلوا شيخهم الجعد بن درهم، ضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: يا أيها الناس ضحُّوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضَحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أنه لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولم يكلّمْ موسى تكليماً، تعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه، وقد روى أن ذلك بلغ الحسن البصري وأمثاله من التابعين فشكروا ذلك[3].

وهذا دليل بين على أن الحسن ضد الأفكار الإعتزالية، وهو مع محاربتهم وإن اضطر الخليفة لقتالهم قتلهم إذا ما تمادوا في غيهم، وإلا لم يشكر الله على قتل خالد القسري للجعد بن درهم، خاصة أن اختيار يوم النحر لقتله كان صعباً، فكان الناس يذهبوا في يوم النحر لنحر أضحياتهم والوالي خالد القسري قام بنحر رقبة الجعد بعد خطبة العيد.

ولقد وصف الحسن المعتزلة بأهل البدع والأهواء كونهم غيروا في رسم بعض مبنى الكلمات القرآنية مثل تغيير لفظ الحرف من ضمة إلى فتحه وهكذا[4]، واعتبر أن من يقف إلى جانبهم قد أحدث[5]، أي أحدث في دين الله ما ليس منه.

لقد بقي التلميذ واصل بن عطاء أربع أو خمسة سنوات في مجلس الحسن منها أربعة سنوات صامتاً لا يتكلم، فسألوا الحسن البصري عن ذلك، فقال: "إما أن يكون أجهل الناس، أو أعلم الناس"[6].

ولربما كان الحسن لديه فكرة خفية دقيقة عن واصل بحكم القرب منه، كأن يكون في نفسه شيء لا يحمد، لأنه لو كان تلميذاً صاحب طوية سليمة لقال عنه الحسن كلاماً جميلاً لا يشكك فيه، وهذا يعطي دلالة واضحة عن الإنحراف الذي كان سبب الميل والهوى الذي حصل لواصل ومن تبعه في تخليهم عن منهج شيخهم، الذي رباهم والذي كانت تشهد له كل الامصار الاسلامية.

---

(1) - سورة الأعراف، الآية 28.

(2) - مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية–، ج 3، ص 353؛ القاضي، عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 8، ص 329.

(3) - الألوسي: غاية الأماني في الرد على النبهاني، ج 1، ص 306.

(4) - القاسمي: محاسن التأويل، ج 1، ص 185.

(5) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 3، ص 941.

(6) - مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، ج 3، ص 365.

المبحث الرابع: الحسن البصري وتأسيسه نظرية فقه الاختلاف بين الراعي والرعية:

لقد تربى في ظل العقيدة الإسلامية نماذج من البشر يحسبهم المرء أنهم جُبلوا من طينة غير تلك الطينة التي جبل منها سائر الخلق الإنساني، نماذج آمنت بإله واحد لا شريك له، وأن الأمر كله بيده، فعاشت للحق، وتمسكت به، وصبرت عليه، وجاهدت الباطل، ونهت عنه، وتحملت تكاليفه العسيرة برضا وطمأنينة، لأنها تعلم حق العلم أن العطاء من الله كبير، "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"[1].

كان كثير من السلف الصالح من المسلمين من تلك النماذج الفذَّة، فقد ظلوا في يقظة دائمة تجاه الحقوق والواجبات التي يتطلبها منهم الإسلام، فارتبط لديهم الفكر بالعمل والقول الصالح بالفعل الصادق، وضربوا أروع الأمثال في التلازم بين الفكر النظري والتطبيق العملي، وهم في ذلك يستوحون روح هذا الدين الذي يرسم الأفق الأعلى للحياة، ويطلب من معتنقيه أن يتجهوا إليه، ويحاولوا بلوغه، لا بأداء العبادات فحسب وإنما بالتطوع للقيام بما هو أعلى من العبادات وأشق منها، فاستحال الإسلام فيهم نماذج إنسانية تعيش، ووقائع عملية تتحقق وتترك آثارها في الحياة، ومن ثَمَّ كان التاريخ الإسلامي مليئًا بصور من البطولات الحية التي سجلها علماء السلف الصالح في شتى مناحي الحياة[2].

ولعلَّ أروع هذه البطولات تلك المواقف الخالدة التي سجلها العلماء تجاه الأمراء والحكام وتجاه قاد الحركات الفكرية الذين خرجوا عن جادة الأمر، وغرتهم الحياة الدنيا، فاتبعوا أهواءهم حرصًا على الحكم والسلطان، فقد التزم أولئك العلماء بنصحهم وتصويبهم وصدهم عن الظلم وتبصيرهم بالعاقبة، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم، لأنهم امتثلوا لقول النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم: "سيكون أمراء فسقة جورة، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني وليس بوارد على الحوض"[3].

وإن من أسباب رفع الله تبارك وتعالى لشأن الحسن البصري في الفتن، حكمته، وفضله، وكمال عقله، وأخذه وامتثاله للآثار، مما أورثه قوة في المِحَنِ، وتماسكاً للكفّ أيام الفِتَنِ، وعدم

(1) - سورة التوبة، الآية 111.

(2) – السرجاني: دراسة بعنوان مواقف لعلماء السلف الصالح من الحكام الظلمة، ص 3.

(3) - الذهبي: الكبائر، ج 1، ص 74.

الخروج مع من خرج، فقد ثبت مروياً بإسناد صحيح أثاراً تثبت مواقفه في مواقع زَلَّت فيها أقدام أُناسٍ كُنُّر، بل شارك في الفتنة ممن عُرِفَ بالفضلِ والمكانةِ، ولكنه امتحان، فمن اجتهد من أهل العلم والفضل وشارك في الفتن، فهو مجتهدٌ مخطئ مأجور، ومن اجتهد وأصاب الحقَّ من أهل العلم، أمثال الحسن البصري فله أجران[1].

وقبل الولوج في قضية الفتن خاصة تلك المتعلقة بالخروج على الحكام التي عايشها الحسن رحمه الله، نوضح بإيجاز حكم الخروج على الحاكم:

فالأئمة أحوالهم متباينة من شخص لآخر، وواحدهم لا يخرج عن أحد ثلاثة: إما أن يكون عادلاً مقسطًا، وإما أن يكون كافرًا مجرمًا، وإما أن يكون حاله مترددًا بين هذين وهو الفاسق أو الظالم، وهذا قد يكون فسقه وظلمه على نفسه وفي أعماله الخاصة، وقد يتعدى ذلك إلى الرعية إما في أموالهم وأنفسهم أو في دينهم وأعراضهم، ولكل واحد من هؤلاء حكم خاص[2].

الإمام العادل المقسط:

فهذا يحرم الخروج عليه مطلقًا وباتفاق العلماء، يدل على ذلك الآيات والأحاديث الآمرة بالطاعة لأولي الأمر من المسلمين، ويدل على ذلك أيضًا الآيات والأحاديث الواردة في وجوب الوفاء بالبيعة، وما ورد من النهي والتحذير من نكثها في ذلك، حتى ولو وجد بعد إبرام العقد والمبايعة لمن هو أفضل وأكمل شروطًا، بل تجب مناصرته ومقاتلة من ناوأه وبغى عليه إذا لم يفئ إلى أمر الله[3].

أن العدالة المطلوب اتصاف الإمام بها يحرم الخروج عليه كائنًا من كان، هذا الخارج لا تقتضي أن يكون معصومًا في أقواله وأفعاله، بل كل بشر عرضة للوقوع في الخطأ وفي بعض الذنوب، لكن إذا كان حريصًا على التحرز من ذلك ويرجع عن خطئه إذا تبين له ذلك ويستغفر ويتوب إلى الله عما بدر منه، ويرجع حقوق الآدميين إلى أصحابها إذا ظهر له الخطأ في تصرفه

---

(1) - البخاري: التاريخ الأوسط، ج 1، ص 204.

(2) - عبد الجبار: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ج 36، ص 450.

(3) - الشافعي: الأم، ج 4، ص 218؛ الماوردي، علي: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ج 13، ص 113.

فيها إذا أمكن ذلك، فهو بهذه الصفات من أئمة العدل الواجب طاعتهم والمُحرّم الخروج عليهم بكل صور الخروج المختلفة[1].

الخروج على الحاكم الكافر المرتد:

وهذا أيضًا متفق على وجوب الخروج عليه ومنابذته بالسيف إذا قُدر على ذلك، أما إذا لم يكن لهم قدرة عليه فعليهم السعي إلى سلوك أقرب طريق للإطاحة به، وتخليص المسلمين من تسلطه عليهم مهما كلَّف ذلك من جهد، يدل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "... وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان"[2].

قال الحافظ ابن حجر: وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها[3]، وقال في موضع آخر: إنه –أي الحاكم– ينعزل بالكفر إجماعًا، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض[4].

الخروج على الأئمة الظلمة:

إن مذهب الحسن البصري رحمه الله اعتد به جمهور العلماء في الخروج عن الإمام الظالم[5]، حيث ذهب غالب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجوز الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف ما لم يصل بهم ظلمهم وجورهم إلى الكفر البواح، أو ترك الصلاة والدعوة إليها أو قيادة الأمة بغير كتاب الله تعالى، وهذا المذهب منسوب إلى الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهم: سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة[6][1]، وأبو بكرة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والمشهور عن

---

(1) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 6؛ السفاريني: لوامع الأنوار البهية، ص 423؛ أبو يعلي: الأحكام السلطانية، ص 352.

(2) - الزركشي: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج 3، ص 78؛ الفهري: سراج الملوك، ج 1، ص 93.

(3) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 13، ص 3.

(4) - المصدر نفسه، ج 13، ص 123.

(5) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 135.

(6) - محمد بن مسلمة بن سلمة الحارثى الأنصاري قاتل كعب بن الأشرف من المواظبين على العبادة والخلوة بالتعبد اعتزل الفتن وضرب فسطاطه بالربذة إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وهو بن سبع وسبعين سنة وكان يكنى بأبي عبد الله. (أبو حاتم: مشاهير الأمصار، ج 1، ص 22).

الإمام أحمد بن حنبل وعامة أهل الحديث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... ولهذا كان مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح بر، أو يستراح من فاجر..."[2].

هذا وقد قال بالإجماع على ذلك بعض العلماء كالنووي في شرحه لصحيح مسلم[3]، وكابن مجاهد البصري الطائي[4] فيما حكاه عنه ابن حزم[5]، ولكن دعوى الإجماع فيها نظر، لأن هناك من أهل السنة من خالف في ذلك[6].

ولقد كان الحسن إماماً مشهوداً له في هذا المجال فعن يونس بن عبيد[7] قال: "كان الحسن والله من رؤوس العلماء في الفتن والدماء"[8]، وما يؤكد بعد رؤيته وعمق تطلعه، قوله رحمه الله: العالم يرى الفتنة وهي مقبلة والناس لا يرونها إلا وهي مدبرة، وقوله هذا مستمداً من قوله تعلى حكاية عن موقف عامة الناس في قارون: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"[9]، وقال في موقف أهل العلم من قارون: "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ"[10] ، ثم تغير موقف عامة الناس ولكن

---

(1) - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، ص 171.

(2) - مجموع الفتاوى، ج 4، ص 444.

(3) - شرح صحيح مسلم، ج 12، ص 229.

(4) - أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقري أحد أئمة هذا الشأن، حدث عن خلق كثير وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة مأمونا سكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان ثعلب يقول ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه، توفي يوم الأربعاء وأخرج يوم الخميس لعشر بقين من شعبان من هذه السنة، وقد رآه بعضهم في المنام وهو يقرأ فقال له أما مت فقال بلى ولكن كنت أدعو الله عقب كل ختمة أن أكون ممن يقرأ في قبره فأنا ممن يقرأ في قبره رحمه الله. (أبو حاتم: مشاهير الأمصار، ج 1، ص 22).

(5) - ابن حزم: مراتب الإجماع، ص 199.

(6) - القاضي عياض: إكمال المعلم، ج 6، ص 128.

(7) - هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي القيسي البصري مولى عبد القيس كنيته أبو عبدالله، ولد بالكوفة ونشأ بالبصرة وكان من سادات أهل زمانه علما وحفظا وإتقانا وسنة وبغضا لأهل البدع، مات سنة ثمان أو تسع وثلاثين ومائة. (أبو حاتم: مشاهير الأمصار، ج 1، ص 22).

(8) - سورة القصص، الآية 79.

(9) - سورة القصص، الآية 78.

(10) - سورة القصص، الآية 79.

بعد أن أهلك الله قارون، قال تعالى: "وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"(1)(2).

ما تقدم جعل الحسن صاحب قوة وثبات في المحن، وهذا ما زاد من مكانته لدى الناس، فعن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن حتى خفَّ مع ابن الأشعث وكفَّ الحسن فلم يزل أبو سعيد في علوٍ منها بعدُ، وسقط الآخر(3).

ويظهر من هذه الرواية أن الناس بعد أن ينجلي غبار الفتنة، تنظر إلى أكثر الناس سداداً وصواباً وحكمة وثباتاً، فيعلوا بينهم ويكبر في نظرهم، وهذا مما جعل الحسن يتقدم على من سبقه في العلم، وتبين أن طبع الناس يألف الرجال المعتدلين الذين لا يحبون الفتن ولا يدعون إليها.

ويعتبر الحسن البصري رحمه الله من المؤسسين لفكرة طي صفحات الخلاف التي كانت سبباً في قتل الخليفة عثمان بن عفان وما تبعها من قتال بعد خلافة علي بن أبي طالب وأبنه الحسن رحمهما الله تعالى، فعندما سئل الحسن البصري عن قتال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال: شهدوا وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا(4)، وكانت نظرته العامة التحذير من الفتنة وعدم الالتفات إليها، فكان ينهى عن الفتن ولا يبرح، فقال مُطَرِّف: ما أُشبِّهُ الحسن إلا برجل يُحَذِّرُ الناس السيلَ ويقوم بِسَنَنِهِ(5).

فتجنب أن يتحدث في أحداث تلك الفتنة، وأوقف الحديث في ذلك، من غير انكار للأحداث، مبيناً بأسلوب دقيق أن الصحابة تقاتلوا على علم وأنهم على حق، موضحاً أننا نجهل ما فهموه وتقاتلوا من أجله، برغم أن الحسن من الذين عايشوا تلك الفترة، واختار الصمت حتى

---

(1) – سورة القصص، الآية 82.

(2) - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 20، ص115.

(3) - ابن ابي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، ج 6، ص 200؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 165.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 135.

(5) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 58، ص 314؛ الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 2، ص 204؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 192.

يصبح ترك الحديث عن الفتنة والقتال سنة تتبع من بعده، ليحجم الجميع عن ذلك، وهذا من شأنه الإبقاء على وحدة الأمة وتماسكها وترابطها.

يعد الحسن البصري واحداً من أولئك العلماء الذين اعتزلوا القرب من الولاة والأمراء وابتعدوا عن المناصب ورغبوا عن وجاهتها، فقد كان ينهي العلماء عن طرق أبواب الأمراء والتزلف لهم، لأن في ذلك إهانة للعلم وحطاً من قدر العلماء ومكانتهم، وبقي الحسن معتزلاً القرب من الولاة بعيداً عن تولي مناصبهم حتى توفي رحمه الله[1]، إلا أن ذلك لم يكن سبباً في انزوائه عما يجري في عصره من أحداث سياسية بل كان، علماً بارزاً يهتدي كثير من الناس بتوجيهاته المفيدة وآرائه السديدة، لاسيما في أوقات الفتن وفترات الخلاف[2].

ولربما هذا ما قوى فكرته التي تبناها لوأد الفتن، لأن تركه للحكام وبعده عنهم يجعل القلب يطمئن إلى سلامة منهجه وفكره، فيصبح وقع كلامه في نفوس الناس ابلغ من غيره، لأن الظاهر منه أنه لا يريد مصلحة الحكام بقدر ما يريد المصلحة الشرعية للدولة.

وكان توجهه في نصحه للعامة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف وينهى عن الإثارة والفرقة[3]، ويدعو إلى السمع والطاعة للولاة وكان يرى وجوب الموازنة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووحدة الجماعة[4]، ولقد عاصر الحسن البصري معظم فترات الحكم الأموي، وتأثر بالواقع السياسي في هذه الفترة، فأصبح يمثل مدرسة سياسية في عصره، فهو يرى أن حكم بني أمية فيه ظلم وجور، ولكنهم في الوقت نفسه يملكون القوة العسكرية، وموازين القوى في صالحهم، كما أنه يرى أن بني أمية يوجهون جهودهم في رفعة الاسلام والفتوحات ونشر اللغة العربية ويحافظوا على شعائر الاسلام[5]، كما أن الفئة الراغبة في التغيير والشاكية من الظلم ينقصها التنظيم والإعداد والقوة والصبر[6].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163.

(2) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 575.

(3) - الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ج 1، ص 287؛ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 4، ص 529.

(4) - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 1، ص 241.

(5) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 164.

(6) - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 4، ص 527.

ويرى أن الذين يحملون راية الخروج على الحكام، من أمثالهم الذين خرجوا على حكام بني أمية ممكن أن يكون مخلص لدينه، ولكنه لا يصلح للحكم ولا يقدر على إحداث التغيير، وإما رجال يستخدمون الدين والدعوة للتغيير لأغراض دنيوية، منها حبهم للسلطة والحكم، فليسوا بأحسن حال من الأمويين[1].

وكان الحسن رحمه الله من العلماء الذين فتح الله عليه في معرفة الفتن، حتى أنه يبصرها قبل حدوثها، ويخشاها قبل وقوعها، ويحذر منها قبل أن تزل الأقدام فيها، فعن زريك بن أبي زريك قال سمعت الحسن يقول: إن هذه الفتنةَ إذا أقبلت عرفها كُلّ عالمٍ، وإذا أَدْبَرَت عَرَفَها كُلّ جاهلٍ[2].

أساليب الحسن في وأده للفتن:

لقد تميز الحسن البصري بأساليب رائعة في إخماد نار الفتنة بين المسلمين، خاصة تلك الفتن التي يقوم أصحابها بالخروج فيها على الإمام، رغم أن الحسن قد يكون ضد تصرفات بعض الولاة أو الخلفاء، لكن فقهه السياسي جعله يقدم حقن الدماء ووحدة الأمة وطاعة الأمراء على غيرها من الأمور، ومن تلك الأساليب:

أولاً: أسلوب النصح والإرشاد:

لما حضر بعض المسلمين للحسن البصري لاستشارته في الخروج على الإمام قال: "أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين"[3]، وقيل: سمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج فقال: "لا تفعل رحمك الله إنكم من أنفسكم أوتيتُم، إنما نخاف إن عُزلَ الحجاجُ أو مات أن تليكم القردة والخنازير، فقد روي أن أعمالكم عمالكم وكما تكونون يولى عليكم"[4].

---

(1) - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 4 ص 528.

(2) - البخاري: التاريخ الكبير، ج 4، ص 321؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 166؛ الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 9، ص 24.

(3) - الدوالبي: الكنى والأسماء، ج 3، ص 1035؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 7، ص 54.

(4) - السخاوي: المقاصد الحسنة، ج 1، ص 520؛ العجلوني: كشف الخفاء الناس، ج 1، ص 164.

فالملاحظ أن الحسن رحمه الله تعالى نصحهم بعدم الخروج على الولاة أو الخلفاء، موضحاً لمن جاؤوه أنهم ومن ماثلهم وعامة الشعب سبب هذا الظلم الواقع، فلو أنهم أحسنوا في دينهم واسلامهم لأحسن الله إليهم في ملوكهم، وكأنه رضي الله عنه يقول لهم من أعمالكم سلط عليكم، فأحسنوا يغير الله ما بالقوم، هذا وكأن كلام الحسن البصري يحمل إشارة هي أن القوم في البصرة أو الكوفة وبعض أمصار المسلمين كانوا موتورين لا يقبلوا بولاية الخلفاء حباً منهم للدنيا، لذلك قال الحاكم الظالم عقوبة، والعقوبة تكون نتيجة خطأ أو معصية تستوجب العقاب.

ولم يكن نصح الحسن موقوفاً على الرعية فقط، وإنما كان ينصح ويزجر الحكام إذا اقترفوا أو أرادوا أن يقترفوا جرماً أو ظلماً بحق الرعية، فكان رحمه الله يقدم النصح لهم لاستدراك الخطأ وعدم تفاقمه، لأنه ينظر للأمور من مصلحة عامة تخدم المسلمين، ولا ينظر من مصلحة خاصة ينافق فيها الأمراء والحكام.

والشاهد على ذلك موقفه مع عمرو ابن هبيرة –والي العراق– الذي استدعى الحسنَ والشَّعْبيَّ، فقال لهما: "أصلحكما الله، إن أمير المؤمنين يزيد بن عبدالملك يكتب إليَّ كتبًا، أعرف في تنفيذها الهَلَكَة، فأخاف إن أطعته غضب الله، وإن عصيته لم آمَنْ سطوتَه، فما تريان لي؟ فقال الحسن للشعبي: أجِب الأمير، فرفق له في القول، وانحطَّ في هوى ابن هُبَيْرَةَ، وكان ابن هُبَيْرَةَ لا يستشفي دون أن يسمع قولَ الحسن، فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد، فقال الحسن: أوَليس قد قال الشعبي؟ فقال ابن هُبَيْرَةَ: ما تقول أنت؟ فقال: أقول واللهِ يوشك أن ينزِلَ بك ملكٌ من ملائكة الله، فظٌّ غليظ لا يعصي اللهَ ما أمره، فيُخرجك من سَعة قصرك، إلى ضيق قبرك، فلا يغني عنك ابنُ عبدالملك شيئًا، فبكى عمر بنُ هبيرة بكاءً شديدًا، وأجزل جائزة الحسن، وقصَّر في جائزة الشعبي"[1].

يعتبر موقف الحسن في هذه الروايات دلالة على تأصيله لمنهج العاقل المتزن صاحب الرأي السديد في النصح والارشاد والتقويم، ثم تحدث بأسلوب نصح للوالي بعدم سماعه لتعليمات الخليفة إن كانت فيها معصية لله، ولم يحرضه على الخليفة أو الخروج عليه، وإنما ذكره بما يمكنه من إتخاذ قراره السليم فيم صدر له من تعليمات.

---

(1) - الطائي: الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية، ج 4، ص 525؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 491؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 162.

ونصح الحسن وقوله ما يراه حقاً دون خوفٍ أو مراءة لأحد، وموقفه مع ابن هبيرة يمثل موقف الشرف الذي أشاد به الإمام الشعبي ومن ثم تلاميذهما، ويتضح ذلك بخروج الشعبي إلى المسجد بعد لقائهما مع ابن هبيرة، فلما اجتمع أهل مجلسه، قال: أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه، فليفعل، إن الأمير ابن هبيرة أرسل إليَّ وإلى الحسن، فو الذي نفسي بيده، ما علم الحسنُ شيئًا جهلته، ولكن راعيتُ ابنَ هُبَيْرَةَ، وأردت رضاه، وقصَّرت في قولي له، فأقصاني الله وأبعدني، وكان الحسن مع الله عز وجل فقرَّبه وأدناه، وسخَّر ابن هُبَيْرَة فآثره وحَبَاه[1].

فكثير من الناس صاحب علم وحكمة ومشورة، لكنه لا يخشى الله في رأيه ومشورته، ولا يؤثر ما عند الله ويدنوا إلى ما عند الناس، فَيَزل ويُضّيع الراعي والرعية، ومن ثم هو يضيع.

ثانياً: موازنته بين ما يؤديه الحاكم وبين ما قصر في تأديته:

لقد كان الحسن وكأنه ممسك في يده بجمرة من نار يوم الفتن، لأنه يعلم أنه لو أذن لأحد مما استشاروه بالخروج على الحاكم لأصبح القتل في زمنه سمة، فكان يوازي بين إنكاره للظلم، وعدم قبوله لسياسة بعض الحكام، وبين مصلحة الأمة، ويزن الأمور بمكيال واحد لا بمكيالين، حيث أنه كان كما ينظر لسلبيات الحكام كذلك ينظر إلى إيجابياتهم، فيرى أن مناقب الحكام فيها من النفع أكثر من الضرر فيقف موقف المعادي للفتنة، ويشهد على ذلك قوله عند سؤاله عن الحكام "ما عسيت أن أقول في قوم يلون من أمورنا بخمسة: الجمعة، والجماعة، والفيء، والثغور، والحدود، وما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد"[2].

ثم كان ينصح الناس بعدم الخروج مع أي فريق من الخصمين، حيث قال سلم بن أبي الذيال: سأل رجلٌ الحسنَ وهو يسمعُ وأناسٌ من أهل الشام، فقال: يا أبا سعيد، ما تقولُ في الفتن مثلَ فتنتي يزيد بن المهلب، وعبد الرحمن وابن الأشعث؟ فقال: "لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء،

---

(1) - أبو الفضل: حديث أبي الفضل الزهري، ج 2، ص 99؛ الطائي: الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية، ج 4، ص 525؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 491؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 162.

(2) - الآجري: الشريعة، ج 4، ص 1709؛ البغدادي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ج 1، ص 262؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 164.

فقال رجلٌ من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضبَ، ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد، نعم، ولا مع أمير المؤمنين"[1].

ووصف الحسن من خرج في الفتنة بأنه افتعل فتنة أكبر من الفتنة التي كانت موجودة قبل خروجه، حيث قيل له: يا أبا سعيد خرج خارجيٌّ بالخُرَيْبَة، فقال: "المسكين رأى منكراً فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه"[2].

وقد شابه الحسن بقوله هذا من قال لا يهدم أصل المصلحة شغفًا بمزاياها، كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا[3]، ففكر الحسن ينطلق من أن المنهج الاسلامي الصحيح يلزم الجميع بتقديم الأهم على المهم، وبتقديم النفع العام على النفع الخاص، وبتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فإننا أن قدمنا رغباتنا عن مصلحة الاسلام والأمة خسرنا الاثنتين معاً.

ثالثاً: سياسته فيمن أكره على الخروج:

برغم بعض المواقف التي تُظهر عدم رضى الحسن عن أفعال بعض الحكام مثل عدم رضاه عن بعض تصرفات الحجاج، إلا أنه كان معارضاً للخروج عليه من قبل ابن الأشعث، فسياسته رحمه الله أنه لا يبيح الخروج على الحاكم دون ما يكون هناك مبرر لوجوب الخروج، ونذكر ما يدلل على سياسته في ذلك:

لقد تآمر الموتورون للحسن وكادوا له كيداً، فوشبوا الأشعث على اجبار الحسن للخروج معه كي تستغل مكانته ووجوده في صفوفهم في طمأنة الناس وجلبهم لفريق الأشعث، لأن كثير من الناس بمجرد رؤيتهم للحسن سيقفون إلى جانبه، بحكم ثقة الناس به، وهذا ما كان ليخفى على الحسن رحمة الله عليه، لذلك قيل لابن الأشعث: "إنْ سرَّك أن يُقتلوا حولك كما قُتلوا حول جمل عائشة، فأخْرِجِ الحسنَ، فأرسلَ إليه، فأكرهَهُ"[4].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 164؛ الصلابي: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ص 251؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 1، ص 652. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 164.

(2) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 172.

(3) - الدميجي: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ص 514.

(4) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 21؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163.

وفعلاً قام أبن الاشعث باكراه الحسن للخروج معه فخرج مجبراً، لكنه تخير الفرصة فما أن سنحت حتى تركهم وهرب، وكاد هروبه أن يقتله، فعن ابن عون قال: "استبطأ الناس أيام ابن الأشعث فقالوا له: أخْرِجْ هذا الشيخ –يعني الحسن– قال ابن عون: فنظرتُ إليه بين الجسرين، وعليه عمامةٌ سوداء، قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه في بعض تلك الأنهار، حتى نجا منهم، وكاد يومئذٍ أن يهلك"[1].

وإلقاء الحسن بنفسه في النهر، ليس حباً في الهلاك وإزهاق نفسه، وإنما لعلمه أن الخروج في تلك الفتن لا يجلب لمسلم خيراً، وأن خروجه أو وقوفه في صف أحد الفريقين سيجعله ممن يشعلون الفتنة لمجرد الحضور، وسيدفع الناس للتقدم والقتال مع فريقه لعلمهم أن الحسن لا يقف إلا بجانب الحق والعدل، ومما يؤكد على ذلك أن مسلم بن يسار[2] صحب أبو قلابة، فقال يا أبا قلابة إني أحمد الله إليك إني لم أطعن فهيا –أي فتنة الأشعث– برمح ولم أضرب فيها بسيف ولم أرم فيهم بسهم، فقال له يا أبا عبد الله كيف بمن رآك واقفاً فقال هذا أبو عبد الله ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق، فتقدم فقاتل حتى قتل فبكى حتى تمنيت أني لم أقل شيئا[3].

نستخلص من ذلك أن الحسن كان يرى أن ازهاق النفس أولى من المشاركة في الفتن، لأنك لو ازهقت نفسك تكون قد أزهقت نفساً واحدة، لكنك لو شاركت في الفتن سيقتل بتلك المشاركة عدد لا يُعلم من المسلمين، خاصة إذا ما كان المشارك من العلماء والقيادات المعروفة التي لها أثر في نفوس العامة.

لذلك بلغ من تثبيطه ونهيه الناس عن الخروج في الفتن أن لا يشاركوا حتى لو أدى ذلك لموتهم، فقال كلثوم بن جبر[4] قلت للحسن: "إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 163؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 21.

(2)- هو مسلم بن يسار أبو عبد الله مولى لبنى أمية عداده في أهل البصرة وكان من عبادها وزهادها أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر روايته عن أبى قلابة وأبى الأشعث روى عنه محمد بن سيرين وابنه عبد الله شهد الجماجم لم يرم فيه بسهم ولا طعن فيه برمح مات سنة مائة وقد قيل إنه مولى طلحة بن عبيد الله. (ابن حبان: الثقات، ج 5، ص390).

(3) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 21؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 583.

(4) - هو كلثوم بن جبر أبو محمد البصري والد ربيعة بن كلثوم، روى عن أبى غادية ومسلم بن يسار وسعيد بن جبير، روى عنه عبد الله بن عون وحماد بن سلمة وعبد الوارث ومرثد بن عامر وابنه ربيعة بن كلثوم، وقال أحمد بن حنبل كلثوم بن جبر ثقة. (ابن حبان: الثقات، ج 5، ص390).

علي رجل؟ قال: تناشده، قلت: فإن أبى؟ قال: فكن عبد الله المقتول، قال: فخرجت إلى مكة فسألت مجاهداً فقال لي مثل قول الحسن"[1].

إنَّ ما فعله الحسن من اعتزالٍ للفتن وتحذيره منها عين ما أمر به رسولنا صلى الله عليه وسلم عند حلول الفتن، ففي نصوص كثيرة ورد التحذير من الفتن والأمر باعتزالها والفرار بالدين وقت وقوعها، من ذلك: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، وَمَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ"[3].

رابعاً: سياسته وحكمته في الحفاظ على قوة الدولة وتماسكها:

كان الحسن يرى المصلحة الملحة هو الحفاظ على تماسك الدولة وعدم إضاعفها بفعل الثورات أو بفعل الخارجين عن الحكام، لما في ذلك من آثار في سفك الدماء، وتقويض لقوة المسلمين أمام خصومهم، وازدياد الجور والظلم، لذلك يرى في الحكام والولاة أنهم أصحاب فضل على الدولة والرعية، لذلك لما سئل عنهم وقد كان الغرض من السؤال التهكم بهم وإبراز قبائحهم، وإظهار أنهم ليسوا بأكفاء لتنصيبهم هذه المكانة، فحينما شعر بما يدور في نفس السائل سكت ملياً ثم قال: وما عسيَ أن أقول فيهم، وهم يلونا من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة، والفيء والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وإن ظلموا، والله ما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، والله إن طاعتهم لغبطة، وإن فرقتهم لكفر، فقال الرجل: يا أبا سعيد والله إني لذو مال كثير، وما يسرني أن يكون لي أمثاله وإني لم أسمع منك الذي سمعت، فجزاك الله عن الدين وأهله خيراً[4].

---

(1) - البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3: ص 118.

(2) - الجصاص: أحكام القرآن، ج 5، ص 281؛ الدارقطني: العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ج 4، ص384؛ ابن الحسن: العباب الزاخر، ج 1، ص445.

(3) - الأمام مالك: الموطأ، ج 2، ص 970؛ ابن حماد: الفتن، ج 1، ص 256.

(4) - الآجري: الشريعة، ج 4، ص 1709؛ البغدادي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ج 1، ص 262.

ومن سياسته أن الناس إذا ما حضروا يسألونه عن ظلم أو فساد أحد الحكام أو الولاة، كان ينظر إلى ما في نفوسهم فإذا علم أنهم يريدون فتنة، كان يصدح بقول الحق المخالف لما في نفوسهم، فيثبطهم ويقرعهم بطريقة تجعلهم يتركوا ما غُرز في صدورهم على حكامهم، فمثلاً حين سئل عن الحجّاج قال: "يتلو كتاب الله ويعظ وعظ الأبرار ويطعم الطعام ويؤثر الصدق ويبطش بطش الجبارين، قالوا فما ترى في القيام عليه؟ فقال: اتقوا الله، وتوبوا إليه يكفيكم جوره"[1].

وفي كلامه سر دقيق وهو أنه إذا علم أن الناس في نفوسهم شيء على أميرهم، ذكر لهم كثيراً من مزاياه الطيبة التي ترفع من مكانته وفضله على المسلمين ويعظمها في نفوسهم، وبعدها يذكر المثلبة التي جاءوا من أجلها، فيترك انطباعاً حسناً في نفوسهم عن إمامهم أو واليهم إذا ما قورنت المزايا الكثيرة بالمثلبة التي تعلقت به، ثم ينصحهم أن يتقوا الله في حكمهم على الأشياء وألا يحكموا الهوا، لكي لا يظلموا الناس أشياءهم.

قال الحسن: "هؤلاء –يعني الملوك– وإن رقصت بهم الهماليج[2]، ووطئ الناس أعقابهم، فإنَّ ذلَّ المعصية في قلوبهم، إلاَّ أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرَّتهم، فمن أراد به خيراً لزم ذلك، وعمل به، ولم يخالفه"[3].

وقد كان للحسن نظرة تفصل الترابط بين المواقف، فإذا كان الإمام جائر هذا لا يعني أن يعصيه المسلم في كل الأمور، بل يجب علينا طاعته فيما فيه مصلحة للدين والاسلام، لذلك لما سئل الحسن وابن سيرين عن الغزو مع أئمة السوء؟ فقالا: "لك شرفُه، وأجرُه، وفضلُه، وعليهم إثمهم"[4].

---

(1) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 468؛ بن الحسين: نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 131.

(2) - حسن سير الدابة في سرعة وقد هملج، والهملاج: الحسن السير في سرعة وبخترة. (ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 394).

(3) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 470؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 206؛ ابن الجوزي، الحسن البصري ص 121، نقلا عن معاملة الحكام للبرجس، ص59؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 1، ص 651.

(4) - ابن أبي شيبة: المصنف، ج 6، ص 508.

ففي مثل هذه الأمور يرى الحسن أن على الرعية أن تقدم المصلحة العامة للدولة، حتى لا نكون جزءاً من ضعف الدولة الاسلامية، أو جزءاً من تفتيت وتشرذم الدولة فيما تطلبه منا كواجب جهادي يحفظ على المسلمين بيضتهم.

خامساً: سياسة تثبيط الناس عن الخروج على الولاة:

كانت سياسة الحسن تبرز في تثبيط الناس لعدم الخروج على الإمام أو الوالي، ناصحاً من أتاه يوم فتنة يزيد ابن المهلب أن يلزموا بيوتهم وقت الشدائد والفتن وأن يغلقوا أبوابهم، حتى لا يكونوا عوامل توتير للفتنة، ثمَّ قال: والله لو أنَّ الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع عنهم، وذلك أنّهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، ووالله ما جاؤوا يوما بخير قط[1]، ثمَّ تلا قوله تعالى "وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ"[2][3]، وكان إذا قيل له: ألا تخرج فتُغير، يقول: إن الله إنما يغير بالتوبة، ولا يغير بالسيف"[4].

وبهذا التوجه الذي حمله الحسن يكون قد استقى ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنَّه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية"[5].

لربما يكون في رد الحسن في فتنة ابن المهلب إظهاراً لما تحصل لدى الحسن من محصلة وخبرة في الفتن، حيث وضح أن استخدام المسلمين السيف في قتالهم سيكون عاقبته إلى نحورهم فيقتلوا أنفسهم، وحتماً أن ذلك لا يحصل المسلمون منه بخير، مرشداً الأمة الاسلامية إلى الصبر على ملوكهم وأمرائهم.

---

(1) - السيوطي: الدر المنثور، ج 3، ص 532؛ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 9، ص 39.

(2) - سورة الأعراف، الآية 137.

(3) - ابن سعد: الطبقات الكبرى ج 7، ص 165؛ الآجري: الشريعة، ج 1، ص 374؛ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 9، ص 39.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 172.

(5) - البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج 9، ص 2588؛ الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ج 1، ص 29؛ الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، ج 7، ص 356.

سادساً: سياسته في الانتقاد العلني للموتورين، وإعادتهم لحضن الدولة الاسلامية:

لقد كان الحسن شديد اللهجة سليط اللسان على الخارجين على الدولة، خاصة إذا ما تعلق بخروجهم إتّباعاً للهوى وحباً منهم للدنيا، فكان يشّهر بهم ويمنع عنهم الناس، من أجل إخماد فتنتهم، وكان رحمه الله يتعرض لهؤلاء في خطبه وجلساته بشكل واضح وصريح وفصيح، من غير لبس، فكان إذا اعتلى المنبر يبين أخطائهم ومثالبهم للناس حتى يجزعوا من اللحاق بهم، ومن الصور التي تدلل على ذلك، أنه في مجالسه كان يقول عن ابن المهلب إنه لفاسق من الفاسقين، ومارق من المارقين[1].

ومن سياسته في ذلك أنه كان يأنب الناس بطاعتهم لهؤلاء الموتورين ويأنب من لحق بهم أو دعمهم ولو بالكلام، ويحقر ما قاموا به ضد الدولة، واصفاً من تبع الخارجين بأنهم من الرعاع الضعاف الذين يميلون مع كل ناعق يدعوهم للخروج[2].

كذلك لم يكن عمله متوقفاً على نبذهم وذكر مساوئهم وخطرهم على الكلام فقط، بل كان يساهم في علاج تلك الفتن بشكل عملي موضوعي، فكان يشجع أن تكون مجموعة من أهل العلم والمعرفة والدراية بالأمور السياسية والشرعية لتفاوض زعماء الفتنة للتراجع عما قاموا به، من أجل لحمة الأمة الاسلامية وأن تبقى قوية، والحرص على عدم تفريقها، لأن بتفريق الأمة الاسلامية يستشري الفساد والظلم والقتل، وتضعف أمام خصومها الخارجيين، وهذا لا يحقق مصلحة لمسلم قط، لذلك كان يدعو من خرج بلزوم الطاعة للخليفة أو الوالي ولا يؤثروا على الطاعة شيئاً[3].

والحسن البصري في ذلك له منهج ومدرسة، تتخلص في أنه لا يُجَوّز الخروج على الخليفة المسلم وقتاله الذي يحمي حدود الإسلام، ويحافظ على الجمعة والجماعة، فهو شوكة الاسلام، فجميع من خرجوا وقاتلوا الخلفاء بالسيف تولد عن عملهم مفسدة على الاسلام والأمة، والمفسدة أكبر بكثير مما كانوا يريدوا جلبه من نفع، وهذا التفكير للحسن يمثل قمة النضج والوعي الفقهي والسياسي، والحرص على الأمة، ولقد اثبتت الأحداث صدق وعدالة نظرية

(1) - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 6، ص 304.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 80. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 337.

(3) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 337.البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3، ص 114.

الحسن، فقد روت المصادر أن كثير ممن تورطوا في الفتن ندموا على ما فعلوا فيما بعد لعدم أخذهم برأي الحسن[1].

لذلك فإن كل من لم يفعل ما فعله الحسن من اجتناب الفتن أصابه ما أصابه وندم على ما قدم، فقد ثبت مروِيّاً بإسناد صحيح من طريق الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري: نَدَم كثير من الناس على عدم الأخذ بِنُصح الحسن البصريِّ زمن فتنة ابن الأشعث، وَتَرْكِ قتالِ الحجَّاج قالوا: يا ليتنا كُنَّا أَطَعْناهُ، يا لَيتَنا كُنَّا أَطَعْناهُ[2].

ومما يؤكد ذلك أن غاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فإن عبد الله بن علي[3] وأبا مسلم[4] هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم[5].

ومن مجمل سيرة الحسن البصري رحمه الله نرى أنه يوازن بين المصالح والمفاسد، وهذه المسألة من المسائل العظيمة التي ينبغي العناية بها خاصةً في هذا الزمان، لعظم الحاجة إليها، ولأن الناس فيها بين إفراط وتفريط، فطائفة لم تعتد بالمصالح الراجحة فخالفت بذلك النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطائفة تساهلت في اعتبار المصالح وتوسعت في استعمالها على حساب النصوص الشرعية الواضحة فلم تراع فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، ووفق الله طائفة منهم الحسن فتوسطت بين هاتين الطائفتين فعملت بفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء نصوص الكتاب والسنة مراعية في ذلك الأصول والضوابط الشرعية مستفيدة من فهوم العلماء المحققين من سلف الأمة.

---

(1) - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 4، ص 527.

(2) - ابن حنبل: الزهد، ج1، ص 281؛ الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج 6، ص 465.

(3) - هو عبد الله بن علي بن رومان الكازروني أبو عمر سمع أبا أحمد الفرضي وابن الصلت وغيرهما قال الخطيب علقت عنه شيئا يسيرا وكان صدوقا يذهب إلى الاعتزال مات في سنة ست وأربعين وأربع مائة. (ابن حجر: لسان الميزان، ج3، ص318).

(4) – لم اقف له على ترجمة.

(5) - الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ج1، ص 286؛ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 4، ص 528.

الفصل الثالث: مواقف الحسن البصري السياسية

المبحث الأول: مواقف الحسن البصري السياسية في خلافة معاوية بن ابي سفيان.

المبحث الثاني: مواقف الحسن البصري السياسية في خلافة يزيد بن معاوية.

المبحث الثالث: مواقف الحسن البصري السياسية في زمن حكم الحجاج للعراق..

المبحث الرابع: مواقف الحسن البصري السياسية في خلافة عمر بن بعد العزيز.

قال عن خلفاء بني أمية، ماذا أقول فيهم وهم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظ وأن فرقتهم لكفر.

الحسن البصري

المبحث الأول: موقف الحسن البصري السياسية في خلافة معاوية بن ابي سفيان.

نظرة عامة للحسن البصري عن الخلافة الأموية:

وقبل البدء بالحديث عن مواقف الحسن البصري رحمه الله من خلفاء وأمراء بني أمية لا بد أن نعرف النظرة العامة للحسن البصري من الدولة الأموية وخلفائها، فقال رضي الله عنه لما سئل عن خلفائهم، أثنى عليهم إمامتهم وقيادتهم الناس، وسعيهم لتقديم الخدمة للمسلمين، وتأمين حياتهم، وأوجب الطاعة لهم، وكفر من خرج عنهم، وحينما سؤل عنهم قال: "هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظ وأن فرقتهم لكفر"[1].

فبداية فإن الحسن رحمه الله لا يحمل على خلفاء بني أمية، بل وصفهم بأنهم هم الذين أقاموا الصلاة وجمعوا كلمة الناس ووحدوهم، وحرسوا ثغور الدولة من ميل المعتدين، وحموا حدود ممن تجرؤا عليها، وهذا المديح لهم لا يكون إلا من رجل راضٍ عن أداء خلفائهم وأمرائهم، وإن كان يُظهر الحسن في حديثه بعض المثالب على خلفاء بين أمية، لكن هذه الخمسة أشياء تمنعهم من الانتقاد عليهم، والانصياع لأوامرهم وطاعتهم وعدم الخروج عليهم.

لكن توجد بعض الروايات التي أوردتها بعض المصادر التاريخية التي تبين تحامل الحسن وعدم رضاه بشكل كبير عن الدولة الأموية ويسبهم ويشتم عليهم[2]، لكنها روايات مكذوبة يتعفف الإنسان أن يذكرها ونذكر مثالاً في الهوامش للتوضيح، ولأن مضمونها يتنافى مع سماحة شيخ عالم تربى على فضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، وحسن الكلام، وقلنا أن الحسن ما زال يتعلم الحكمة حتى نطق بها[3]، فلا يمكن أن يكون أنسان بمستوى العلم والأدب والزهد والعبادة

---

(1) - البغدادي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ج 1، ص 262.

(2) - الحسن البصري قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد، سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'الولد للفراش، وللعاهر الحجر'، وقتله حجر بن عدي وأصحابه ، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر. (ابن هبة الله: شرح نهج البلاغة، ج 2، ص 1؛ الشيباني: الكامل في التاريخ؛ ج 3؛ ص 337).

(3) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 147؛ المكي: قوت القلوب، ج 1، ص 257.

التي تمثلت في الحسن البصري، ثم يخرج منه ما يسب به بعض الخلفاء خاصة الخليفة معاوية ابن أبي سفيان كونه صحابي، كما ذكرت المصادر[1]، وسنتطرق لذلك في حينه.

وكان رحمه الله واضحاً في تجنب الفتن في الدولة الأموية، وما كان ذلك إلا لأنه عاش الفتن ورأى مخاطرها فأراد تجنبها حقناً للدماء ولضمان وحدة الأمة وعدم تفريقها، فكان يبتعد عن سب الولاة والتعرض لهم، وكان يزرع هيبتهم في قلوب الرعية والرضا عن حكمهم، فكان يقول: لا تسبوا الولاة فأنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر، أو أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر، وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء، فلا تستقبلوا نقمة الله تعالى بالحمية والغضب، واستقبلوها بالاستكانة والغضب[2]، ونفهم من هذا أن الحسن رحمه الله كان لا يرى الخروج على الحكام لأن فهمه لذلك نابع من أن الضرر أكثر من النفع.

ثم إنه يرجع في شؤون المسلمين تلك، إلى التمسك بالتعاليم والأخلاق الاسلامية حتى يلّتم الشمل وتنحسر الفرقة وعند ذلك يكون النصر والتمكين[3].

ولقد لحق ببعض أمصار الدولة الأموية أزمة مالية، حيث غلا السعر بالعراق والكوفة والبصرة حتى بلغ سعر القفير[4] من الحنطة أربعين درهماً[5]، فذهب الناس إلى الحسن البصري يستفتونه في حلها، فقال رحمه الله، غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس: غلا السعر بالمدينة فذهب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال إن الله عز وجل هو المعطي وهو المانع[6].

بهذا وغيره كان الحسن يعمل على استتباب الأوضاع الأمنية في الدولة الأموية، لكن هذا الموقف من الحسن لأول وهلة يؤخذ عليه في الظاهر قبوله ورضاه بالذلة والمسكنة وعدم

---

(1) – الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 232؛ بن هبة الله: شرح نهج البلاغة، ج 2، ص 154؛ الذهبي: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 337.

(2) - ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ج 1، ص 7.

(3) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 232.

(4) - والقفار والقفير: الطعام إذا كان غير مأدوم؛ وفي حديث عمر، رضي الله عنه: فإني لم آتهم ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين أي خالين من الطعام ومنه حديثه الآخر: قال للأعرابي الذي أكل عنده: كأنك مقفر. (ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 111).

(5) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 261.

(6) - المدارسي: ذيل القول المسدد، ج 1، ص 85.

الشعور بالظلم مهما كان، والخضوع لطاعة الحكام الأمويين، لكن المتبصر يرى أن هذا من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: "أيها الناس اقرأوا القرآن واعملوا به تكونوا من أهله، أنه لا يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله، إلا أنه لا يُبعد من رزق الله ولن يتوب من أجل الله أن يقول المرأ حقاً، وأن يذّكر بعظيم"[1].

وقد كان دافع الطاعة التي أولاها الحسن لخلفاء وولاة بني أمية هو امتثاله للشرع الحنيف، حيث يروى أن الحسن قال للحجاج: "سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقروا السلاطين وبجلوهم، فإنهم عز الله وظله في الأرض إذا كانوا عدولاً"، قال الحجاج: "لم يكن فيه إذا كانوا عدولاً، قلت: بلى"[2].

فلو نظرنا في ذلك بعمق وروية إلى تصرف الحسن وموقفه لوجدناه لم يصدر منه ذلك إلا عن حكمة ونور قذفه الله في قلبه.

موقف الحسن البصري من الخليفة معاوية بن أبي سفيان:

قبل أن نذكر موقف الحسن من معاوية لا بد أن نؤكد فضل معاوية رضي الله عنه، من خلال الروايات التاريخية التي تبين فضله ومكانته، لأن الشيعة وبعض الخوارج أوغلوا في شخصه وأكثروا من القدح فيه واتهامه بالمنكرات [3]، ومن هذه الروايات:

إن موقف سلف الأمة الصالح من معاوية بن أبي سفيان واضح لا لبس فيه، فهو خليفة المسلمين، وصحابي جليل له فضله ومكانته، ولا يجوز لأحد التعرض له، فهذا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمهُ اللهُ يقولُ في حقه: "معاويةُ عندنا محنةٌ، فمن رأيناهُ ينظرُ إليهِ شزراً، اتهمانهُ على القومِ – يعني الصحابةَ–"[4].

ثم إن سمح للناس بالسب والطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، سيجرؤ من في قلبه مرض على التمادي في غيه وسبه وشتمه لصحابة آخرين، لذلك قال الربيعُ بنُ نافعٍ

(1) - بيومي: الحسن البصري من عمالقة الفكر والزهد والدعوة في الاسلام، ص 220/319.
(2) - الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 1، ص 439؛ الأبشيهي: المستطرف، ج 1، ص 198.
(3) - ابن هبة الله: شرح نهج البلاغة ج 2، ص 1؛ الشيباني: الكامل في التاريخ؛ ج 3؛ ص 337.
(4) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص 209. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 139.

الحلبي:[1] "معاويةُ سترٌ لأصحابِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجلُ الستر، اجترأ على ما وراءهُ"[2].

وحينما سئل عبد الله بن المبارك[3]، أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان، أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: "والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة، وصلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا؟"[4].

ومما يؤكد ما قاله ابن المبارك ما روته المصادر التاريخية مما أخرج الآجري بسنده إلى الجراح الموصلي[5] قال: سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران[6] فقال: "يا أبا مسعود، أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟! فرأيته غضب غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد، معاوية رضي الله عنه كاتبه وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه عز وجل"[7]، وهذا القول يتوافق مع الرواية التي قالها الحسن البصري التي سئل يومها أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: "أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاس بهم أحد"[8].

وهذا ليس تقليلاً من مكانة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، لكن هذا يدلل على الأفضلية لمكانة الصحابة على غيرهم، لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولربما

---

(1) - هو الربيع بن نافع أبو توبة الحلبي سكن طرسوس يروى عن معاوية بن سلام وعطاء بن مسلم الحلبي روى عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري مات بعد سنة عشرين ومائتين. (ابن حبان: الثقات، ج8، ص239).

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 139.

(3) - أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة كان قد جمع بين العلم والزهد تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضي الله عنهما وروى عنه الموطأ وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع وكذلك كان أبوه. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص32).

(4) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 33.

(5) – لم نتحصل له على ترجمة.

(6) - هو المعافى بن عمران الموصلي كنيته أبو مسعود، مات سنة 185هـ وكان من العباد المتقشفين في الزهد وكان الثوري يسميه الياقوتة وكان يقال له أنت معافى كما سميت معافى. (ابن حبان: الثقات، ج7 ، ص529).

(7) - الشريعة، ج 5، ص 2467؛ اللالكائي: اعتقاد أهل السنة، ج ، ص 1445؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1، ص 209؛ عياض: كتاب الشفا، ج 2، ص 46.

(8) - الآجري: الشريعة، ج 5، ص 2467.

كانت المفاضلة بين الطرفين لأن الخليفة عمر بن العزيز ملئ الدنيا عدلاً وزهداً، وكان الأكثر شهرة في عصره، فتمت المفاضلة على هذا الأساس، خاصة أن كلاهما خليفة من بني أمية.

وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة، ففي الصحيح أن رجلاً قال لإبن عباس: "هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة، قال ابن عباس أصاب إنه فقيه"، ويشهد له أبو الدرداء فقال رضي الله عنه: "ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من إمامكم هذا –يعني معاوية–"[1]، فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة أبو الدرداء.

وقد أثنى عليه قبيصة بن جابر الأسدي[2] بقوله: "ألا أخبركم من صحبت؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أفقه فقهاً ولا أحسن مدارسة منه، ثم صحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت رجلاً أعطى للجزيل من غير مسألة منه، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً، ولا أشبه سريرة بعلانية منه"[3]، وفي رواية أخرى قال: "صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل منه حلماً ولا أبعد أناة منه"[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمةً، وقال: إن معاوية ثبت بالتواتر أنه أمّره النبي صلى الله عليه وسلم كما أمّر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته"[5]، فهو كاتب وحي الله عزل وجل[6].

---

(1) - الذهبي: المنتقى، ج 1، ص 388؛ الخلال:السنة، ج 1، ص437؛ ابن تيمية: منهاج، ج 6، ص 233.

(2) - قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة بن جذار، أسد خزيمة يروى عن عمر بن الخطاب وطلحة عداده في أهل الكوفة وقيل مات في الجماجم. (ابن حبان: الثقات، ج 5، ص318).

(3) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 337.

(4) - الشيباني: الآحاد والمثاني: ج 1، ص 377.

(5) - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 4، ص 478.

(6) - ابن قدامة: لمعة الاعتقاد، ص 33.

قال محب الدين الخطيب رحمه الله: "سألني مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيي في الرجال ما تقول في معاوية؟ فقلت له: ومن أنا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة، وصاحبٌ من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، إنه مصباح من مصابيح الإسلام، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره"[1].

ولا نريد الإسهاب في ذكر الروايات التي تبين فضل معاوية رضي الله عنه، لكن من مجمل الروايات التي ذكرناها نرى أن معاوية بن أي سفيان هو صحابي جليل عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم، قام بالخلافة على حقها، وكان عابداً مخلصاً، وعالماً وفقيهاً، وامتاز بحكمة عالية ورأي سديد، وأدى الأمانة بما يستطيع، فقبله الناس واستحسنوا إمرته وحياته، ويبدو أن ذلك كان يغيظ خصومه من الشيعة الذين حقدوا على الدولة الأموية.

الحسن البصري ينصف معاوية رضي الله عنهما:

لقد وردت في كتب التاريخ بعض الروايات التي تنسب للحسن البصري رحمه الله، يتعرض فيها للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمهما الله تعالى، وتحمل سباً وشتماً على معاوية وابنه يزيد ويعزي المؤرخون[2] هذه الروايات للشيعة، في حين أن بعض الروايات وردت عن الحسن تعضد موقف الحسن تجاه معاوية بن أبي سفيان وتبين فضله، ويتم توضيح ذلك من خلال ما هو آت:

فأول تلك المواقف أن الحسن لم ينكر على معاوية البيعة والحكم ولم يشكك فيها بل استحسن ذلك، حيث أن الحسن البصري أورد أن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما، وقال أن الحسن بن علي خلع نفسه منها وسلمها معاوية برض واطمئنان بعد خطبة خطبها في الناس لأن الحسن كان يميل إلى الصلح، وأكد الحسن البصري مبايعة الجيشين لمعاوية بن أبي سفيان عن رضى دون إكراه، ولهذا سمي عامهم هذا عام الجماعة[3].

---

(1) - الخطيب: حاشية كتاب العواصم من القواصم، ص95.

(2) - مثل البلاذري في كتابيه فتوح البلدان وأنساب الأشراف، والمسعودي في كتابه مروج الذهب وغيرهم.

(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 6، ص 246.

من المؤكد أن عالم نقل هذه الصورة لإنتقال الحكم بين خصمين متقاتلين، بعد أن أزهقت أرواح كثير من المسلمين، ولم يتهم أحداً منهم بشيء يتعرض فيه لأشخاصهما، يؤكد على رضاه مما حدث وقبوله بخلافة معاوية، لذلك نقل صورة مشرقة لكيفية انتقال الحكم من الحسن بن علي لمعاوية تدلل على معاني الإخاء والمحبة والترابط الإسلامي والتربية الإسلامية الصحيحة التي تحلا بها الخليفتين وجيشيهما، وبين أنهما بعيدان عن حب الدنيا ولم تكن في نفوسهم حباً للجاه أو السلطة، ولو كان يوجد شيء من ذلك لبينه الحسن البصري رضي الله عنه.

وما يؤكد على فضل معاوية عند الحسن البصري هو سؤال النظر له قائلاً: "أبو بكر أفضل أم علي، فقال الحسن سبحان الله ولا سواء سبقت لعلي سوابق يشركه فيها أبو بكر وأحدث على حوادث لم يشركه فيها أبو بكر أبو بكر أفضل، قال فعمر أفضل أم على، فقال مثل قوله في أبي بكر ثم قال عمر أفضل، ثم قال عثمان أفضل أم علي، فقال مثل قوله الأول ثم قال عثمان أفضل، قال فعلي أفضل أم معاوية فقال سبحان الله ولا سواء سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية وأحدث علي أحداثا شركه فيها معاوية على أفضل من معاوية"[1].

المقارنة والمفاضلة من الحسن البصري لعلي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين تبين أن الحسن البصري لو أراد أن يطعن في معاوية لطعن فيه عند سؤال النظر له، لكن الحسن يؤكد في هذه الرواية فضل معاوية، لأن المفاضلة دائما ما تكون بين شيئين الفرق بينهما دقيق لا يميزه إلا خبير، وبناءً على ذلك يكون مفهوم سياق الكلام أن معاوية رضي الله عنه إن لم يكن هو أفضل رجل بعد الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين فهو من خير الناس يومئذ.

ويبدوا أن معاوية رضي الله عنه رأى في الحسن البصري الكفاءة والقدرة على توليته بعض المناصب في الدولة، لذلك جعله كاتب الربيع بن زياد الحارثي[2] والي خرسان من جهة عبد الله بن عامر[1][2].

---

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 130؛ اللالكائي: اعتقاد أهل السنة، ج 8، ص 1371؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص 142.

(2) - هو الربيع بن زياد عامل معاوية على خراسان، وذاك أن عثمان بن عفان رضي الله عنه في السنة التاسعة والعشرين عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن العاص عن فارس وولى البصرة وفارس كلها عبد الله بن عامر بن كريز فانفذ عبد الله بن عامر في أول سنة ثلاثين الربيع بن زياد إلى سجستان وولاه عليها ففتح سجستان على يديه قد ذكرنا تلك القصة بتمامها في فضائل سجستان. (ابن حبان: الثقات، ج،4 ص225).

ولقد كان الحسن من الذين يطيعون أمراء بني أمية ويتبع تعليماتهم، وذلك إمتثالاً لما روي أن علي بن أبي طالب لما وجه رسله إلى معاوية بن أبي سفيان وقال صلوا في رحالكم واجعلوا صلاتكم معهم سبحة، فإن الله لا يتقبل إلا من المتقين، فكان الحسن ممن اقتدى بذلك فكان الحسن البصري وسعيد بن جبير[3] يصليان الجمعة مع والي بني أمية من باب ظهور الطاعة لهم والتأييد[4].

وكلام الحسن البصري فيما تقدم لا يظهر فيه سوى الرضى عن الدولة الأموية وعن معاوية كما رضي عن الحسن بن علي، ولو أن الحسن البصري لم يقبل بهذه البيعة لقال كلام يدلل على كرهه ذلك، ولو أن معاوية كان فيه من المثالب كما تقول بعض الروايات على لسان الحسن لظهرت في هذه الرواية، كونها تشكل أهم مفصل في حياة معاوية بن أبي سفيان، لأنه أخذ الخلافة من الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين بعد عراك دام طويلاً وقتل فيه كثير من المسلمين.

ومن الأشياء التي تبين رضى الحسن البصري بمعاوية رضي الله عنهما أن الحسن رضي الله عنه كان يأخذ برأي معاوية في كثير من المسائل والآراء الفقهية مثل أخذه برأي معاوية في الحكم الشرعي لسجود السهو[5]، إذ لو الحسن لم يكن راضي عن معاوية بن أبي سفيان لما نقل عنه بعض الآراء الفقهية بل أخذ بها.

---

(1) - عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف عامل عثمان بن عفان على البصرة يروي عن جماعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه الناس مات بمكة ودفن. (ابن حبان: الثقات، ج5، ص7).

(2) - العيني: مغاني الأخيار، ج 2، ص 205؛ البغدادي: المحبر، ص 378.

(3) - هو أبو عبد الله وقيل أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمة كوفي أحد أعلام التابعين وكان أسود أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. (الذهبي: وفيات الأعيان، ج2، ص371).

(4) - الربيع: الجامع الصحيح، ج 1، ص 299.

(5) - ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 10، ص 204.

ما ورد في طعن الحسن البصري في معاوية رضي الله عنهما:

لقد تواترت الروايات في بعض المصادر التاريخية والتي يظهر فيها طعن الحسن البصري رضي الله عنه في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان منها:

قول أبو مخنف[1] عن الصقعب بن زهير[2] عن الحسن البصري قال: "أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً"[3].

رواية الطبري هذه رواها أبو مخنف، وأبو مخنف هذا هو لوط بن يحيى الأزدي الكوفي، قال عنه الذهبي وابن حجر: أخباري تالف لا يوثق به[4]، كما تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه الدارقطني[5]: ضعيف، وقال ابن معين[6]: ليس بثقة، وقال مرة[1] ليس بشيء، وقال ابن عدي[2]

---

(1) - لوط بن يحيى أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطني ضعيف وقال ابن معين ليس بثقة وقال مرة ليس بشيء وقال ابن عدي شيعي محترق صاحب أخبارهم قلت روى عن الصعق بن زهير وجابر الجعفي ومجالد روى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء مات قبل السبعين ومائة. (الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج5، ص508).

(2) - الصقعب بن زهير الأزدي بصرى يروى عن زيد بن أسلم وعطاء بن يسار عن بن عمر في الزجر عن ثياب الديباج روى عنه جرير بن حازم وحماد بن زيد وهو أخو العلاء بن زهير الأزدي. (ابن حبان: الثقات، ج6، ص479).

(3) - الطبري،: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 232؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 243؛ البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج 6، ص 51.

(4) - لسان الميزان، ج 4، ص 492؛ الميزان الاعتدال، ج 3، ص 319.

(5) - الدارقطني الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان أبو الحسن علي بن عمر ابن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الهشير صاحب السنن والعلل والأفراد وغير ذلك ولد سنة ست وثلاثمائة وسمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وابن دريد وخلائق ببغداد والبصرة والكوفة وواسط ومصر والشام حدث عنه الحاكم وأبو حامد الإسفرايني وعبد الغني والبرقاني وأبو نعيم والقاضي أبو الطيب وخلائق قال الحاكم أوحد عصره في الفهم والحفظ والورع إمام في القراء والمحدثين لم يخلف عن أديم الأرض مثله. (السيوطي: طبقات الحفاظ ،ج1، ص393)

(6) - قيل أصل ابن معين من الأنبار ونشا ببغداد، وهو انس الجماعة الكبار الذين هم علي بن المديني وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو خيثمة فكانوا يتأدبون معه ويعترفون له، وكان له هيبة

شيعي محترق[3]، وبعض المصادر تروي هذه الرواية بدون سند، وعليه فهي لا ترقى لأن يحتج بها.

ومر قبل ذلك أن الحسن بن علي رضي الله عنه قد تنازل لمعاوية بالخلافة طواعية وعن طيب نفس كما أسلفنا[4]، وهذا فيه رد كافي لثبات كدر الرواية لأنه لا يعقل أن يكون للحسن رأيين في معاوية بن أبي سفيان لأن في ذلك تناقض كبير، وهذا محال على علماء أجلاء أن يكون لديهم أكثر من رأي لأن ذلك يدلل على ضعف العلماء وهذا باطل، ثم إن الحديث يحوى ألفاظ بذيئة يترفع الحسن رحمه الله عن قولها مثل وصفه ليزيد بالسكير وغيره، وكذلك مضمون الرواية يتناقض مع منهج الحسن البصري وآراؤه في الروايات التي ذكرت سابقاً، والتي يتحدث فيها الحسن عن فضل معاوية رضي الله عنهما.

ثم إن الحسن رحمه الله في رواية أخرى لعن من يلعن معاوية رضي الله عنه فعن أبي الأشهب قال قيل للحسن يا أبا سعيد إن ها هنا قوماً يشتمون أو يلعنون معاوية وابن الزبير فقال: "على أولئك الذين يلعنون لعنة الله"[5]، بل تعامل بشدة مع من أساء لمعاوية أو أهل بيته فعن قتادة قلت: يا أبا سعيد إنا ناساً يشهدون على معاوية وذويه أنهم في النار فقال: "لعنهم الله وما يدريهم أنهم في النار"[6].

وجلالة يركب البغلة ويتجمل في لباسه رحمه الله تعالى، ذكر ابن المبارك وابن مهدي ويحيى بن آدم فصار علم هؤلاء جميعهم إلى يحيى بن معين. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص78).

(1) - هو مرة بن شراحيل الهمداني من عباد أهل الكوفة وهو الذي يقال له مرة الطيب إنما سمى طيبا لكثرة عبادته يروى عن بن مسعود روى عنه أبو إسحاق السبيعي وعمرو بن مرة مات سنة ست وسبعين وكان يصلى كل يوم ستمائة ركعة وكان مسجده مثل مبرك البعير كنيته أبو إسماعيل. (ابن حبان: الثقات، ج5، ص446).

(2) - ابن عدي الإمام الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي بن محمد ابن مبارك الجرجاني ويعرف أيضا بابن القطان صاحب الكامل في الجرح والتعديل أحد الأعلام ولد سنة سبع وسبعين ومائتين وسمع سنة تسعين ومائتين. (السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص380).

(3) - الذهبي: الميزان الاعتدال، ج 3، ص 319.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 6، ص 246.

(5) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص 206.

(6) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص 206.

وهذا الموقف في الصحابة يوافق موقف العلماء المعتبرين من علماء الأمة سالفها وحاضرها في حكم سب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[1].

والبعض يتسائل أنه إذا ما كانت هذه الروايات مكذوبة فلماذا نقلها المؤرخون خاصة الثقات منهم وأصحاب النهج والعقيدة السليمة مثل الطبري، فالرد عليهم بما قاله الطبري في مقدمة تاريخه قال: "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه، وإنا إنما أدينا ما أدي إلينا"[2].

وعليه يرشدنا كلام الطبري أن لا نسلم بصحة ما نقله لنا، وإنما علينا نحن الفحص والتأكد من الروايات التي أوردها في كتابه، وإذا كان هذا في كتاب الطبري الذي عرف بصدقه وبثقته وعدالته، فكيف بمن كتب التاريخ ولديه ميول شيعية واضحة.

(1) - ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج 3، ص 1110.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص 8.

المبحث الثاني: مواقف الحسن البصري من خلافة يزيد بن معاوية وولاية العهد.

لقد كثر اللغط والجدل حول يزيد بن معاوية، ولقد أُفتريَ عليه كثيراً، ولقد الصقوا إليه بعض الصفات التي تسيء له ولأبيه، من باب الطعن فيه وفي خلافته، وذلك لما وجد من حقد في صدور من حقد عليه لاتهامه بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما[1]، ولإيضاح ذلك لا بد من إيراد بعض الروايات التي تجلي الأفهام وتبين الحقيقة:

لكن السؤال ما هو السر وراء كثرة الروايات التاريخية المتناقضة في التاريخ الاسلامي خاصة في الفترة الأموية؟، الأمر الذي زاد من صعوبة وتعقيد الإشكال لفهم التاريخ على حقيقته، فإذا ما سمعت أن ابن حجر قال: "صنف جماعة من القدماء تصانيف فيها الغث والسمين، والصحيح والسقيم"[2]، تعلم أن تاريخ المسلمين قد أصابه التزييف والانحراف، لكثرة أصحاب الهوى والمصالح والنزعات الطائفية.

ومن الأسباب الرئيسة التي أوجدت الحاقدين على يزيد هو موقف الحسين بن علي من بيعة يزيد بن معاوية حيث وقف موقف المعارض لها، وقد شاركه في هذه المعارضة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، غير أنهما لم يبديا أسباباً واضحة لممانعتهما للبيعة، ولم يأتيا بأمور واضحة تطعن في تأهله للخلافة، فيبقى السبب الرئيس الذين أبدياه هو إرادة الشورى، في حين أن ابن عمر وضح السبب، وهو أن هذه الطريقة في أخذ البيعة لا تشابه طريقة بيعة الخلفاء الراشدين[3].

وإن تلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين بن علي رضي الله عنه، كانت مبنية كذلك على أنه يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره، وكان يرى أن الخلافة صائرة إليه بعد وفاة معاوية، وكان مؤدى هذا الشعور تلك المكانة التي يتبوأها الحسين في قلوب المسلمين، ثم اطمئنانه بالقاعدة العريضة من المؤيدين له في الكوفة وغيرها، لذلك ليس من الغريب أن يقف الحسين في وجه بيعة يزيد ويرفضها رفضاً شديداً وبكل قوة[4].

---

(1) - ابن هبة الله: شرح نهج البلاغة ج 2، ص 1؛ الشيباني: الكامل في التاريخ؛ ج 3؛ ص 337.

(2) - ابن حجر: الإصابة، ج 2، ص 81.

(3) - أبي زرعة: تاريخ أبي زرعة، ج 1، ص 229؛ ابن خياط: التاريخ، ص 214.

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 291.

وتمثل معارضة الحسين بن علي ليزيد بن معاوية نقطة تحول خطيرة في تاريخ المسلمين، وقد جرّت هذه الحادثة من التبعات والانقسامات الشيء الكثير، وكان خطر هذه الحادثة لا يقتصر على تأثيرها المباشر على المجتمع المسلم في ذلك الوقت فقط، بل يتعداه إلى أبعد من ذلك حتى يومنا هذا، حيث يمثل نقطة خطيرة لانحراف طائفة ترى محبته وموالاته فقط، وتكفير الأمة بسببه، ومن ثم تتخذ من هذه الحادثة مادة لتأجيج المشاعر ضد أهل السنة بأجمعهم، وكأنهم هم السبب الحقيقي لمأساته رضوان الله عليه[1].

واصرار الحسين رضي الله عنه للخروج ضد يزيد رغم نصح كثير من الصحابة له ليقنعوه بالرجوع عن ذلك، فقد كانت فلسفة كبار رجال الأمة في ذلك الوقت الذين بايعوا يزيد في هذه القضية الهامّة، فقناعتهم أنهم لم يبايعوا يزيد لأنّهم يرونه أفضل من غيره من الصّحابة والتّابعين، ولكنهم فعلوا ذلك درئاً لمفسدة التّفرق والاختلاف بين المسلمين، ودليل ذلك أن حميد بن عبد الرحمن[2] قال: "دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم، حين استخلف يزيد بن معاوية، فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه منها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا نعم، قال: وأنا أقول ذلك، ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إليَّ من أن تفترق، أرأيتم باباً لو دخلت فيه أمة محمد وسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟ قلنا: لا، قال: أرأيتم لو أن أمّة محمد قال كل رجل منهم: لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم، قال: فذلك ما أقول لكم"[3].

ومن الملاحظ إجماع كل من نصح الحسين، حتى من لم ير بأساً برفضه البيعة، على أن لا يخرج للعراق ولا يثق في أهل الكوفة، فقد كتب إليه المسور بن مخرمة[4] رضي الله عنه بأن لا

---

(1) - مقتل الحسين رضي الله عنه، دراسة تحليلية، ص 1.

(2) - حميد بن عبد الرحمن الحميري بصري قال الكلاباذي، روى عنه محمد بن سيرين وأهل البصرة، قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن بن سيرين قال كان حميد بن عبد الرحمن الحميري أفقه أهل البصرة قبل أن يموت بعشر سنين. (الباجي: التعديل والتجريح، ج2، ص504)

(3) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 147؛ ابن خياط: تاريخ خليفة، ص 164.

(4) - المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن أخت عبد الرحمن بن عوف كنيته أبو عبد الرحمن كان مولده بمكة لسنتين بعد الهجرة وقدم به المدينة في النصف من ذي الحجة سنة ثمان عام الفتح وهو بن ست سنين أصابه حجر المنجنيق بمكة وهو يصلى في الحجر فمكث ومات سنة أربع وسبعين وقد قيل سنة اثنتين وسبعين وهو بن سبعين سنة وقد قيل أقل من هذا. (ابن حبان: الثقات، ج3، ص394).

يغتر بكتب أهل العراق، ونصحه: "بأن لا يبرح الحرم فإن كانت لهم حاجة فسيضربون إليه آباط الإبل حتى يوافوه فيخرج في قوة وعدة"[1].

ومما يلفت الانتباه زيادة على إجماع الناصحين للحسين على خيانة أهل الكوفة هو وجوب عدم الثقة بوعودهم، كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين كما يبدو ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له، وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من العلماء بالأوضاع العامة في الأمصار، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية، عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة المحن ودوامها[2]، كما أن الفرزدق[3] نصح الحسين مبيناً لطبيعة أهل الكوفة والعراق فقال: "أنت أحب النّاس إلى النّاس، والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أمية"، وفي رواية "قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية"[4]، وفي خبر آخر قال، قلت له: يخذلونك، لا تذهب إليهم فلم يطعني[5].

ومما استوقف الباحث بعد قراءة هذه الروايات السؤال التالي، ما سر الجرأة التي تمثلت في الحسين رضي الله عنه رغم كثرة الناصحين له من الصحابة والتابعين بعدم الخروج على الخليفة ومبايعة يزيد، وعدم خروجه للعراق للقتال مع من وعدوه الوقوف إلى جانبه لتحقيق مبتغاة إزاء يزيد؟ ويبدوا أن ذلك يعود لأسباب منها، أن الله تبارك وتعالى قد أراد ذلك وقضاء الله وقدره نافذ على خلقه، وأن الحسين رضي الله عنه لربما وعى تماماً حقيقة ما وراء رفضه للبيعة، والتفاف الناس حوله ودعوتهم له لمبايعته بدلاً من يزيد، فعلم أن يزيد لن يتركه وشأنه لأن ذلك سيكون إضعافاً للدولة وإعادة زمن الفتن والإقتتال بين المسلمين كما حدث في الجمل وصفين، ولربما أن الحسين شعر بأنه لو لم يلبي دعوة أهل العراق له سيكون ذلك تقصيراً وخذلاناً منه للإسلام.

---

(1) - ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق، ج 7، ص 140.

(2) - أثر العلم في الحياة السياسية صـ481.

(3) - هو الفرزدق بن جواس يروى عن عكرمة روى عنه أهل مرو حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى قال ثنا زياد بن أيوب ثنا أبو تميلة عن صحار بن عامر بن عوف قال ثنا الفرزدق بن جواس قال قدم علينا عكرمة ونحن مع شهر بن حوشب بجرجان فقلنا لشهر ألا نأتيه فقال ائتوه فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر وإن مولى هذا كان حبر هذه الأمة. (ابن حبان: الثقات، ج7 ، ص325).

(4) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 3، ص 35. الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج 1، ص 330؛ ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق، ج 7، ص 144.

(5) - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 14، ص 214.

فضل يزيد بن معاوية:

لقد وردت العديد من الروايات التي تشهد بفضل الخليفة يزيد بن معاوية رضي الله عنه، سيقتصر على ذكر بعضاً منها، فيروى أن محمد بن علي بن أبي طالب –المعروف بابن الحنفية– دخل يوماً على يزيد بن معاوية بدمشق ليودعه بعد أن قضى عنده فترة من الوقت، فقال له يزيد، وكان له مكرماً: "يا أبا القاسم، إن كنت رأيت مني خُلُقاً تنكره نَزَعت عنه، وأتيت الذي تُشير به علي؟ فقال: والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلاّ أن أنهاك عنه، وأخبرك بالحق لله فيه، لما أخذ الله على أهل العلم عن أن يبينوه للناس ولا يكتموه، وما رأيت منك إلاّ خيراً"[1].

كما أنه –أي ابن الحنفية– شهد له بحسن السيرة والسلوك حينما أراد بعض أهل المدينة خلعه والخروج مع الحسين ضده، فيروى أن عبد الله بن مطيع –كان داعية لابن الزبير– مشى من المدينة هو وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية فأرادوا منه خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: "إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب، فقال محمد ما رأيت منه ما تذكرون، قد حضرته وأقمت عنده، فرأيته مواظباً على الصلاة، متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة، قالوا: ذلك كان منه تصنعاً لك، قال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ ثم أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر، فلئن كان أطلعكم على ذلك فإنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا، قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، ولست من أمركم في شيء"[2].

هذه الروايات تبين فضل ييزيد، ومما يزيد من أهمية هذه الروايات، أن الذي أورد الرواية الأولى هو البلاذري المعروف بميوله الشيعية، فالرد على الطاعنين في يزيد من كتب الخصوم أبلغ، ثم أن الذي يشهد بصلاح يزيد هو ابن الحنفية أخ الحسين رحمهما الله تعالى، ولو أن يزيد كان فيه من الصفات كما أدعى من ناصبوه العداء لكان أول من يصرح بذلك هو ابن الحنفية لأن يزيد متهم بقتل أخيه وبعض أفراد أسرته، لكن الله تعالى انطق الحق على لسانه ليسكت الألسنة المتطاولة على قيادة الأمة الإسلامية في حينه.

---

(1) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 5، ص 17.

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 233؛ الشيباني: مواقف المعارضة من خلافة يزيد بن معاوية، ص384.

ومن البراهين التي تؤكد فضل يزيد رضي الله عنه هو ما أخرج البخاري عن أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، فقالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم قال: لا"[1]، وقد ثبت أن يزيد بن معاوية شارك في ذاك الجيش وقاتل معهم[2]، وهذه المنقبة ليزيد بن معاوية رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفيه.

ونجد أيضاً في كلمات معاوية نفسه ما يدل على أن دافعه في اتخاذ القرار بترشيح يزيد للخلافة، هو النفع للصالح العام وليس الخاص، فقد ورد على لسانه قوله: "اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله، فبلغه ما أملت وأعنه، وإن كانت إنما حملني حبّ الوالد لولده، وأنه ليس لما صنعت به أهلاً، فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك"[3].

ولعل معاوية رضي الله عنه جعل البيعة لابنه يزيد، لأنه يخشى من إعادة الفتنة والقتال بين المسلمين من جديد، خاصة في تلك الفترة الانتقالية الصعبة التي عاشتها الأمة الاسلامية من تشرذم وضعف وتفكك بفعل الموتورين والمغرضين الذين يتربصوا للفتك بالأمة لتحقيق مكاسب دنيوية لصالحهم.

وتعقياً على ما فات، فإن كان مقياس الأهلية لتفضيل يزيد أن يبلغ مبلغ أبي بكر وعمر في مجموع سجاياهما، فهذا ما لم يبلغه في تاريخ الإسلام أحد بعدهما، ولا عمر بن عبد العزيز، وإن طمعنا بالمستحيل وقدرنا إمكان ظهور أبي بكر آخر وعمر آخر، فلن تتاح له بيئة كالبيئة التي أتاحها الله لأبي بكر وعمر، وإن كان مقياس الأهلية، الاستقامة في السيرة، والقيام بحرمة الشريعة، والعمل بأحكامها، والعدل في الناس، والنظر في مصالحهم، والجهاد في عدوهم، وتوسيع الآفاق لدعوتهم، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم، فإن يزيد يوم تُمحّص أخباره، ويقف الناس

(1) - البخاري: الصحيح، ج 3، ص 1069.

(2) - المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 3، ص 84.

(3) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 4، ص 169؛ ابن حجر: الصواعق المحرقة، ج 2، ص 641؛ ابن عبد الملك: سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 162.

على حقيقة حاله كما كان في حياته، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم، وأجزل الثناء عليهم[1].

موقف الحسن من بيعة يزيد:

لقد تباين موقف الحسن البصري من يزيد بن معاوية رضي الله عنهما، فروايات تفيد بنقمته على يزيد، وروايات تفيد بإنصاف يزيد بن معاوية، وبين روايات النقمة وروايات الانصاف إفتراء شيعي وانصاف سني، ولمعرفة ذلك لابد أن نتلمس هذا من خلال الروايات الوارد، فقد نسبت رواية للحسن البصري يقول فيها: "لقد أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، وقال أين القراء فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والآخر المغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية إذا قرأت كتابي فأقبل معزولاً فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك، قال، أمر كنت أوطئه وأهيئه، قال: وما هو، قال، البيعة ليزيد من بعدك قال أو فعلت قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك"[2].

فإن صحت هذه الرواية فهي لا تطعن في عمر بن العاص وإنما تبين أن ما أشار به ابن العاص كان السبب الأساس في ظهور فرقة الخوارج الذين تعاني منهم الأمة الاسلامية، وكأن مفهوم الرواية يأتي باللائمة على ابن العاص بأن رأيه كان من باب الإصلاح لكنه أستغل من أطراف أججت الفتنة، ثم بطريق التعريض أعاب على الخوارج طريقتهم في التحكيم حيث أنهم بعد أن أجبروا علي بن أبي طالب على القبول بالتحكيم رفضوا النتائج ومن ثم كفّروا علي وتركوه، أما ما يتعلق بخلافة يزيد فلم يطعن في شخصه وشخص أبيه، وإنما انتقد معاوية في سياسية تغيير الحكم من شوري إلى وراثي، لأنه أصبح سمة الحكم بعد ذلك، وهذا أمر يقبله العقل.

ولربما يظهر موقف الحسن البصري رحمه الله تجاه يزيد من سياق ما رواه في قضية مقتل الحسين رحمه الله، حيث قال البصرى أصيب مع الحسين ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه، وجاء بعض الفجرة برأسه إلى ابن زياد وهو يقول: أو قر ركابي فضة وذهباً أني قتلت الملك المحجبا، قتلت خير الناس أماً وأباً، فغضب لذلك وقال إذا علمت

(1) - ابن العربي: العواصم من القواصم، ص221.

(2) - بن عبد الملك: سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 206.

أنه كذلك فلم قتلته، والله لألحقنك به، وضرب عنقه، وقيل إن يزيد هو الذي قتل القائل، ولما تم قتله حمل رأسه وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ومن أمر به أو رضيه، قيل قال لهم عند ذلك بعض الحاضرين ويلكم إن لم تكونا أتقياء في دينكم فكونوا أحراراً في دنياكم ومن الروايات ما يدلل على أن الرأس المكرم دفن بالبقيع إلى جنب أمه فاطمة وذلك أن يزيد بعث به إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد الأشدق فكفنه[1].

الصورة التي أظهرها الحسن البصري في مقتل الحسين رحمه الله تظهر عدم اتهام ابن زياد[2] والي الكوفة بقتله فضلاً عن أن يتهم بمقتله يزيد رضي الله عنه، وأنه أظهر خلافاً فيمن قتل قاتل الحسين أهو ابن زياد أم يزيد وبين أن القصاص والثأر من القاتل حصل فوراً دون إبطاء أو تأخير، وهذا فيه إعفاء واضح من الحسن البصري ليزيد من أن يكون قد تلطخت يداه بمقتل الحسين، ثم ذكر أن يزيد بعد أن قتل قاتل الحسين أحضر رأسه لأبنائه ثم دعا على من قتل الحسين أو أمر بقتله أو رضي به، ثم إظهار التأدب مع رأس الحسين وتكفينه وإرساله ليوارى الثرى.

ثم نرى إنصاف الحسن البصري ليزيد فلم يصفه بأوصاف تدلل على مشاركته في القتل أو أن يكون قد أمر بقتله أو أن يكون رضي بذلك، ولو أن الحسن علم بتورط يزيد بقتل الحسين لذكر الحسن ذلك.

أما ما قاله أبي مخنف من أن الحسن البصري "مر على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح، وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون يدعونا يزيد إلى سنة العمرين، فقال الحسن إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بني مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم، فلما غضب غضبة نصب قصباً، ثم وضع عليها خرقاً ثم قال إني قد خالفتهم فخالفوهم، قال هؤلاء نعم وقال إني أدعوكم إلى سنة العمرين، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه، فقال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام، فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال قد أباحوهم

(1) - ابن العماد: شذرات الذهب، ج 1، ص 67.
(2) - الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص 80.

لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار"[1].

وهذه الرواية مدارها أبو مخنف، وقلنا فيما تقدم إنه شيعي كذاب لا يؤخذ منه، ورغم ذلك فإن في الرواية ما يؤكد الافتراء على الحسن رحمه الله، لأن الحسن البصري ينهى عن السباب والشتم للصحابة، ثم أن الرواية تحمل تهجماً وقدحاً على أهل الشام وهو ما يتنافى مع صفات الحسن البصري الذي تميز بحرصه على أن يحاسب نفسه على كلمة تخرج من فمه وألا يقول إلا خيراً، فكيف يقول في مسلمي الشام ما تزعمه الرواية.

(1) – الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص 80.

المبحث الثالث: مواقف الحسن السياسية في زمن حكم الحجاج للعراق.

نبذة عن الحجاج:

إذا أردت الحكم على إنسان لا بد أن تتعرف على أهم الملامح العامة المتعلقة به، حتى تستطيع أن تشكل فكرة واضحه عنه ليسهل الحكم عليه، لذلك سنقدم بشيء من الايجاز صورة عن حياة الحجاج رحمة الله عليه.

ولد الحجاج بن يوسف الثقفي في الطائف عام الجماعة (41 هـ/661م)، ونشأ بين أسرة كريمة من بيوت ثقيف، وكان أبوه رجلاً تقيّاً شريفاً، وقضى معظم حياته في الطائف، يعلم أبناءها القرآن الكريم دون أن يتخذ ذلك حرفة أو يأخذ عليه أجراً، وأمه هي الفارعة بنت همام بن الصحابي عروة بن مسعود الثقفي[1]، وحفظ الحجاج القرآن، ثم تردد على حلقات أئمة العلم من الصحابة والتابعين، مثل: عبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، ثم اشتغل بالتعليم، مثل أبيه، وقد كان من أفصح الناس، حتى قال عنه النحوي أبو عمرو بن العلاء[2]: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج"[3].

بعد أن أمضى الحجاج زهاء عامين واليًا على الحجاز نقله الخليفة عبد الملك بن مروان والياً على العراق، ومكث والياً في زمنه قريب من إحدى عشر سنة، وأيام الوليد تسع سنين[4]، وكانت الأمور في العراق بالغة الفوضى والاضطراب، فلبى الحجاج أمر الخليفة وأسرع لتسلم زمام الأمور في العراق في سنة (75هـ/694م) ونزل الكوفة[5]، وحشد الناس للجهاد ضد الخوارج، ثم حدثت حركة تمرد في صفوف الجيش ولكن الحجاج تمكن من إخمادها، وعفا عن المتمردين إلا بعض قادتهم، ثم تطلع الحجاج بعد أن قطع دابر الفتنة، وأحل الأمن والسلام إلى

---

(1) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 498.

(2) - أبو عمرو بن العلاء اسمه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعى بن مازن وهم اخوة أربعة أبو عمرو وأبو سفيان ومعاذ وعمر فأكبرهم سنا أبو عمرو ثم أبو سفيان ثم معاذ ثم عمر وكان أبو عمرو من أهل الفضل ممن عنى بالأدب والقراءة حتى صار إماما يرجع اليه فيها ويقتدى باختياره منها توفى سنة ست وأربعين ومائة بالبصرة. (ابن حبان: مشاهير الأمصار، ج1، ص153).

(3) - ابن كثير: البداية النهاية، ج 9، ص 117.

(4) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 12، ص 192.

(5) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، 113.

استئناف حركة الفتوحات الإسلامية التي توقفت بسبب الفتن والثورات التي غلت يد الدولة[1]، وكان لشدته وصرامته فضل كبير في استقرار أمن البلاد في العراق[2].

ولقد كان للحجاج فضل كبير على الدولة الاسلامية، فقامت جيوشه بفتوحات عظيمة ونشرٍ للإسلام، ففتح ما وراء النهر وانتشر الإسلام لحتى الان في هذه المناطق وأصبح كثير من مدنها مراكز هامة للحضارة الإسلامية مثل بخارى[3] وسمرقند[4]، وأن سكان المناطق التي فتحها في بلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية ضمن الاتحاد السوفييتي والصين لا يزالون مسلمين حتى اليوم، ويعتزون بالإسلام ديناً[5]، كما فتح بلاد الهند، هذا فضلاً عن فتوحات باقي قادة الحجاج، وباقي ولاة بني أمية[6]، حتى قال ابن كثير أن تراجع الفتوحات الأموية صارت بعض وفاة الحجاج رحمه الله[7].

وما كانت الفتوحات الاسلامية تتقدم والإسلام ينتشر لولا حرص الحجاج وبثه هذا الفكر بين قيادة جيشه، وهذا الفكر والإنجاز لا ينم إلا عن صدق وإخلاص الحجاج فيما يقوم به من أجل رفعة الاسلام وانتشاره، ومن كان مخلصاً منجزاً لدين الله ناشراً له، فأنه لمن الإجحاف أن نقول عنه ما قيل.

إصلاحات الحجاج:

وفي الفترة التي قضاها الحجاج في ولايته على العراق قام بجهود إصلاحية عظيمة، ولم تشغله الفترة الأولى من ولايته عن القيام بها، وشملت هذه الإصلاحات النواحي الاجتماعية والصحية والإدارية وغيرها، مثل منعه بيع الخمور، وإنشاءه الجسور، وأنشأ صهاريج لتخزين مياه الأمطار، وحفره الآبار في المناطق المقطوعة، ومنع هجرة أهل الريف إلى المدن، ومن أعماله الكبيرة بناء مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، واهتمامه بالجيش، حيث كان الحجاج يختار ولاته

---

(1) - ابن خياط: تاريخ خليفة، ص 205؛ الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج 5، ص 172.

(2) - مصطفى: الدولة الأموية دولة الفتوحات، ص 48.

(3) - بخارى عاصمة ولاية بخارى وتعد خامس مدن أوزبكستان سكانا.

(4) - تقع مدينة سمرقند في آسيا الوسطى، في بلاد أوزبكستان، ومعنى الإسم قلعة الأرض، وقد وصفها. (رحلة إبن بطوطة).

(5) - أبو عبية، طه: موجز الفتوحات الاسلامية، ص 35.

(6) - غبن خياط: تاريخ خليفة، ج 6، ص 206؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 231؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص531؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج 4، ص 250.

(7) - ابن كثير: الطبقات الكبرى، ج 9، ص 116.

من ذوي القدرة والكفاءة، ويراقب أعمالهم، ويمنع تجاوزاتهم على الناس، وقد أسفرت سياسته الحازمة عن إقرار الأمن الداخلي، والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق[1].

ومن أهم إنجازات الحجاج هو تعريبه للدواوين، ما مكّن العرب للمرة الأولى من شغل الوظائف الإدارية في الدولة بعد أن كانت حكراً على الفرس، ونجح كذلك في إصدار الدراهم العربية وضبط معيارها، وقام بإصلاح حال الزراعة في العراق بحفر الأنهار والقنوات وإحياء الأرض الزراعية، واهتم بالفلاحين، وأقرضهم، ووفر لهم الحيوانات التي تقوم بمهمة الحرث، وذلك ليعينهم على الاستمرار في الزراعة[2].

ومن أجلِّ الأعمال التي قام بها الحجاج قيامه بتشكيل المصاحف، ونُسب إليه تجزئه القرآن، ووضع إشارات تدل على نصف القرآن وثلثه وربعه وخمسه، ورغّب في أن يعتمد الناس على قراءة واحدة، وأخذ الناس بقراءة عثمان بن عفان، وترك غيرها من القراءات، وكتب مصاحف عديدة موحدة وبعث بها إلى الأمصار[3].

فلماذا لا يثير منتقديه هذه الانجازات التي حققها الحجاج ليشعروا القارئ بأنهم على درجة من الانصاف، لأنهم لو ذكروا ذلك لقلنا ذكروا ما له وما عليه وبالتالي لربما نكون قد أصابنا كلامهم عنه وتأثرنا برأيهم، لكن عندما يظهروا صورة سوداوية مليئة بالدماء والقتل، فإن المتبصر يعقل أن ما قيل عنه مبالغ فيه من أجل تشويه صورته.

بعض مقولات الحجاج رحمه الله:

لكي تقترب أكثر من الحجاج رحمه الله لا بد من الوقوف على طبيعة فكره، والاطلاع على الفكر يكون من خلال الاستماع إلى حديثه أو قراءة بعض ما قاله، ولهذا نورد بعض مقولاته:

- لقد خطب الناس يوماً فقال: "رحم الله مَن جعل لنفسه خطاماً وزماماً، فقادها لخطامها إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله، فإني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه"[4].

(1) - دراسة عن الحجاج بن يوسف الثقفي،

(2) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 336؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 3، ص 238.

(3) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 336؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج 3، ص 238.

(4) - الآبي: نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 24؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 1، ص 268.

- ومن دعائه في خطبه: "اللهم أرني الغي غياً فأجتنبه، وأرني الهدي هدى فأتبعه، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالاً بعيداً، والله ما أحب أن أمضي من الدنيا بعمامتي هذه، ولما بقي أشبه بما مضى من الماء بالماء"[1].
- قال الحسن البصري: لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول: "إن امرؤا ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له، لحري أن تطول عليه حسرته يوم القيامة"[2].
- وعن المغيرة بن مسلم قال: سمعت أبي يقول: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول "إنه بيت الوحدة وبيت الغربة" حتى بكى وأبكى من حوله[3].
- قال الشعبي: سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه إليه أحد، سمعته يقول: "أما بعد، فإن الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة، فطول الأمل يقصر الأجل"[4].
- روى الأصمعي أن الحجاج مرض فأرجف الناس بموته، فخطبهم بعد إبلاله فقال: "إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم، قالوا: مات الحجاج، وإذا مات فمه؟ فهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟ والله ما يسرني ألا أموت وأن لي الدنيا وما فيها، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لأهون خلقه عليه، إبليس، قال الله له: "إِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ"[5] فأنظره إلى يوم الدين، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال: "هَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي"[6] فأعطاه الله ذلك إلا البقاء، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره، فقال: "توفَّني مُسْلِماً وألحقني بالصَّالِحِينَ"[7] فما عسى أن يكون أيها الرجل؟ وكلكم ذلك الرجل، كأني والله بكل حي منكم ميتاً، وبكل رطب يابساً، ثم نقل في ثياب أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولاً في ذراع

---

(1) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 283؛ الاندلسي: العقد الفريد، ج 4، ص 105؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 303.

(2) - الجاحظ: البيان والتبيين: ج 1، ص 309؛ الدنيوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 313.

(3) - الدمشقي: مسند المقلين من الأمراء والسلاطين، ج 1، ص 24؛ الهندي: كنز العمال، ج 15، ص 294.

(4) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 414.

(5) - سورة الحجر، الآية 73.

(6) - سورة ص، الآية 35.

(7) - سورة يوسف، الآية 101.

عرضاً، فأكلت الأرض لحمه، ومصت صديده، وانصرف الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول"[1].

نعتقد أن فصاحة الحجاج وما جرى على لسانه من بلاغة وحكمة، وقوله كلاماً في غاية الروعة في ذم الدنيا والتمسك بالآخرة، وحبه للقاء الله تعالى، هذا سمت العلماء المصلحين والقادة الذين أنعم الله عليهم الممازجة بين العلم والقيادة، فهو قائد صاحب علم وفصاحة، ولربما علمه هذا هو الذي مكنه من تقدير الأمور في اتخاذه منهج الصرامة والشدة مع المتمردين أصحاب الفتن، وبهذه الحكمة ثبت الله له الأمن وقضى على عوامل الفتنة.

موقف الحسن البصري من الحجاج رضي الله عنهما:

لاحظنا فيما سبق أن الحجاج كان عالماً حكيماً قائداً، صاحب لسان، أراد أن يقضي على الفتنة فاتخذ منهجاً واضحاً في ذلك، هو التعامل بشدة وحزم مع كل من يخرج على الخليفة أو يحاول أن يؤلب الناس عليه، ولم يكن ذلك إرهاباً للناس وإنما كي لا تعود الفتنة من جديد، خاصة أن الفتنة لم تهدئ بعد، وأن أساس الفتن القديمة والحديثة هي العراق التي تولاها، لهذا كان موقف الحسن البصري من الحجاج في منتهى الدقة والحرج، وكان الحسن رحمه الله يقف موقف الناصح الأمين، الذي لا يبخل بالنصيحة مهما كانت الظروف والأحوال، ولكن بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة[2].

ومن خلال اطلاعنا على بعض كتب التاريخ نراها قد ادعت أن الحسن كان يقف موقف المعارض من الحجاج، وأنه كان يذكره بسوء، وأوردوا قصصاً نسبوها للحسن مع الحجاج، ولربما أن هذا يكون افتراء على الحسن، لأن القصص التي أوردوها تدعوا إلى الفتن والقتال وإعلان الحرب على الحجاج[3]، وهذا مخالف لفكر الحسن ونظرته التي تحدثنا عنها سابقاً.

علماً بأن الحسن لو أراد الفتوى صراحة ضد الحجاج وغيره لشبت ثورة عارمة بالبصرة لا يعلم مصيرها إلا الله لما كان للحسن من رمزية، ولهذا كان يبين المَخرج من هذه المحنة التي أوجدها أو خلقها الظرف السياسي يوم ذاك، فكان يندد رحمه الله بنوازع النفوس، ويكشف عن الأعمال التي انحط إليها الناس، وكأنه يريد بذلك أن يوضح لهم أن العلة إنما هي في أنفسهم،

(1) - الدنيوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 415؛ بن أبو جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 5، ص 2080.

(2) - بيومي: الحسن البصري من عمالقة الفكر، ص 322.

(3) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 328.

وأن الله عز وجل ابتلاهم بسوء أعمالهم، وكأنه يشير بذلك إلى قول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"[1][2].

وهذا الكلام من الحسن وكأنه إن لم يبرر للحجاج فعاله فلا يعارضه في اجراءاته مع من كان يتبع هوى نفسه في الخروج ضد الدولة ليحقق مطامع سلطوية له، وأنهم غير مبالين بأمن واستقرار البلاد التي عاشت أسوأ أيامها، خاصة إذا ما علمت أن الحجاج تولى العراق التي هي سبب أساس في نشوب فتنة مقتل الخليفة عثمان ومن ثم الخليفة علي رضي الله عنها، وأهل العراق كانوا أساس إشعال الفتنة في الجمل وصفين وما تلاها من فتن، وهم الذين حرضوا الحسين للخروج على يزيد ثم تركوه وتسببوا في مقتله.

وكان الحسن كثيراً ما ينصح الحجاج تارة عن طريق التصريح، وأخرى عن طريق التلميح، ووردت بعض الروايات التي تشير إلى تعريض الحسن بالحجاج، وكان يرافق هذا التعريض من الحسن اتهام الناس بأنهم هم أساس الشدة الحاصلة من الوالي، لأنهم بعدوا عن الله تبارك وتعالى ونسوا الآخرة، وانشغلوا في الدنيا وقيام البعض بالفتن، لذلك قال لهم: "اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً"[3].

وقد يتساءل البعض لماذا لم يبطش الحجاج بالحسن؟ لأن الحسن يرفض الثورة التي بمعنى الانقلاب سواءً كانت ضد الحجاج أو غيره لأنه كان يخشى الفتن، هذا فضلاً عن الدماء التي سالت من المسلمين ايام الفتن على مرأى ومسمع منه فهو يخشى تكرار مثل هذه الأمور، التي لا ضابط لها، ولا يحب أن يكون سبباً في حدوثها[4].

وفي الوقت نفسه كان يؤدي واجب الدعوة إلى الله تعالى، ويعمل على تربية المجتمع ليخرج منه الحاكم الصالح، ويتجلى ذلك في استفتاء بعض الناس له في قتال الطاغية ويقصدون الحجاج قائلين له: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية؟ فقال الحسن: أرى ألا تقاتلوه، فإنها إما أن تكون عقوبته من الله فما أنتم برادي عقوبته[5]، ثم قال كلمته المشهورة: "يا ايها الناس، والله ما سلط الله عليكم الحجاج إلا عقوبة، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف، ولكن عليكم

---

(1) - سورة الرعد، الآية 11.

(2) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 54؛ الدولابي: الكنى والأسماء، ج 3، ص 1035.

(3) - اين سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 113؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج 3، ص 147.

(4) - بيومي: الحسن البصري من عمالقة الفكر، ص 321.

(5) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 54. الدولابي: الكنى والأسماء، ج 3، ص 1035.

بالسكينة والتضرع ..."[1]، ومن ناحية الحجاج كان يعتقد أنه لو بطش بالحسن لزاد ذلك من سخط المجتمع عليه، ومن يدري لعل في ذلك ضياع حكمه.

ثم لو أن الحجاج سفاكاً للدماء قد سفك دماءً بدون ما يوجب القتل شرعاً، لرأيناه قتل عبد الله بن ظبيان حيث قال: "كنت يوماً واقفاً على باب الحجاج، فإذا به قد خرج وحده، وليس بالباب أحد، فوقع في نفسي أن أقتله، فنظر إليّ وقال: هل لقيت يزيد بن أبي مسلم[2] -كاتب الحجاج- ؟ قلت: لا، قال: القه، فإني وليتك على الري معه، فطمعت وكففت عنه، وتوجهت إلى يزيد فلم أجد عنده شيئاً، ففهمت أن الحجاج قال لي ذلك ليشغلني عما أردته به[3].

فلو كان هدف الحجاج سفك الدماء كما يزعم خصومه، لقتل ابن ظبيان بعد عودة حراسه، لكن نعتقد أن أمور القتل عند الحجاج لها ضوابطها الشرعية التي تبررها.

وذكر أن رجلاً حلف بالطلاق أن الحجاج في النار، فسأل الحسن البصري فقال: "لا عليك يا ابن أخي، فإن لم يكن الحجاج في النار فما ينفعك أن تكون مع امرأتك في زنا"، وقال يزيد الرقاشي: "إني لأرجو للحجاج فقبل أن يكمل كلامه قال له الحسن إني لأرجو أن يخلف الله رجاءك"[4].

وهذا الدفاع من الحسن يعطي إنطباع أنه رحمه الله كان يعلم للحجاج فضله، ويَذُب عنه من تعرض له، وهذا واجب الرعية أن يقوموا بذلك تجاه أمرائهم، وألا يؤلبوا الناس عليهم.

كان الحسن رحمه الله يكره التطاول على الحجاج، فقد روى سليمان بن المغيرة[5] عن ثابت قال: "كنا قعوداً مع الحسن على سطحه، إذ صنع الحجاج ما صنع، قال سليمان: وكان أخرج المسلمين من البصرة، قال: فجاء سعيد بن أبي الحسن ونحن قعود مع الحسن فقال: نحن نُقِرُّ بهذا لنَضْفِنَ دون الحبس، قال: فردَّ عليه الحسن وكره ما قال"[6].

---

(1) - ابن الجوزي: الحسن البصري، ص 57.

(2) - يزيد بن مسلم المنقري من أهل البصرة يروى عن بن عمر روى عنه ابنه حماد بن يزيد. (ابن حبان: الثقات، ج5، ص545).

(3) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 468.

(4) - ابن الجوزي: المنتظم بي تاريخ الملوك والأمم: ج 7، ص 4.

(5) - هو سليمان بن المغيرة القيسي مولى قيس بن ثعلبة من أهل البصرة كنيته أبو سعيد يروى عن الحسن وثابت روى عنه بن المبارك وأهل العراق مات سنة خمس وستين ومائة. (ابن حبان، الثقات، ج 6، ص 390).

(6) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 9، 166.

وكرهه هذا ناتج عن أحد أمرين: الأول أن الحسن يعلم أن في نفوس جالسيه شيء ضد الحجاج، وأنه لو انتقد الحجاج أو أبدى موافقه أو أشعرهم برغبته للخروج ضد الحجاج لأصبحت بعدها فتنة عظيمة، خاصة أن الحسن يعلم مكانته في نفوس الناس كونه من أعلم أهل عصره، ثم الثاني: أن الحسن يعلم بأن فعل الحجاج مبرر لأنه يريد لجم الفتنة ووأدها في مهدها بعد ما أصاب الخلافة ما أصابها، لربما يكون هذا هو الذي جعل الحسن يكره من جلساءه تطاولهم على الحجاج.

وفي أكثر من رواية أنكر الحسن رحمه الله طعن الناس في نوايا الحجاج فمن ذلك أنه قال حينما سمع أحد جُلّاسه يسب الحجاج بعد وفاته، فأقبل غاضباً وقال: "يا ابن أخي فقد مضى الحجاج إلى ربه، وإنك حين تقدم على الله ستجد إن أحقر ذنبٍ ارتكبته في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنبٍ اجترحه الحجاج، ولكل منكما يومئذٍ شأن يغنيه، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم، كما سيقتص للحجاج ممن ظلموه فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد"[1].

ولقد كان الحجاج مكرهاً على ما يقوم به من أفعال تستوجب الشدة والغلظة لزجر الناس، لكن الحفاظ على وحدة الأمه هو ما ألزمه لفعله هذا، ونستشعر ذلك عندما كان ينظر إلى مدينة الغوطة بسوريا بلوعة وأطال النظر، فقال الغازي بن ربيعة يا أبا محمد أرأيت هذه الدماء الذي أصبت هل يحيك في نفسك منها شيء أو تتخوف لها عاقبة، قال فجمع يده فضرب بها صدري ثم قال: "يا غاز أرتبت في أمرك أو شككت في طاعتك، والله ما أود أن لي لبنان وسنير ذهباً مقطعاً أنفقهما في سبيل الله عز وجل، مكان ما أبلاني الله تعالى من الطاعة"[2].

فتألم الحجاج ولوعته هذه لأنه لا يرغب في القتل، لكن ما أجبره على ذلك أن تكون أمة محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الحال من الفتن والصراع فلزمه أن ينهي ذلك حفاظاً على مصلحة الدولة الاسلامية، ثم أن الحجاج يؤكد هذه الأفعال التي يقوم بها هي بمثابة بلاء من ابتلاءات الطاعة لله تبارك وتعالى، وكأنه يشير إلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين، في المسارعة للقضاء على الفتن، فأن تقتل واحد أو مجموعة من الموتورين قبل أن يتفشى خطرهم خير من أن تقتل الأمة بعضها بعضاً وتزهق فيها أرواح خلق كثير.

---

(1) - حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني، ج 2، ص 271، نقلاً عن زرقيل، عبد الله: الحجاج بن يوس التقفي في ميزان اهل السنة والجماعة، ص 9.

(2) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 12، ص 158.

وهذا ما كان يؤكده الحسن البصري رحمه الله تعالى في تثبيطه للناس ونهيهم عن الخروج على الولاة وعدم المشاركة في أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى ازهاق نفوس المسلمين، وهذا من أهم الأمور التي جعلته يقف مدافعاً أو ملهياً للناس عن أفعال الحجاج التي كان يقوم بها، فما قاله الحسن للناس أخشى عليكم من شر أفعالكم وسوء ما تقومون به أن يلي أموركم القردة والخنازير[1].

وكأنه يقول لهم إن ولاة الدولة ما تعاملوا معكم بهذه الطريقة إلا لأنكم تستحقونها، ولربما يشير إلى أن معاملة ولاة الدولة لهم أفضل مما يستحقون، لذلك قال لهم أنه لا يصلح لأمثالكم إلا قرود وخنازير تديركم.

ثم إن روايات كثيرة تؤكد أن أهل العراق والبلاد التي تسلط عليها الحجاج هي بلاد فتن، وما تسلط عليها إلا بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم[2].

ومن المرجح أن موقفه من الحجاج ومن الأحداث الدائرة وانتشار أفكار الحسن البصري بين الناس، كان لها الأثر البالغ في استقرار الأمن وهدوء المجتمع وتهدئة المسلمين لتصفى نفوسهم من الأحقاد، وتعود إلى الله بصالح الأعمال، وفكر الحسن الذي ربط الناس بالآخرة ورغبهم فيها وباعد بينهم وبين الدنيا جعل النفوس تهدئ وتستكين[3].

وهذا الفكر لربما يتوافق فيه الحسن كثيراً مع فكر الحجاج، وقد قالا الأثنين أقوالاُ يشعر القارئ أنهما لربما توافقا عليها من شدة تقاربها، فمثلاً قول الحسن: "اعلم عافاك الله أنَّ جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى، ونقم الله لا تلاقى بالسيوف، وإنَّما تتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب، إنَّ نقم الله متى لقيت بالسيف كانت أقطع"[4]، وتوافقها الكبير مع ما قاله الحجاج: "اعلموا أنَّكم كلما أحدثتم ذنباً، أحدث الله في سلطانكم عقوبة، ولقد قال قائل للحجاج: إنَّك تفعل بأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، فقال: أجل، إنَّما أنا نقمة على

(1) - ابن الجوزي: آداب الحسن البصري، ص 119.

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 131.

(3) - بيومي، مصلح: الحسن البصري من عمالقة الفكر، ص 321.

(4) - الأثري: الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ج 1، ص 161.

أهل العراق، لمَّا أحدثوا في دينهم ما أحدثوا، وتركوا من شرائع نبيهم صلى الله عليه وسلم ما تركوا"[1].

ونستنبط من ذلك، أن الحسن والحجاج متقاربان في العلم ولهما نفس الفكر في التعامل مع الفتن، ولهما التوجه نفسه، إلا أن الفرق بينهما في ذلك أن الحسن تعامل مع الفتنة من منظور علمي شرعي دون أن تكون له تجربته كقائد رسمي في السلطة، فتبقى تقديراته مقتصرة على فهم من زاوية معينة، لكن الحجاج تعامل مع الفتنة من منظورين الأول شرعي كونه كان من أعلم أهل عصره، وتعامل معها من منظور سلطة وقائد، ولربما أن نظرة الحجاج كان فيها شمول أكثر، لأن المصلحة لا يقدرها إلا أصحاب الخبرة الميدانية الفعلية، لأنه يكون قد درسها من جميع الجوانب، فلا يقتصر على الفقه الشرعي، بل على الفكر الشرعي والسياسي والعسكري معاً.

ولقد وقف الباحث على بعض حالات القتل التي نفذها الحجاج، فوجده لم يظلم أحداً منهم وفقاً لما توفر من معلومات، بل على العكس كان رحيماً متهاوناً في قضايا بعض من قتلهم، لكن إصرار من قتله على ضلاله هو الذي جعله يقتله، وللوقوف على ذلك نبين بعض الحوادث ليتضح المقال.

قتل الحجاج لابن الأشعث وموقف الحسن منه:

قد جمع ابن الأشعث جيوشاً وخرج متمرداً بها على حكم الأمويين، وكان الخروج في بدايته على الحجاج، وما لبث أن تحول الخروج لخروج عن الخليفة، ثم تطورت الفكرة لديه واتباعه حتى بايعه الناس على أن يكون خليفة المسلمين[2]، وقد قال عنه الحجاج هو أهوج أحمق حسود، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله[3]، ولقد كان للحجاج نظرة ثاقبه فيه، فقد ظهر فساد ابن الأشعث بما جناه على الأمة الإسلامية من شر، وكان مصيره أسوء مصير[4].

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 131.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 7، 233.

(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 35.

(4) - التركماني: الإمام سعيد بن جبير وفتنة ابن الأشعث، ص 20.

ما قاله الحجاج عن الأشعث لربما من باب علمه به، وأنه قد تربى في بيئة تعج بالفتنة كون أبيه قد شارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان وسلبه ثيابه، ومن لا يرى لخليفة المسلمين عثمان حرمة وقدراً واستهان بها، فهو لأمة محمد أهون وأضيع، فلربما أن عيش ابن الأشعث في أسرة لها علاقة بالفتن، جعله يألف ذلك ويتجرأ على الغوص فيها إذا ما سنحت له الفرصة.

والظاهر أن موقف الحسن من فتنة ابن الأشعث موقف المثبط للناس كعادته، ناصحاً أياهم بعدم الخروج معه، حتى أن حكمته في ذلك ظهرت لبعض علماء عصره من الذين نهاهم عن الخروج لكنهم شاركوا في فتنة بن الأشعث وندموا على ذلك، فقالوا يا ليتنا أطعناه[1]، مع أن ابن الأشعث أرسل إلى الحسن فأكرهه على الخروج معه، فلم يجد الحسن بداً من ذلك حتى مر بنهر دجلة في طريقه فرمى بنفسه فيه وفلت منه وهرب[2]، وكيف لا يقفز في النهر وهو أمر الناس أن يلتزموا بيوتهم ويغلقوا أبوابها في فتنة ابن الأشعث[3]، وأمرهم ألا يكون مع أيٍ من الطرفين[4]، ولسان حال الحسن يقول وإنَّه لا ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أظنُّ الذي أنتم فيه إلاَّ من شؤم الذنوب[5].

ثم إن من العلماء من طعن في نية الأشعث في خروجه على الحجاج والخليفة عبد الملك بن مروان، فقيل لمطرف هذا عبد الرحمن بن الأشعث قد أقبل فقال مطرف والله لقد رابني أمران لئن ظهر لا يقوم لله دين، ولئن ظهر عليه لا يزالوا أذلة إلى يوم القيامة[6].

بعد هذا السرد يتضح أن الحجاج لم يقاتل ابن الاشعث رغبة منه في القتال كما يدعي الخصوم، وإنما قاتل الأشعث بعد استيفاء شروط القتال الشرعية، مثل خروجه على الحاكم وحضوره لقتال جيش المسلمين وتنصيب نفسه خليفه، وإثارة فتنة بين المسلمين قتل فيها أعداد كبيرة، أفهذا الرجل لو كان بيننا اليوم ماذا سيكون حكمه شرعاً؟ أليس القتل؟!.

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 224.

(2) - التميمي: المحن، ج 1، ص 238.

(3) - الآجري: الشريعة، ج 1، ص 373.

(4) - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 164.

(5) - ابن حيان: طبقات المحدثين بأصبهان، ج 2، ص 24.

(6) - ابن أبي شيبة: المصنف، ج 6، ص 206.

ثم أن ابن الأشعث تحصن عند أحد الملوك الصليبيين في تركيا يسمى رتبيل، وما أن حضرت إليه جيوش الحجاج حتى ألقى بنفسه من فوق الدار فمات، أي مات منتحراً[1].

ومما يؤكد على ضلال ابن الأشعث هو قتله لنفسه خلافاً للنهي الشرعي عن ذلك، لأن شرعنا الحنيف قد حرم قتل النفس دون استيفائها لشروط وجوب القتل، فلو كان ابن الأشعث على غير ضلال ما فكر في قتل نفسه مخافة المعصية وحدوث الكبيرة.

موقف الحسن البصري من مقتل سعيد بن جبير:

وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع عبد الرحمن بن الأشعث إلى قتال رتبيل، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج، ثم لجأ إلى مكة فأقام بها حتى كان واليها خالد بن عبد الله القسري، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها، فقال سعيد: والله لقد استحييت من الله، مم أفر ولا مفر من قدره؟![2].

وبعد أن تولى أمرة المدينة عثمان بن حيان، جعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من أهل العراق إلى الحجاج في القيود، فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري، فأرسل من طلبهم الحجاج وكان منهم سعيد بن جبير[3].

ولما وقف سعيد بن جبير بين يدي الحجاج قال له: يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي؟ ألم أستعملك؟ وأخذ الحجاج يذكره بما كان بينهما، وكان سعيد لا ينكر، حتى ظن الحاضرون أنه سيخلي سبيله[4].

وكأن الحجاج لما رأى سعيد بن جبير في هذا الموقف كره ذلك فقال: لعن ابن النصرانية يعني خالد القسري، وكان هو الذي أرسل به من مكة، أما كنت أعرف مكانه؟! بلى والله، والبيت الذي هو فيه بمكة، ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد، ما أخرجك عليَّ؟ فقال أصلح الله الأمير، أنا

(1) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 491.
(2) - ابن كثير: البداية النهاية، ص 9، ص 96.
(3) - ابن كثير: البداية النهاية، ص 9، ص 96.
(4) - ابن كثير: الطبقات الكبرى، ج 6، ص 265.

امرؤ من المسلمين يخطئ مرة، ويصيب أخرى، فطابت نفس الحجاج، وانطلق وجهه، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره[1].

حتى قال الحجاج له: فما حملك على أن خرجت علي، وخلعت بيعة أمير المؤمنين؟ فقال سعيد: إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك، وعزم علي، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً، وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه، وقال له: ويحك ألم أقدم مكة أخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى، قال: فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك؟ يا حرسي اضرب عنقه، قال: فضربت عنقه[2].

أثناء خروج ابن الأشعث كان سعيد بن جبير قد سأل الحسن عن الفتنة وكأنه سأله أيجوز الخروج والمشاركة فيها، فقال الحسن لأحد جلوسه: "ألا تعجب من سعيد بن جبير؟! دخل عليَّ فَسَأَلَنِي عن قتالِ الحجَّاج، ومعه الرُّؤساء، يعني: أصحاب الأشعث[3]، وكأن استغراب الحسن لسؤال ابن جبير فيه إشارة أن ابن جبير مؤيد لأبن الأشعث، أو مستغرباً جهل بن جبير في تلك المسألة كون حكم الخروج على الخليفة وإثارة الفتنة معلوم لكل علماء المسلمين وابن جبير منهم.

لما علم الحسن بمقتل سعيد بن جبير قال: "اللهم أعن على فاسق ثقيف، والله لو أنّ أهل الأرض اشتركوا بقتله لكبهم الله في النار"[4]، وقد اظهر الحسن مكانة بن جبير فقال "لقد أطفأ من نور الله شيئا ما أصبح على وجه الأرض مثله"[5].

ويظهر أن الحسن تأثر كثيراً بموت سعيد بن جبير، لأنه عالم من علماء عصره يحتاج إليه في علمه وحفظه، ولربما كان هذا الموقف من الحسن هو عبارة عن افصاح واضح منه أن

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 24؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 281؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 21، ص 195.

(2) - ابن كثير: الطبقات الكبرى، ج 6، ص 265.

(3) - ابن أبي شيبة: المصنف، ج 6، ص187؛ ابن حنبل: العلل ومعرفة الرجال، ج 2، ص 390.

(4) - الحنبلي: شذرات الذهب، ج 1، ص 108.

(5) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 398.

التعامل مع العلماء لا يكون بقتلهم، لأن العلماء لهم مكانتهم في الدولة، وأن الدولة يجب عليها مراعاة ذلك.

لقد وردت روايات متعددة في مقتل بن جبير، لكن العلماء قد بينوا أنها مكذوبة ولا تصح، وأنها من صنع الشيعة، لذلك آثرت عدم ذكرها اختصار لتبيان الحقيقة.

لكن بعض معاصروه أنصفوا الحجاج متهمين البعض بالتغول فيه والتهويل لأفعاله دون ذكر انجازاته العظيمة ومن ذلك، أن الحجاج ذكر عند عبد الوهاب الثقفي بسوء فغضب وقال إنما تذكرون المساوئ، أوما تعلمون أنه أول من ضرب درهما عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من اتخذ المحامل وأن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول لبيك لبيك، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند واستنقذ المرأة وأحسن إليها، واتخذ المناظر بينه وبين قزوين وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر، إن كان نهاراً وإن كان ليلاً أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل إليهم فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط فكانت قزوين ثغرا حينئذ[1].

ثم أن هذا الوالي –الحجاج– لو كان من أصحاب الدنيا كما يزعم خصومه، لترك خلفه أموالاً وتركة كبيرة تدلل على فحشه، لكنه لما مات لم يترك خلفه إلا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة[2].

والحسن كان من الذين يبرروا ما قام به الحجاج، ومما روي أن ابن سيرين قال إني لأرجوا له النار، فبلغ ذلك الحسن فقال أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه، وكان الحسن لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه قال: فرآه في منامه فقال له أنت الحجاج قال: أنا الحجاج قال ما فعل الله بك قال قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين قال فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه[3].

---

(1) - الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 350.

(2) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 12، ص 191؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 12، ص 192.

(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 139.

رغم عدم حصول القناعة بصحة رواية رؤيا الحجاج، لأنها تخالف الصفات التي علمناها عن الحسن لبغضه لمن يدعو أو يسب الناس ويشتمهم، وكان ينهى عن ذلك، إلا أن الرواية لربما تحمل في مضامينها انصافاً للحجاج بإحجام الحسن عن ذكره بسوء.

المبحث الرابع: المواقف السياسية للحسن البصري قبل وبعد فترة الخليفة عمر بن بعد العزيز.

علاقة الحسن بالنضر بن عمرو والي البصرة:

جمعت ابن النضر والحسن البصري رحمهما الله تعالى علاقة ود وتواصل، فكانا يتناصحان، وكان بينهما عظة وتأمل، ومن ذلك أن النضر قال: "والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا، فقال الحسن لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه "قلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ"[1] فجعل سبحانه أتباعه صلى الله عليه وسلم علماً للمحبة، وأكذب من خالف ذلك، فاتق الله أيها الرجل في نفسك، وايم الله لقد رأيت أقواماً كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر، وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطراً ورياء الناس، يبنون المدر ويؤثرون الأثر، ويتنافسون في الثياب، أخرجوا من سلطانهم، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم، وقدموا على ربهم، ونزلوا على أعمالهم، فالويل لهم يوم التغابن ويا ويحهم، "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"[2][3].

وقد أحضر النضرُ بن عمرو الحسنَ يومًا، فقال: "يا أبا سعيد، إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده"، وقال عز وجل: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"[4]، وقال عز من قائل: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[5][6].

فقال الحسن: أيها الرجل، اتق الله في نفسك، وإياك والأمانيَّ التي ترخصت فيها، فتهلك، إن أحدًا لم يُعطَ خيرًا من خير الدنيا، ولا من خير الآخرة بأمنيته، وإنما هي داران، من عَمِل في هذه، أدرك تلك، ونال ما قُدِّر له منها، ومن أهمل نفسه، خسرهما جميعًا، إن الله سبحانه اختار محمدًا صلى الله عليه وسلم لنفسه، وبعثه برسالته ورحمته، وجعله رسولاً إلى كافة خلقه، وأنزل عليه كتابًا مهيمنًا، وحد له في الدنيا حدودًا، وجعل له فيها أجلاً، ثم قال عز وجل:

---

(1) - سورة آل عمران، الآية 31.

(2) - سورة عبسى، من الآية 34- 37.

(3) - صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 493.

(4) - سورة الأعراف، الآية 31.

(5) - سورة الأعراف، الآية 32.

(6) - صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 492.

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"[1]، وأمرنا أن نأخذ بأمره، ونهتدي بهديه، وأن نسلك طريقته، ونعمل بسنته، فما بلغنا إليه، فبفضله ورحمته، وما قصَّرنا عنه، فعلينا أن نستعين ونستغفر، فذلك باب مخرجنا، وأما الأمانيُّ، فلا خير فيها، ولا في أحد من أهلها، فقال النضر: "يا أبا سعيد، إن الله عز وجل قدَّر علينا ما شاء، وإنا لنحب ربَّنا"[2].

تعتبر علاقة الحسن البصري مع ابن النضر علاقة نصح وتوجيه، فيرشده إلى الخوف من مسائلة الله تعالى له يوم القيامة، وعن المصير الذي سيلاقيه الإنسان بعد موته، وماذا سيكون مصيره في الآخرة، فهذا في معتقد الحسن يجعل الوالي أو الخليفة إذا ارتبط تفكيره بالآخرة سيكون حرصه على العدل وإعطاء الرعية حقها ومحاسبة عامليه في الأمصار أكثر شفافية.

صلة الحسن بوالي العراق عمر ابن هبيرة وموقفه منه:

لقد كانت بين الحسن وابن هبيرة علاقة نصح وتوجيه كغيره من الحكام والولاة، لكن يظهر أن ابن هبيرة كان يحرص على لقاء الحسن وبعض العلماء ليزداد إيماناً وتوجيهاً لما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، فيروى أن ابن هبيرة كتبَ إلى الحسن وابن سِيرين والشعبيْ فقُدِم بهم عليه، فقال لهم: إن أمير المؤمنين يكتب إلي في الأمر، إن فعلته خفتُ على ديني، وإن لم أفعله خفتُ على نفسي، فقال له ابن سيرين والشعبيّ قَولاً رَقَّقا فيه، وقال له الحسن: "يا بن هبيرة، إن الله يمنعُك من يزيدَ، وإن يزيد لا يمنعُكَ من الله، يا بن هبيرة، خَفِ الله في يزيد ولا تخفْ يزيدَ في الله، يا بن هبيرة، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ الله إليك مَلَكاً فيُنزلَكَ عن سريرك إلى سَعَةِ قصرك، ثم يخرجك عن سعةِ قصرك إلى ضِيقِ قبرك، ثم لا يُنْجِيك إلا عملُكَ، يا بن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق فِي معصية الخالق"، فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بألفين فقالا: "رَققْنا فَرَقَقَ لنا"[3].

(1) - سورة الممتحنة، الآية 6.

(2) - صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 492.

(3) - الدينوري: عيون الأخبار، ج 1، ص 266؛ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج 2، ص 96.

فخرج الشعبي إلى المسجد، فقال: "يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله منه"[1].

وفي الرواية أسلوب قسوة وشدة من الحسن رحمه الله، وكأنه يعلم ببعض تجاوزات ابن هبيرة أو يعلم أن نية ابن هبيرة فيها شيء لم يفصح عنه، لربما ذلك ما جعله يغلظ عليه في الحديث، وفي الرسالة ونصها ما يوحي أن الحسن كان هو من يهيمن بهيبته وقوة شخصيته على اللقاء، لذلك صغر الجميع عنده.

والباحث يشكك في مصداقية الرواية، فلا يعقل أن خليفة المسلمين يطلب من أحد ولاته معصية الله تعالى، فهذا محال، ولكن لربما تكون هذه رواية شيعية مكذوبة، وإن كانت أحداث القصة فيها شيء من الصحة فلربما حرفت بعض تفاصيلها بما يخدم الشيعة للطعن في خلفاء وولاة الدولة الأموية، إذ أن ابن هبيرة ليس معفياً من الخطأ لنص الرواية، فحسب النص فهو يستشير في معصية الله أو التوقف عما طلبه الخليفة، فإذا كان والي العراق ابن هبيرة لا يستطيع أن يتخذ قرار إذا ما عرض عليه أمر يخالف شرع الله فهو والله لا يصلح لأن يكون والياً، كما ان الرواية تحمل وجهاً إيجابياً، ففيها إشارة إلى قوة السلطة العلماء في الدولة الإسلامية حتى وصلت الدرجة إلى مشاورة الولاة للعلماء قبل تنفيذ أوامر أو مراسيم الخلفاء، كما أنها تدلل بشكل واضح على أن الحق في حرية التعبير للعماء مكفولة ومصانة في الدولة.

وبرغم العلاقة القوية التي تربط ابن هبيرة بالحسن البصري، إلا أن الحسن رحمه الله كان لا يحب أن يتقرب العلماء من الحكام أو يراؤونهم ويتملقون لهم، والقصة السابقة خير شاهد، لكنه كذلك كان يزجر من يقوم بأعمال تقلل من شأن العلماء، التي يحاول البعض من خلالها التودد للحكام، والشاهد على ذلك أن الحسن خرج من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: "ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم فضحتم

(1) - الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 150؛ المزي: تهذيب الكمال، ج 6، ص 114؛ ابن الجوزي: الحسن البصري زهده، ص 76.

القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم أبعد الله من أبعد"[1].

وهنا يتضح أنه رحمه الله يعظم العلم على كل شيء، وتعظيم العلم الشرعي فيه رفعةً للشارع، ومن عظم الشرع لعظيم منزلة الشارع هان عليه كل ما تعلق بالدنيا حتى لو كان ملوكها وحكامها، وقد حرص أن يوصل رسالة للعلماء للنئي بأنفسهم عن الحرص بالتقرب من الحكام، ليبقى الدين والشرع والفتوى بعيدة كل البعد عن الأهواء، حتى لا يستميلهم في الفتوى قربهم من الوالي فيزلوا، وحتى لا يستخدم الشرع لصالح فئة أو جهة معينة بما يضر بسلامة الشرع، فالحسن يدعو بقوة إلى فصل السلطات الثلاثة، واستقلال القضاء، وهذا آخر ما أملت به البشرية اليوم.

علاقة الحسن بالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

في الوقت الذي تولى فيه الحجاج ولاية العراق وما جاورها كان يسود العراق القلق والرعب والخوف، لأن القوم لا يأمنون بطشه وشدته، لأي سبب من الأسباب كما استمر الحسن البصري أيضاً في خطبه التعريضية ودعوته إلى الله تعالى على بصيرة، دون أن يهاب سلطاناً أو يخشى في الحق لومة لائم[2].

وظل الناس على ذلك حتى انتهى عهد الحجاج، وجاء عهد سليمان بن عبد الملك فتنفس الناس الصعداء، وسجدوا لله شكراً على زوال عهد الحجاج لما فيه من تسلط وشدة، لأنه كان قد أستخدم الشدة والغلظة مع الناس، ما جعل الناس يشعرون أنه كتم أنفاسهم فترة من الزمن[3].

ومما حبب الناس في سليمان بن عبد الملك أنه أقطع الناس الأرض الموات وأطلق الأسارى، وأفرج عن المعتقلين، وأحسن إلى الناس حتى قالوا: "سليمان مفتاح الخير" حتى رضي عنه الكثير من الصالحين في وقته، وفي مقدمتهم الحسن البصري فكان رحمه الله لا يتعرض

(1) - الذهبي: سير ألعام النبلاء، ج 4، ص 586؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 45، ص377؛ آل سلمان المجالسة وجواهر العلم، ج 2، ص 305؛ الحميد: بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص 32.

(2) - الأصفهاني: وحلية الأولياء، ح 2، ص 116؛ بيومي: الحسن البصري حياته، ص 129.

(3) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 56–58؛ بيومي: الحسن البصري حياته، ص 129.

للخليفة سليمان ولا لعماله بذم، كما كان يفعل مع من سبقه، ومع هذا التقدير لسليمان نجد الحسن لم ينتهز الفرصة ككثير من الناس في أخذ شيء من الموات[1]، فقد كان زاهداً ورعاً[2].

واستمر الحال على ذلك ما بين مد وجزر، حتى جاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حيث وجد الحسن ضالته المنشودة في هذا الحاكم العادل[3]، كما رأى فيه تحقيق حلمه الكبير الذي كان يراوده، وأعجب به كثيراً للأسباب الآتية:

أولاً: كان عمر رضي الله عنه على أدب إسلامي رفيع، فبعد أن ولي خلافة المسلمين بالطريق المشروع خطبهم بكلام طيب ليس فيه التهديد ولا الوعيد، ولا الضرب بيد من حديد على يد من تسول له نفسه الخروج عن حكمه، كما كان يصدر عن بعض الحكام السابقين، وإنما خطبه تدل على فهمه لنفسه وللناس، ومن أمثلة ذلك:

قوله: "أيها الناس، أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، وأصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وإن أمراً ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت"[4].

وطمأنته لهم بأن عصره سيكون فيه سعة وحرية، وأعطاهم حرية الانتقاد فقال: "ايها الناس، إنه قد كان قبلي ولاة، تجترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم"[5].

وفي خطبة ثانية بيّن رحمه الله أسلوب العمل الذي سينهجه في سياسة الدول، فيقول: "أيها الناس، ومن صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهد، يدلنا على الخير ما لا نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية، ولا يعترض فيما لا يعنيه"[6].

---

(1) - التوسل بقرابة وبابه رد و الموات الوسائل جمع ماتة بتشديد التاء فيهما متخمة. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص256).

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ح5 ص 205/204؛ الاصفهاني: وحلية الأولياء، ح 2، ص 115.

(3) - القرطبي: الاستذكار، ج 1، ص 117.

(4) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 3، ص 66؛ ابن حمدونة: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 152.

(5) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 56؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 204.

(6) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 2، ص 144/143.

ثانياً: عمل عمر على رد الحقوق لأصحابها، وأغلق الأبواب التي يأتي عن طريقها الظلم والطغيان، وألغى كثيراً من العادات والتقاليد التي تنافي الإسلام، إلى آخر ما فعل من الإصلاحات، حتى أصبح لا يوجد فقير في عهده تعطى له الزكاة، فكانوا يعتقون منها الأرقاء[1].

ثالثاً: قرن القول بالعمل، فكان رضي الله عنه لا يقول قولاً إلا ويتبعه العمل، ولهذا كان قدوة حسنة وأعاد بذلك عهد سلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن أمثلة ذلك أنه كان يعين على البلاد الولاة الأكفاء المخلصين، وأي عدوان على البلاد الإسلامية كان يحدث في عهده يقابله بالشدة حتى لا يعود المعتدين إلى مثلها[2]، أما فيما يتعلق بالخارجين على الدولة من المسلمين ما كان يستعمل معهم العنف والبطش إلا بعد المناظرات الطويلة والمفتوحة، لكيلا يكون لأحد منهم حجة[3].

ما تقدم عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز جعل الحسن البصري يقوم بدور أكثر إيجابية في بناء الدولة الإسلامية، وقد أسهم رحمه الله مساهمة فعالة في توجيه الدولة إلى النظام المنشود الذي لا يختل أبداً إذا اتبع، وكأن إسهاماته تلك من خلال علاقته مع الخليفة عمر بن عبد العزيز والمراسلات المتتالية التي جرت بين الطرفين[4]، ومن أعظم هذه الرسائل ما تحدث فيها عن صفات الإمام العادل[5]، والتي ربما تكون بمثابة دستور لكل حاكم، يريد الخير لدينه ووطنه والإنسانية كلها[6].

ولربما كان الاهتمام البلغ من الحسن البصري في إخراج هذه الرسالة إلى النور، هو أن الخليفة عمر بن عبد العزيز هو من طلب منه أن يصف له صفات الإمام العادل، فأستعظم الحسن طلب الخليفة فرد قائلاً: "اعلم يا أمير المؤمنين: أن الله تعالى جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف[7].

---

(1) - بن رافع: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 34.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ح5 ص 205/204؛ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن بعد العزيز، 83.

(3) - انظر الطبري: تاريخ الأمم المملوك، ح6، ص 234؛ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن بعد العزيز، 83.

(4) - عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن بعد العزيز، 86.

(5) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 44.

(6) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 44؛ بيومي: الحسن البصري حياته، ص 129.

(7) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 6، ص 35.

ثم قال: "الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكتنفها من أذى الحر والقر، وهو كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، كالأم الشفيقة، البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرهاً، وربته طفلاً، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغنم بشكايته، وهو وصي اليتامى وخازن المساكين، يربى صغارهم، ويمون كبيرهم"[1].

هذا فيه أسلوب استعطاف، فيريد الحسن تحريك العوامل العاطفية لدى الخليفة ليتعامل مع رعيته وشعبه بالحرص المطلوب من الأب تجاه أبناءه، فإذا ما شعرت الرعية بهذه العاطفة سيكونون إلى جانب الخليفة كالأبن لأبيه في الطاعة والمحبة.

وأكمل بقوله "الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، وهو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلامه ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق عياله"[2].

وهنا يوجه رسالة تقريع للخليفة بأنه لو كان صالحاً صلحت الرعية، وإن كان فاسداً فسدت الرعية، وهذا الكلام من الحسن يحمل معاني التقارب والتفاهم مع الخليفة بحكم العلاقة بينهما.

ثم قال: "واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر، واعلم أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك في قعره وحيداً فريداً، فتزود له ما يصحبك، "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ[3]، واذكر إذا بعثر من في القبور، وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[4].

أعاد الحسن الأسلوب الأمثل مع من ينصحهم، بحثهم إلى تذكر الموت والأخرة في كل أعمالهم، حتى إذا ما أقدم على فعل شيء راقب الله تعالى في عمله ، فلا يعمل إلا ما يرضي الله تبارك وتعالى.

---

(1) - صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 495.

(2) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 45.

(3) – سورة عبسى، الآيات 34، 35، 36.

(4) - ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 3، ص 186؛ النويري: نهاية الأرب ، ج 6، ص 36.

فالآن يا أمير المؤمنين "وأنت في مهل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم عباد الله بحكم الجاهلية، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنك الذي ينعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك[1].

يا أمير المؤمنين: "لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله، في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم"[2].

"إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحاً، فانزل كتابي هذا كمداوٍ حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو في ذلك له من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته"[3].

في هذه الرسالة نلاحظ بعض الأمور منها:

- حرص أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله على الإصلاح داخل مؤسسات الدولة، ونيته الحكم بالعدل، وكانت هذه صفة ملازمة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله، فكان كلما ولي مصراً أرسل لأكثر الناس علماً وزهداً وطلب نصحه حتى يستفيد منه، لذلك طلب نصح الحسن[4].
- لربما أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لديه معرفة تامة بأهل العراق وانحراف فكرهم، فبخطوة ذكية أراد لعلماء العراق أن يقفوا إلى جانبه ليكونوا موجهين للناس برأيه وفكرته، فتقرب منهم وطلب نصحهم، فأسرهم وأسر توجهاتهم، واستغلهم خير استغلال في توعية الناس وإرشادهم وفقاً للمنهج الذي رسمه رضي الله عنه.
- تعتبر الرسالة بمثابة الإشراقة التي من خلالها ممكن أن نتعرف على فكر وثقافة وعلم وحكمة الحسن البصري في ظل عدم وجود كتب له، لما تحتويه الرسالة من بلاغة وحكمة وتسديد رأي ولأنها جامعة لكل ما يتعلق بما هو مطلوب من الحكام تجاه رعيتهم.

---

(1) - صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 495.

(2) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 6، ص 36؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 45.

(3) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 45؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 495.

(4) - مصطفى فرحات: رسائل الامام الحسن البصري، ص 219.

- الرسالة احتوت كثير من الأفكار التي كان يتداولها الحسن في زمن سابقي عمر بن عبد العزيز من الولاة، وهذا يشير إلى أن الحسن رحمه الله كان متبعاً منهجاً موحد لم يحد عنه فترة حياته رحمه الله، وهو أن كل من نصحه في أمور السياسة وغيرها كان يربط نصحه بترك الدنيا والبعد عنها والإلتزام بالأخرة وتصفية القلوب واخلاص النية لله تبارك وتعالى، وتذكر عواقب الأمور في الأخرة بعد الموت[1].
- ثم إن الرسالة فيها أدب رفيع، وخلق متواضع، وسمة اللين، حيث كرر الحسن رحمه الله في بداية كل فكرة استخدام يا أمير المؤمنين، وهذا فيه تقدير وإجلال من المرؤوس للرئيس، وممن هو أدنى للأعلى، وهذا خلق لا يعرفه إلا العلماء ومن تبعهم.

ونرى صفة العدل التي ذكرها الحسن رحمه الله شملت العدالة القانونية التى توجب خضوع الحاكم للأحكام التى شرعها القرآن وبينتها السنة، فلا يعفى الإمام من الحد إن ارتكب ما يوجبه، ولا يعفى من القصاص إن اعتدى على أحد، وعلى ذلك أجمع جمهور الفقهاء، التى توجب أن يكون الولاة خاضعين للعدل، ولا يتسلطون ليخضعوا الرقاب، ويذلوا المسلمين، وقد شمل الإشارة إلى تصريف موارد الدولة بالأمانة وحسن التدبير فى أموالها[2].

وبرغم الصلة القوية التي تربط الحسن بالخليفة عمر بن عبد العزيز، إلا أن ذلك لم يطغى على أن يكون لتلك العلاقة أي منفعة دنيوية، فيروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى أمير العراق عدي ابن أرطأة أن يختاروا للبصرة أمير القضاء، ووجهه أن يجمع ناساً ممن يثق بهم ويشاورهم في إياس بن معاوية[3] والقاسم بن ربيعة[4]، وأستقضى أحدهما، فولى عدي إياساً القضاء، ثم خرج إياس من البصرة لقصة، فولى عدي الحسن البصري[5]، ولقد بعث عدي رسالة

---

(1) - المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 23.

(2) - مصطفى فرحات: رسائل الامام الحسن البصري ، ص 219.

(3) - هو أبو واثله اياس بن معاوية بن قرة سمع أباه وأنس بن مالك روى عنه ابن عجلان وشعبة وحماد بن سلمة. (القشيري: لكنى والأسماء، ج2، ص871).

(4) - القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني روى عن عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما انه قال ما قذف البحر فهو حلال وعن بن عمر روى عنه قتادة وحميد الطويل وخالد الحذاء وأيوب السختياني وعلى بن زيد بن جدعان سمعت أبى يقول ذلك حدثنا عبد الرحمن نا محمد بن أحمد بن البراء قال قال علي بن المديني القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني ثقة روى عنه أيوب وخالد الحذاء وحميد وعتبة بن عبد الرحمن وغيرهم. (الرازي: الجرح والتعديل، ج7، ص110)

(5) - ابن سعد: القرط على الكامل، ج 1، ص 152.

للخليفة بذلك ومدح فيها الحسن البصري[1]، لكن الحسن طلب من عدي أن يعفيه من مسئولية القضاء فأعفاه، واستقضى إياس بن معاوية[2] وقيل بل شكا الحسن فعزله عدي واستقضى إياساً[3]، وهذا يدلل على صرامة وحسن إدارة عمر بن عبد العزيز للامور الدولة، دون ان ينظر للمصلحة بحكم علاقته من الحسن البصري.

وهذه الرواية تؤكد صدق النية عند الخليفة في حرصه على تنصيب الرجل المناسب في مكانه المناسب، دون أن يؤثر من يحبهم أو تربطه بهم علاقة، فكان حريصاً أن يتولى المناصب أصحاب القدرة والكفاءة، فلو كان الخليفة ممن يقدم من أحبهم على المصلحة لأشار على عدي أن يختار الحسن البصري لهذا المنصب، كما أن في إستعفاء الحسن رحمه الله عن مسئولية القضاء، لربما من باب البعد علن الدنيا وأن ورغبته للبعد عن الوظائف العامة التي لها علاقة بالسلطة حتى لا يكون رأيه وفتواه فيها ميل وتعاطف مع الحكام.

التقارب في التفكير بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز:

ويحسن بنا أن نقول أن بين الحسن وعمر بن عبد العزيز وحدة في التفكير والعقيدة، فقد رويت العديد من الاراء التي كانت فيها أرائهم متطابقة مع بعضها، من ذلك أن موقفهما متوافقاً تماماً في حكمهما على الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم، فقال عمر بن عبد العزيز عنها: "تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها"[4]، وقال الحسن عن ذلك: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[5].

وإذا نظرنا إلى القولين وجدناهما قد حكما بعدالة الصحابة رضي الله عنهم، ثم أو توقفوا عن الخوض في حداث الفتنة والحكم عليها، وهذا التوافق في الرأي لأنهما ينظران إلى ذلك من منور واحد، على أساس عقدي واحد.

---

(1) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 61؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 10، ص 30.

(2) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 61؛ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج 3، ص 174.

(3) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 316.

(4) - الدارقطني: الموسوعة أقوال الدارقطني، ج 1، ص 23؛ الخطابي: العزلة، ج 1، ص 44؛ الرافعي: التدوين في أخبار قزوين، ج 3، ص 335.

(5) - ابن عاشور: تفسير التحرير ، ج 26، ص 241؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 322.

ولقد كان بينهما انسجاماً في فهمهما للدنيا وتعلقهما بالأخرة، لذلك رأينا الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب نصحه وإرشاده، بالإضافة إلى طلبه أن يوعظه في أمور الدنيا، ولربما وردت شواهد كثيرة تدلل على ذلك، ولقد قام أحد الباحثين بإفراد بحث خاص بعنوان رسائل الحسن البصري للخليفة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله[1].

ولقد كانا رحمهما الله يرغبان في الدنيا وزينتها حريصان على نبذها، فكان عمر يرى أن الحسن من أكثر من يوعظ الإنسان فيما يتعلق بالزهد في الدنيا، لذلك كتب إلى الحسن أن اجْمعْ لي أَمْرَ الدنيا وصِفْ لي أَمْرَ الآخرة، فكتب إليه الحسن: "إنما الدنيا حُلم، والآخرة يقظة، والموتُ متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسَب نفسه رَبِحَ، ومن غفَل عنها خَسِر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضلَّ، ومن حلُمَ غَنِم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللتَ فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، واعلم أنّ أفضل الأعمال ما أُكرِهَت النفوسُ عليه"[2].

وكان النصح والعظة بينهما متبادل، ولم يقتصر على نصح الحسن لعمر بن عبد العزيز فقط، بل كان عمر رضي الله عنه يعظه وينصحه، فيروى أن عمر بن عبد العزيز كتب من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن أبي الحسن البصري ومطرف بن عبد الله بن الشخير سلام عليكما، فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، أما بعد، فإني أوصيكما بتقوى الله، فإن من يقولها كثير ومن يعمل بها قليل –أي قليل يقولها ويعمل بها– فإذا أتاكما كتابي فعظاني ولا تزكياني والسلام[3].

فكتب إليه الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الدنيا دار مخوفة، هبط إليها آدم عليه السلام عقوبة، تُهين من أكرمها، وتكرم من أهانها، وتفقر من جمع لها، ولها في كل يوم قتيل، فكن يا أمير المؤمنين كالمداوي لجرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من طول البلاء[4]، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن

(1) - مصطفى فرحات: رسائل الامام الحسن البصري، ص 224.
(2) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 3، ص 111.
(3) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 128.
(4) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 128.

البصري رحمهما الله تعالى: عظني وأوجز، فكتب إليه الحسن: إن فيما أمر الله به لشغلا عما نهى عنه[1].

ومن ذلك نرى تواضع الخليفة عمر بن عبد العزيز في رسالته للحسن ومطرف، حيث لم تشمل الرسالة أي معنى يدلل على مكانة الخليفة السياسية وكانت خالية من الألقاب السلطوية، وهذا يتوافق مع ما يطلبه من العظة وعدم التزكية، فلو كان قد كتب بعض الألقاب في رسالته لتنافى ذلك مع مفهوم العظة، لأن مفهوم العظة هو البعد عن الدنيا والتمسك بما هو باق، ثم إن كلامه رحمه الله يشير إلى تواضع طالب العلم أمام العلم والعلماء، وفي المقابل نرى من الحسن الاستجابة للطلب غير متناسي مكانته الخليفة وفضله، فأدب الحسن جعله يذكر صفة عمر بن عبد العزيز حيث قال فكن يا أمير المؤمنين.

ووصلت العلاقة بين الحسن وعمر بن عبد العزيز إلى حد الانتقاد، فقد انتقد الحسن عمر بن عبد العزيز عدم أكله مع الناس، فقال له: إن عمر بن الخطاب قد كان يأكل مع الناس من طعامهم، فأمر عمر بن عبد العزيز بدرهمين فوضعهما في نفقة المطبخ، فكان معهم ثم لا يرزأ –أي أنقص– مما بقي لا قليلاً ولا كثيراً[2].

الحسن البصري المستشار الشرعي لعمر بن عبد العزيز:

نعلم أن لكل حاكم من الحكام على مر العصور مستشارين في كل الجوانب، ولقد كان الحسن البصري بمثابة المستشار الشرعي لعمر بن عبد العزيز، فكان يستشيره في بعض المسائل الشرعية للتأكد من صحتها، منها أن أرسل إليه لسؤاله عن استخلاف أبا بكر رضي الله عنه، فأتاه رسول عمر بن عبد العزيز، وكان نائماً فاستوى جالساً وقال إي والذي لا إله هو استخلفه، وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لو لم يأمره[3].

ولقد استشار عمر بن عبد العزيز الحسن في الأصحاب فكتب إليه: "أعنّي بأصحابك، فأجابه الحسن: من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه، ومن كان منهم يريد الآخرة

(1) - الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج 1، ص 471.

(2) - ابن زنجويه: الأموال لابن زنجويه، ج 2، ص 279.

(3) - الدينوري: الإمامة والسياسة، ج 1، ص 6.

فلا حاجة له قبلك، ولكن عليك بذوي الأحساب، فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا"[1].

وهذا فيه بعد نظر وسداد رأي من الحسن، فأرشد إلى استعمال ذوي الأحساب، لأنهم أن لم يتكرموا على الدولة، فعلى الأقل يستحوا من فعل ما يشين، وهذه النظرة الثاقبة لدى الحسن تبين مدى مهارته وخبرته في الحياة.

ولقد استشار عمر بن عبد العزيز الحسن في أهل الذمة فقال له، ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة وماهم عليه من نكاح المحارم، واقتناء الخمور والخنازير، فكتب إليه إنما بذلوا الجزية ليتركوا وما يعتقدون وإنما أنت متبع وليس بمبتدع[2].

الخليفة عمر بن عبد العزيز يروي الأحاديث عن الحسن:

ولقد كان عمر بن عبد العزيز من الرواة الذين رووا عن الحسن البصري حديث رسول الله، ولقد تناقلت روايتهم بين علماء الحديث والمؤرخين، ومن ذلك، ما رواه سليمان الأعمش عن عمر بن عبد العزيز عن الحسن بن أبي الحسن البصري عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثرة في كد حلال على عيل محجوب أفضل عند الله من ضرب سيف حولا كاملا لا يجف دما مع إمام عادل[3].

نظرة الحسن إلى فترة خلافة عمر بن عبد العزيز:

لقد امتدح الحسن عصر عمر بن عبد العزيز قائلاً: "ما ورد علينا قط كتاب عمر بن عبد العزيز إلا بإحياء سنة أو إماتة بدعة أو ورد مظلمة فهؤلاء هم الأئمة الذين هم لله في الأرض حجة"[4]، ولقد تأثر الحسن البصري بوفاة عمر بن عبد العزيز، وكان يعده من خيار

(1) - ابن العباس: البصائر والذخائر، ج 2، ص 26.
(2) - السرخسي: المبسوط، ج 5، ص 39.
(3) - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 13، ص 33.
(4) - القرطبي: الاستذكار، ج 1، ص 117.

الناس وخلافته من خير أفضل العصور، فلما ما جاء نعي عمر بن عبد العزيز قال الحسن البصري: مات خير الناس[1].

لربما شعور الحسن البصري بالراحة والفرح والسعادة وشعور غيره ممن عايش خلافة عمر بن عبد العزيز بهذا الشعور هو ناتج عن أمور، الأول هو قيام الخليفة عمر بن عبد العزيز على أمر الخلافة خير قيام، فكان ناصحاً أميناً عدلاً عابداً، وتمثل خلافته رضي الله عنه معلماً من معالم العدل والازدهار والسعة، والثاني أن خلافة عمر بن عبد العزيز جاءت بعد أن قام الخلفاء والولاة من قبله بحسم المعارك مع الخوارج والبغاة والشيعة الذين كانوا يريدون كيداً للحكم الأموي لإسقاطه، فالفترة التي سبقته كانت مليئة بالعنف والشدة والدماء، وهذه الشدة هي من جعلت الناس يستكينوا ويلزموا طاعة الخلفاء والولاة لأن طبيعة المرحلة وما سبقها من محن تقتضي جز كل من تسول له نفسه تأليب الناس وإشاعة الشائعات وإثارة الفتن.

فإذا ما نظرت إلى العصرين ستجد فرقاً كبيراً بينهما، وتعلم لماذا شعر الناس بالفرق بين العصرين، رغم أن للخلفاء والولاة قبل خلافة عمر بن عبد العزيز فضل وإسهام كبير في استتباب واستقرار الأمن في خلافته.

موقف الحسن من خروج يزيد ابن المهلب:

لما توفي عمر انفلت ابن المهلب من الحبس، وقصد البصرة ودعا إلى نفسه، وتسمى بالقحطاني، ونصب رايات سوداء، وقال: أدعو إلى سيرة عمر بن الخطاب، فقام الحسن البصري في الناس خطيباً، فذم ابن المهلب وخروجه، فأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة في جيشٍ، فحارب ابن المهلب، فظفر به فقتله، فوثب ابنه معاوية بن يزيد، فقتل عدي بن أرطأة وجماعةً صبراً[2].

وكان موقف الحسن البصري كعادته في الفتن، لكن بالإضافة لتثبيطه الناس عن الخروج على الولاة، رأيناه في فتنة ابن المهلب كان أشد لهجة وقسوة، حيث قال في مجلسه: "يا عجباً لفاسق من الفاسقين، ومارق من المارقين، غبر برهة من دهره، يهتك لله في هؤلاء القوم كل حرمة، ويركب له فيهم كل معصية، ويأكل ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منعوه لماظة كان

(1) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 205.

(2) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 163.

يتلمظها، قال أنا لله غضبان فاغضبوا، ونصب قصبا عليها خرق، وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم أفئدة، وقال أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز، ألا وإن من سنة عمر أن توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث"[1].

وبلغ من تثبيطه ونهيه الناس عن الخروج في الفتن أن لا يشاركوا حتى لو أدى ذلك لموتهم، فقال كلثوم بن جبر قلت للحسن: إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل علي رجل؟ قال: تناشده، قلت: فإن أبى؟ قال: فكن عبد الله المقتول، قال: فخرجت إلى مكة فسألت مجاهداً فقال لي مثل قول الحسن[2].

وقال: "والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن يفرج الله عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيكلهم الله إليه، فوالله ما جاء الجازع إلى السيف بيوم خير قط"[3].

ولما ظهر يزيد على عدي أقام يومه ذاك في دار بحيال المسجد الجامع، فلما أصبح أمر فنودي في الناس فحضروا المسجد وحشدوا، فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: "يا أيها الناس إنا غضبناً لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل، ويقسم فيكم بالسوية، ويقيم فيكم الكتاب والسنة، ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين"[4].

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: يا عجباً من يزيد إنه بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين اتبعوه تقرباً على بني مروان، حتى إذا منعوه شيئاً من دنياهم، وأخذوا بحق الله عليه غضب فعقد خرقاً على قصب ثم نعق بأعلاج فاتبعوه، وقال: إني قد خالفت هؤلاء فخالفوهم، ثم يدعوهم إلى كتاب الله وسيرة الخلفاء الراشدين، ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويرد إلى محبس عمر[5]، وكان الحسن قد أنكر على ابن المهلب قوله أن جهاد أهل الشام ثوابه أفضل من جهاد الترك والديلم[6].

---

(1) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6، ص 304.

(2) - البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3: ص 118.

(3) - أنساب الأشراف: ج 3، ص 117.

(4) - البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3، ص 114، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 80.

(5) - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 80، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 337.

(6) - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج 3، ص 98.

الحسن البصري مفاوضاً ميدانياً لوأد الفتنة:

كان الحسن يعمل ضمن مجموعة المفاوضين الذين يقومون بالتفاوض مع ابن المهلب، من أجل عودته لطاعة الخليفة ووالياه في العراق، لجمع كلمة الامة وعدم تفريقها، حيث بعث عدي ابن أرطأة الحسن على رأس وفد إلى ولد المهلب، فناشدوهم أن يأتوا أميرهم ولا يؤثروا على الطاعة شيئاً، فقال عبد الملك بن المهلب: إنكم وأطأتم عدياً على هلاكنا وليست طاعته بواجبة علينا، فقال له الحسن: كذبت، فغضب عبد الملك وقال للحسن: أتكذبني يا بن اللخناء، وأخذ بقائم سيفه فقال: والله لولا أن أعير بقتلك وأنت في منزلي لضربت عنقك، فأنك عبد تريد استذلال أهل المصر بتخاشعك، وقد حمقت نفسك وعدوت طورك وقدرك، فلم يزل المفضل أخوه يقسم عليه ويسكنه حتى سكن، ولم يجبه الحسن بشيء[1].

قول الحسن في ابن المهلب وما قاله ابن المهلب في الحسن:

ذكر ابن المهلب عند الحسن فقال: فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هدى، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه، فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[2]، وقال "هذا عدو الله، أوكلما نعق بهم ناعق اتبعوه"[3] وفي رواية نعر لهم ناعر[4].

ولقد ذهب قاضي البصرة يقال له زيدل للحسن فشاوره في صحبة ابن المهلب فنهاه، لكنه لم يستجب فصحبه، وبعدها أخبر ابن المهلب بقول الحسن فقال ابن المهلب: يا قوم مالي وللحسن يخذل الناس عني، إني لأخاف والله نفسي عليه، إنه شيخ جاهل، لهممت أن أضربه حتى يموت[5].

وفي خاتم الحديث عن فتنة ابن المهلب، نلحظ أن الحسن كانت لهجة في انتقاد هذا الرجل أكثر حدة وعنفاً ممن خرجوا على حكام بني أمية الذين سبقوا الخليفة عمر بن عبد العزيز، ولربما أن ذلك يرجع إلى أن الحسن بعد تقربه من الخليفة عمر بن عبد العزيز وتعرفه

---

(1) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 337؛ البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3، ص 114.
(2) - أنساب الأشراف: ج 3، ص 117.
(3) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 506.
(4) - الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج 1، ص 78؛ البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3: ص 117.
(5) - البلاذري: أنساب الأشراف: ج 3: ص 118.

على كيفية تفكير السلطة فيما يتعلق بالفتنة ومدى خطورة الفتن على الدولة وكيفية معالجة ذلك، زاد رأيه حدة وقوة في التخلص من الموتورين، أو أن الحسن رحمه الله زاد حدة لأن ابن المهلب كان محبوساً من زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي وصفه بالعدل فزاده ذلك تعاطفاً مع السلطة، أو أن ابن المهلب ظهر طغيانه أكثر من سابقيه، وكانت نوازع الدنيا لديه واضحة فكرهه المخلصون، وهذا ما جعل الحسن يكون يزداد حدةً.

ثم أن الصورة التي رسمت عن ابن المهلب من تسميته بالقحطاني، ونصبه للرايات السود، وانشقاقه عن الأمة الاسلامية، وادعائه أنه يسير على منهج السلف من الخلفاء الراشدين، ولا يتبعه إلا ضعفاء العقول، نرى أن هذه لصورة لها صورة شبيه بها تماماً، هم خوارج اليوم الذين هم إمتداد لهؤلاء حسب الوصف الذي ذكر، ويرون أنفسهم أنهم أصحاب الخلافة وأنهم يريدون تطبيق الشريعة وينصبون رايات سود ويسمون أنفسهم بأسماء بلدانهم، فالفكر المتطرف ينمى ويفعل في كل وقت لإرهاق الامة الاسلامية، ففي القديم كان سبب نشوء هذا الفكر المتطرفين والموتورين الضعفاء الذين خرجوا على علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، بتفعيل اليهودي ابن سبأ الذي كان سبباً أساس في ظهور الشيعة والخوارج، واليوم اليهود هم ذاتهم الذين يقومون بتفعيل هذه الفكرة لكي يحدثوا في الاسلام شرخاً من خلال ايجاد تطرف فكري يمثله الخوارج، وتسيب فكري يمثله الشيعة، وإيجاد هاتين الفئتين من أجل تشويه الصورة الوسطية للإسلام التي كان يمثلها الصحابة الكرام واتباعهم إلى هذا اليوم.

النتائج:

لقد توصلت الدارسة إلى عدد من النتائج وهذه أهمها:

- إذا ذكر الحسن في المصادر التاريخية بدون ذكر نسبه أو كنيته فالمقصود به هو الحسن البصري رحمه الله، لأنه أشهر من أسمه الحسن.
- لقد عرف واشتهر الحسن البصري أنه رجل عابد زاهد، صاحب ورع وتقوى، لكن بعد هذه الدارسة تبين أنه رجل موسوعي فهو أعلم أهل عصره بالفقه والتفسير والعقيدة واللغة والقراءات، حتى أنه أصبح وجهة طلاب العلم من كافة البلدان.
- الحسن البصري له تجربة حياتيه واجتماعية كبيرة، وله فضل في تربية الأجيال وربطهم بالآخرة وابعادهم عن الدنيا.
- جمع بين العلم والعمل به والجهاد في سبيل الله تعالى، فكان يجاهد في صفوف جيش الخلافة وقام مع الجيوش بفتح العديد من البلدان التي تم فتحها في فترة الحكم الأموي.
- للحسن الفضل الكبير في تثبيت واستقرار الأمن الداخلي للدولة في فترة الحكم الأموي، من خلال اسهاماته في وأد الفتنة وتثبيط الناس عن الخروج على الولاة والخلفاء، وقد أشتهر عنه ذلك وأصبح إماماً في الدعوة الى الوحدة وتجميع الكلمة.
- للحسن علاقة قوية مع بعض خلفاء وولاة الدولة الأموية، وكانت هذه العلاقة هي علاقة نصح وإرشاد وتوجيه.
- الروايات المتعلقة بالحسن رحمه الله تجدها منقسمة لقسمين، ما مضمونها الطعن والسب وهذه الروايات على الأرجح هي روايات كاذبة نسبت للحسن زوراً وبهتاناً، وفي روايات أخرى تشعر بمخالفة لتلك الروايات، فتذكر كلماته وآراءه التي تدلل على رجاحة عقله، وحسن طويته، وصفاء سريرته، من غير أن يكون فيها تحيز إلى فئة دون أخرى.
- وعند قراءة بعض الروايات التاريخية التي تتعلق بالحسن وغيره تشعر منها أنها وضعت من قبل مغرضين، وقد ملئت حقداً وكرهاً وذماً لمخالفيهم من أصحاب الفكر الوسطي السليم، بهدف النيل من الدولة الاسلامية.
- يظهر أن أغلب كتّاب الخليج العربي يكتبون في تاريخ بني أمية بلسان الذامين لهم، والساخطين من حكمهم، المنتقدين لسياستهم، مكيلين لهم الإتهامات في حبهم للخلافة والمناصب واستئثارهم بها لأنفسهم، وهذا لأنهم يشعرون بأنهم هم أحق بالحكم من غيرهم لأن

الرسول والخلفاء الراشدين كانوا من أهل الحجاز، وكذلك تأثرهم بمقتل عبد الله بن الزبير وما حدث في مكة من قتال للخارجين على الخليفة.

- الحجاج من أفضل حكام الخلافة وله الفضل الكبير في استقرار الأمن والأوضاع السياسية في الدولة، وقام بإنجازات إدارية ومؤسساتيه وعسكرية وسياسية عظيمة، جحدها من تعاموا عنها، فهو رجل حمى الاسلام وأسس لدولة اسلامية قوية قضى فيها على الفتنة والموتورين، فهو والي مفترى عليه ظلماً وزوراً.
- محاربة الحجاج رحمه الله لعبد الله بن الزبير والإمام سعيد بن جبير رحمهما الله، كان له مبرر وسند شرعي مقبول، وكانوا سبباً أساس في إضعاف الدولة وتوقف فتوحاتها.
- لم يكن الخليفة يزيد بن معاوية رضي الله عنه سبباً في انقسام الأمة الإسلامية إلى سني وشيعي بقتل أحد قياداته للحسين بن علي رضي الله عنه، وإنما الحسين بن علي رضي الله عنه كان السبب الأساس في انقسام الأمة بخروجه على الدولة ووقوفه مع الموتورين من أهل الكوفة والعراق، الذين قتلوا أبوه علي وأخيه الحسن رضي الله عنهما، ورغم ذلك لا نشكك في نوايا الحسين لقيامه بما قام به، واعتقادنا في ذلك أن نيته من وراء ذلك كانت حسنة.
- للدولة الأموية فضل كبير على الأمة الاسلامية في الحفاظ على هويتها، وتماسك المجتمع المسلم من التفسخ والتشرذم، وذلك بعد أن قضوا على الفتنة التي دارت رحاها في خلافتي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.
- أن أهل العراق وخاصة الكوفة هي أساس الفتن في فترتي الخلافة الراشدة والأموية، وهم من خططوا لمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهم أساس في تأجيج الفتنة في الجمل وصفين، وهم الذين قتلوا الإمام علي وأبنه الحسين رضي الله عنهما، وهم الذين كانوا أساس الفتنة الداخلية في خلافة الأمويين مثل فتنة بن الأشعث، وفتنة ابن المهلب وفتن أخرى كثيرة طائفية وغير طائفية.
- أن ولاية الشام لم تشارك في حملة التآمر لمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بل كانت ضد ما يحدث من فتن وتناحر وقتال بين المسلمين في ذلك الوقت، وموقف الشام هو موقف وسطي واعي موضوعي منذ تلك الأيام حتى اليوم.
- تغيير نظام الحكم بعد المرحلة التي تولاها معاوية بن أبي سفيان واسناده الحكم لابنه يزيد فيها جانب كبير من الإيجابية، لأن الفترة تلك لا يصلح لها التشاور لأن أصحاب الفتن

أصبحوا كثر، ولا يعجبهم أحد حتى لو توفرت في الخليفة صفات الكمال سينقلبون عليه، فإسناد الحكم لمن يكون ثقة ولديه قدرة على إخماد الفتن هو المطلوب، لكن بعد ذلك يتم إعادة الحكم إلى النظام الشوري لأنه الأصل.

- أن ما قيل في الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد من مقولات تطعن فيهم هي روايات ومقولات نسجت من قبل الشيعة أو الخوارج الذين كانوا يكيدون على الإسلام الوسطي.
- ما قيل عن الدولة الأموية من أقوال تصفهم بالسكر والإسراف وأنهم استأثروا بالحكم لأنفسهم وغير ذلك، هذه روايات مكذوبة أو أقل ما يمكن القول فيها أنها مبالغ فيها، وسبب الافتراء في ذلك هو تشويه الصورة الناصعة عن الاسلام الوسطي الذي لا يقبل التطرف كما حال الخوارج أو تحريف الدين عن أصوله الثابتة كما فعل الشيعة.
- لقد كان موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم في الفتن جميعاً، موقف الإبتعاد عنها وعدم المشاركة فيها، وعدم الخوض فيما يؤلب الناس، وهذا ما جعل موقفهم هو الأفضل ويعلمنا موقفهم هذا وسطية الاسلام وعدم المغالاة في الدين وعدم التفريط فيه.
- الفترة الأموية لحكم المسلمين بحاجة إلى من ينصفها وقراءتها من جديد، وإظهارها بصورتها الحقيقية، لأنها فترة أفتري عليها كثيراً.
- من طعن فيهم من قبل المغرضون هم من خيار المسلمين في وقتهم وعصرهم، وإنما أكيل لهم الإتهام من أجل النيل من الاسلام وتشويه صورته من خلال تشويه أعلامه، ومن هذه الشخصيات بعض الخلفاء الراشدين وخلفاء وحكام بني أمية.

المصادر والمراجع:

أولاً: القران الكريم.

ثانياً: المصادر:

1- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود: 1270هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج9، ط 1، 1415هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

2- الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني: 275هـ، سنن أبي داود، دار الفكر، صيدا، بيروت،1430 – 2009، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

3- الأصبهاني، أحمد بن علي بن منجويه أبو بكر: 428هـ:رجال صحيح مسلم، ط 1، دار المعرفة، بيروت، 1407، تحقيق عبد الله الليثي.

4- الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان: 369هـ، أخلاق النبي وآدابه، ط 1، دار المسلم للنشر والتوزيع، 1998م، تحقيق صالح بن محمد الونيان.

5- أبو بكر ابن مَنْجُويَه، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم: رجال صحيح مسلم، ت 428هـ، المحقق، عبد الله الليثي، دار المعرفة – بيروت، ط 1، 1407.

6- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع الهاشمي: 230هـ، الطبقات ابن سعد، ط 4، بالولاء، البصري، البغدادي تحقيق عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق – الطائف، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ.

7- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي: 681هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط 1، 1994.

8- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: 606هـ، مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ.

9- الأزدي، الربيع بن حبيب بن عمر البصري: 928هـ، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، ج 1، ط 1، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، 1415هـ، تحقيق محمد إدريس ، عاشور بن يوسف.

10- إبن الأزرق: 896هـ، بدائع السلك، ط 1، وزارة الإعلام، العراق، تحقيق د.علي سامي النشار.
11- الأزدي، أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي: 286 هـ، التعازي والمراثي، ط 2، دار الكتب العلمية، 1996م، تحقيق خليل المنصور.
12- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء: 1342هـ، غاية الأماني في الرد على النبهاني، ج1، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، 1422هـ- 2001، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي.
13- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين: 421هـ، نثر الدر في المحاضرات، ج5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2004م، تحقيق خالد عبد الغني محفوط.
14- ابن الأثير، الإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف: ت 630هـ، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1400هـ/1980م.
15- الآجري، أبي بكر محمد بن الحسين: 360هـ، الشريعة، ج1- 2- 3- 4، ط 2، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1420 هـ - 1999 م، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.
16- الأنصاري، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد: 369، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، الثانية، الرسالة، بيروت، 1412 – 1992، تحقيق عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي.
17- الأندلسي، عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد: 487هـ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403 هـ.
18- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد: 756هـ، المواقف، ط 1، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1417هـ - 1997م، تحقيق عبد الرحمن عميرة.
19- الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبدالله: 179هـ، الموطأ، ج 2، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
20- الإشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد: 581 هـ، العاقبة في ذكر الموت، ط 1، مكتبة دار الأقصى، الكويت، 1986م، تحقيق خضر محمد خضر.

21- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد: 548هـ، الملل والنحل، المحقق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط 2، 1413هـ، 1992م.
22- الأسدي، سيف بن عمر الضبي: 200 هـ، الفتنة ووقعة الجمل، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1391، تحقيق أحمد راتب عرموش.
23- الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي أبو منصور: 429هـ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1977.
24- السِّجِسْتَانِي، أبا داود سليمان بن الأشعث: ت 275هـ، سؤالات أبي عبيد الآجُرِّي، الآجري، في الجرح والتعديل، تحقيق محمد علي قاسم العمري، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، ط 1، 1403هـ /1983م .
البخاري، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الجعفي: 256 هـ:
25- الجامع الصحيح المختصر، ط 3، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، 1407 – 1987، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
26- التاريخ الكبير، ج2– 4، دار الفكر، تحقيق السيد هاشم الندوي.
27- التاريخ الصغير (الأوسط)، ط 1، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة، 1977 –1397، تحقيق محمود إبراهيم زايد.
28- الجامع الصحيح المختصر، ج 9، الثالثة، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت / لبنان، 1987م–1407هـ ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
29- الأدب المفرد، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 3، 1409 – 1989.
30- البيهقي، الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي: ت 458هـ، السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1414هـ /1994م.
31- البستي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: 388هـ، العزلة، ط 2، المطبعة السلفية، القاهرة، 1399هـ .

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: 279هـ:

32- فتوح البلدان، ج1-4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403، تحقيق رضوان محمد رضوان.

33- أنساب الأشراف، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

34- البستاني، بطرس: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

35- ابن أبي بكر، محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: 741، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، الاولى، دار الثقافة، الدوحة – قطر، 1405، تحقيق د. محمود يوسف زايد.

36- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب: 463هـ، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1422هـ، 2002م

37- الترمذي: 279هـ، العلل الصغير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد ابن العباس: 360هـ:

38- الإمتاع والمؤانسة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

39- البصائر والذخائر، ط 4، دار صادر، بيروت – لبنان، 1419هـ-999م ، تحقيق د.وداد القاضي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس: 728:

40- منهاج السنة النبوية، ج 1-4-8، ط 1، مؤسسة قرطبة، 1406، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

41- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط 1، 1408هـ،1987م.

42- التميمي، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر الحنبلي: 1225هـ:

43- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب.
44- الجرح والتعديل، الاولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.
45- المحن، ط 1، دار العلوم، الرياض، السعودية، 1404هـ ، 1984م، تحقيق د عمر سليمان العقيلي.
46- الجاحظ: 255هـ، البيان والتبيين، ج 1-3، دار صعب، بيروت، لبنان، تحقيق فوزي عطوي.
47- الجراحي، إسماعيل بن محمد العجلوني: 1162، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405، تحقيق أحمد القلاش.
48- الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر:370هـ، أحكام القرآن، ج 5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405، تحقيق محمد الصادق قمحاوي.
49- الجرجاني، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد: 365، الكامل في ضعفاء الرجال، ط 3، بيروت، 1409 - 1988، تحقيق يحيى مختار غزاوي.
50- ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد: 660 هـ، بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر، تحقيق د. سهيل زكار.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: 597هـ:

51- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط 1، دار صادر، بيروت، 1358 هـ.
52- الثبات عند الممات، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406م، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري.
53- بستان الواعظين ورياض السامعين، .1419 – 1998.
54- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد: ت597هـ، تاريخ بيت المقدس.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني: 852هـ:

55- تقريب التهذيب، المحقق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط 1، 1406 – 1986.
56- لسان الميزان، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م.

57- تهذيب التهذيب، ضبطه وراجعه صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1415هـ/1995م .
58- الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: 626هـ، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
59- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي: 608هـ، التذكرة الحمدونية، ج 1، ط 1، صادر، بيروت، لبنان، 1996م، تحقيق إحسان عباس ، بكر عباس.
60- الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر: 327هـ، اعتلال القلوب. ط 2، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1420- 2000، ، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
61- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني: 241هـ، فضائل الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403 – 1983، تحقيق د. وصي الله محمد عباس.
بن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي: 354هـ:
62-الثقات، ط 1، دار الفكر، 1395 – 1975 ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد.
63- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط 1، 1411 هـ ، 1991م.
64-ابن حيان، محمد بن خلف: 306هـ، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
65-بن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني: 369هـ، حلية الأولياء، ط 1، دار المسلم للنشر والتوزيع، 1998م، تحقيق صالح بن محمد الونيان.
66-بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري: 456هـ، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات دار الكتب العلمية، بيروت.

67-أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى: 261هـ، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، العجلي، عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ط 1، 1405هـ، 1985م.
68-الحنبلي، مجير الدين: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان، مكتبة المحتسب، ط 1، 1973م.
69- أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي: 505 هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
70- الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني: 573هـ، الحور العين، ج 1، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
71-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: 808، مقدمة ابن خلدون، ط 5، دار القلم، بيروت، 1984م.
72- ابن خياط، أبو عمرو بن خليفة خليفة الشيباني: 240هـ، تاريخ خليفة بن خياط، ط 2، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، 1397، تحقيق د. أكرم ضياء العمري.
73- الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد: 311 هـ، السنّة، ط 1، دار الراية، الرياض، 1410هـ – 1989م، تحقيق د. عطية الزهراني.
74- الخاتمي، محيي الدين بن علي بن محمد الطائي: 22/4/ 638هـ، الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكية، ج 4، ط 1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1418هـ–1998م.
75- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله: 256هـ، الأدب المفرد، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 3، 1409 – 1989.
76- بن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي: ت799هـ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.
77- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: 671، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ط 1، 1427، 2006.

78- الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي: 333هـ، المجالسة وجواهر العلم، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي: 281هـ:

79- مكارم الأخلاق، مكتبة القرآن، القاهرة، 1990م، تحقيق مجدي السيد إبراهيم.

80- الزهد، دار بان كثير، 1422- 1999، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

81- الإخوان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409 – 1988، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

82- الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي: 385، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ج 4، الأولى، دار طيبة، الرياض، 1405 - 1985، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي.

83- الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد: 310هـ، الكنى والأسماء، ط 1، دار ابن حزم، بيروت / لبنان، 1421 هـ - 2000م، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي.

84- الدمشقي، الإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد: 414 هـ، مسند المقلين من الأمراء والسلاطين، الأولى، دار الصحابة، مصر، 1989م، تحقيق مجدي فتحي السيد.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن عثمان: 748هـ:

85- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ج 1، تحقيق محب الدين الخطيب.

86- سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م.

87- المغني في الضعفاء، تحقيق أبي الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ/1997م.

88- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط 1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1382 هـ - 1963 م، تحقيق علي محمد البجاوي.

89- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط 1، 1413 هـ، 1992م.

90- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417 هـ-1997م

91- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج 6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد.

92- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ج 1-2-3، تحقيق محب الدين الخطيب. نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

93- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م.

94- الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: 327 هـ، المراسيل، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1397هـ، تحقيق شكر الله نعمة الله قوجاني.

95- الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن: 360 هـ، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ط 2، دار الفكر، 1404، بيروت، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب.

96- الزركشي، شمس الدين أبي عبد الله المصري الحنبلي محمد بن عبد الله: 772هـ، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم.

97- ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله المعروف الخرساني: 251هـ، الأموال لابن زنجويه.

98- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: 538 هـ، ربيع الأبرار، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

99- الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد: 762هـ، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، المحقق محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1418هـ، 1997م.

100- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين: 911، الدر المنثور، ج 3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1993م.

101- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن:911هـ، جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

102- السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد: 902 هـ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1985م، تحقيق محمد عثمان الخشت.

103- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: 489هـ، تفسير القرآن، ج 3، ط 1، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1418هـ- 1997م، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.

104- بن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي، 224هـ، غريب الحديث، المحقق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط 1، 1384 هـ - 1964 م.

105- بن سعد، علي بن ابراهيم الخير: 571 هـ، القرط على الكامل، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

106- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: 489هـ، قواطع الأدلة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.

107- السرخسي، شمس الدين: 483 هـ، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

108- ابن سهل، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري: 327هـ، فضيلة الشكر لله على نعمته، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1402، تحقيق محمد مطيع الحافظ، د. عبد الكريم اليافي.

109- السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي: 1188 هـ، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ج 6، ط 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دار النوادر، الكويت، سوريا، 1428 هـ - 2007 م، نور الدين طالب.

الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم أبو بكر: ت 287:

110- دار الريان للتراث، القاهرة، 1408 ، ط 2 ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد.

111- الآحاد والمثاني، ط 2، دار الراية، الرياض، 1411 – 1991 ، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة.
112- بن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي: 235هـ، المصنف في الأحاديث والآثار، ج6– 7، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409، تحقيق كمال يوسف الحوت.
113- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف: 476 هـ، طبقات الفقهاء، ج 1، دار القلم، بيروت، تحقيق خليل الميس.
114- الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله: 241 هـ، العلل ومعرفة الرجال، ط 1، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت ، الرياض، 1408 – 1988 ، وصي الله بن محمد عباس.
115- الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم أبو بكر: 287هـ، الزهد، ج1، ط 2، الريان للتراث، القاهرة، 1408هـ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد.
116- ابن شهاب الدين، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي: 795هـ ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ج1، السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ – 1997م، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس.
117- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: 1255، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، 1973.
118- صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، ج 2، المكتبة العلمية، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
119- الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشي: 650هـ، العباب الزاخر، ج 1، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
120- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم:360 هـ، المعجم الكبير، ط 2، مكتبة الزهراء، الموصل، 1404 – 1983، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
121- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري: 520هـ، سراج الملوك، ج1، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد: 310هـ:

122- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، مطبعة المدني، القاهرة، تحقيق محمود محمد شاكر.

123- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1– 20، دار الفكر، بيروت، 1405.

124- تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

125- الذهبي، محمد بن عثمان: 748هـ، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي.

126- أبي طالب، محمد بن علي بن عطية المشهور المكي الحارثي: 286هـ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، تحقيق د.عاصم إبراهيم الكيالي.

127- عبد الجبار، صهيب: الجامع الصحيح للسنن والمساني، ط 2014.

128- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي: 328هـ، العقد الفريد، ط 2، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ – 1999م ، بيروت / لبنان.

129- بن العماد، الفقيه أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي: ت1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1399هـ/1979م.

130- العوفي، عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم: 381هـ، حديث أبي الفضل الزهري، ج 2.

131- عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: ت 544هـ، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ، اِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المحقق يحْيَى إِسْمَاعِي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 1 ، 1419 هـ – 1998 م.

132- العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين: 855هـ، مغانى الأخيار.

ابن عساكر، علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي أبي القاسم: 571:

133- تاريخ دمشق، المحقق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ – 1995م.

134- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، دار الفكر، بيروت، 1995، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
135- تهذيب تاريخ دمشق، هذبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط 1، 1399هـ/1979م.
136- ابن عبد الحكم، أبي محمد عبد الله: 214هـ ، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، السادسة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1984م، تحقيق أحمد عبيد.
137- العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي: 1111هـ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ- 1998م، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض.
138- العدوي، علي الصعيدي المالكي: 1189، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، دار الفكر، بيروت، 1412.
139- ابن عمرو، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي: 245هـ، المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر.
140- أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر: 320هـ، المنهيات، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
141- الغامدي، سعيد بن ناصر: حقيقة البدعة وأحكامها، ج 1، مكتبة الرشد، الرياض.
142- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان: 277هـ، المعرفة والتاريخ، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، 1419هـ- 1999م ، تحقيق خليل المنصور.
143- الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله: 275هـ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ط 2، دار خضر، بيروت، 1414، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش.
144- ابن قتيبة، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم: 276 هـ، المعارف، دار المعارف، القاهرة، تحقيق ثروت عكاشة.

145- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن: 465هـ، الرسالة القشيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، خليل المنصور.
146- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري: 463هـ، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ج 1، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 2000م، تحقيق سالم محمد عطا–محمد علي معوض.
147- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: 276هـ، عيون الأخبار.
148- القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي: 623 هـ، التدوين في أخبار قزوين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، تحقيق عزيز الله العطاري.
الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري أبو نصر: 398 هـ:
149- رجال صحيح البخاري المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة و السداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه، عبد الله الليثي، دار المعرفة . بيروت، ط 1، 1407 هـ ، 1987م.
150- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، ط 1، دار المعرفة، بيروت، 1407، تحقيق عبد الله الليثي.
151- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي: 774هـ، البداية والنهاية، ط 1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1424هـ، 2003م، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي.
152- ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن: 381هـ، معجم ابن المقرئ.
المروزي، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج: 275هـ:
153- الورع، ط 1، دار الصميعي، الرياض – السعودية، 1418هـ، 1997م، تحقيق سمير بن أمين الزهيري.
154- كتاب الفتن، ط 1، مكتبة التوحيد، القاهرة، 1412، تحقيق سمير أمين الزهيري.
155- المرواني، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع: 286هـ، البدع، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

156- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على: 346هـ، مروج الذهب، ج 1، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

157- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي: 450 هـ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ج13، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ، 1999م، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

158- المدارسي، قاضي الملك محمد صبغة الله الهندي: ذيل القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، الأولى، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1401، تحقيق مكتبة ابن تيمية.

159- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: 273هـ، سنن ابن ماجه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

160- الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله: 204 هـ، الأم، ج4، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1393.

161- المَلَطي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العسقلاني: 377هـ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

162- المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار: 212هـ، وقعة صفين، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعى الإفريقى: 711هـ:

163- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط 1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1402 هـ - 1984م، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع.

164- لسان العرب، دار صادر، بيروت.

165- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1403، 1983.

166- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، 2007م، 1428 هـ.
167- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، 303هـ، ذكر المدلسين، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
168- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: 733هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، 2004م، تحقيق مفيد قمحية وجماعة.
169- النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: 463 هـ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 10- 11، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.
170- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني: 518هـ، مجمع الأمثال، المحقق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
171- النووي، الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف الدين: ت 676هـ، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الثقافة العربية، بيروت، ط 1، 1347هـ /1929م.
172- الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم أبو الفضل: 521 هـ، تكملة تاريخ الطبري، ط 1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م، تحقيق ألبرت يوسف كنعان.
173- الهمذاني، القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار: 415هـ، المنية والأمل، تحقيق الدكتور سامي النشار – الدكتور عصام الدين محمد.
174- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: 975هـ، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م، تحقيق محمود عمر الدمياطي.
175- بن هبة الله، أبو حامد عز الدين بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني: 655 هـ، شرح نهج البلاغة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ – 1998م، تحقيق محمد عبد الكريم النمري.

176-بن هبة الله، الحافظ أبي نصر علي بن علي بن ماكولا البغدادي: ت 475هـ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

177-اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: 292 هـ، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.

ثالثاً: المراجع:

178-الأثري، عبد الله بن عبد الحميد: الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، ط 1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، تحقيق صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

179-البغدادي، عبد القادر بن عمر: 1093هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج 6، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب.

180-بدوي، عبد الرحمن: تاريخ التصوف الاسلامي، الشعاع للنشر والتوزيع، ط 3، 2008م.

181-الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

182-السلمان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن:1422هـ، موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، الثلاثون، 1424 هـ.

183-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: 1393هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ - 1995م، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

184-آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل.

185-أبو عُبيَّة، طه عبد المقصود عبدالحميد: موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة.

186- سليمان، خلف سعد بن أيوب الباجي المالكي أبو الوليد: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح (ط. الأوقاف المغرب)، المحقق أحمد لبزار.
187- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1427 هـ - 2006 م.
188- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد: الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، 1429 هـ - 2008م.
189- الصَّلاَّبي، علي محمد محمد: أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -شخصيته وعصره، الاولى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1425 هـ، 2004م.
190- المناوي، عبد الرؤوف: 1031، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 3، ط 1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.
191- ابن عاشور، محمد الطاهر: 1284، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
192- أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر، القاهرة.
193- ابن عبد الوهاب، محمد: 1206 هـ، قسم الحديث (4 جزء)، الأولى، مطابع الرياض، الرياض، تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب
194- الحميد، عبد الكريم بن صالح: بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، 1424، نسخة إلكترونية، مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الإصدار الرابع، 1429هـ.
195- الحلاق، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي: 1332هـ، محاسن التأويل، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود.
196- أبو زهو، محمد محمد: الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، االقاهرة، 2 من جمادى الثانية 1378هـ.

رابعاً: الموسوعات:

197- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، 385هـ، موسوعة أقوال الدارقطني.

198- المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج 1- 2، الأولى، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، النبلاء للكتاب، القاهرة ، مراكش.

خامساً: الرسائل العلمية:

199- ضمرة، إبراهيم توفيق: جلاء بصري في قراءة الحسن البصري بروايتي شجاع البلخي والدوري، دار عمارة، الأردن دار الصحابة بمصر، الكتاب ملف الكتروني ولا يوجد له تفاصيل.

200- عياش، ثناء نجاتي: خطبة الحسن البصري، الكتاب ملف الكتروني ولا يوجد تفاصيل.

201- مصلح، بيومي: الحسن البصري وحياته وصلته بالحكام، وهي منشورة في الدوريات التابعة لكلية الشريعة، ولا يوجد تفاصيل أخرى.

202- الزاهلي، مريم بنت زنان بنت أحمد: رسالة دكتوراه في طبقات الرواة عن الحسن البصري جمعاً ودراسةً، قسم أصول الدين بجامعة أم القرى بالمملكة العربية، لا توجد تفاصيل.

Abstract

El Hassan El Basri " have a mercy upon him " was one of the respectful scholar, he was described as the master of his age and the most fluent scholar, also lived in actions of Fitna during El Rashidi era also lived in actions of Fitna during the Umayyad period , what makes him to get benefit from the experience more than other and has effects on his character and build his character also taught him Wisdom and right opinion that is not received by the other. Since the Sultan, kings and princes consulted him to get benefits from his knowledge, wisdom and his opinion. And as they got benefit, they give him benefit as well because he had a look over the nature of their thoughts through their comprehensive outlook on the events and attitude also the Justifications of their decisions that made by them . All this gave El Hassan El Basri attitude and well established opinions in the era of El Rashid and Umayyad which gave him advantages over other scholar in his time.

So that, this study will focus on El Hassan El Basri and his relation with the Kholafa and the governors of Umayaad era also the nature of his relation with them and his political and religious of these historical and leadership characters then through his opinions , recognize the Umayyad regime and whether it was fair and achieving the justice of Islam that was the basis of the Islamic country.

After the study of his attitude, we look at the dissenting views of their attitude toward Umayyad people to know the truth of the proper balance between those different views and the description of the government in that time.